

تُحْفَةُ الْمُلُوكِ
فِي
الْتَّرْبِيةِ وَالسُّلُوكِ

القسم الثالث

تأليف
أ.د. عدنان حسن باهارث

(ح) عدنان حسن باحارث ، ١٤٣٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

باحارث ، عدنان حسن

تحفة الملوك في التربية والسلوك - القسم الثالث / عدنان حسن

باحارث - مكة المكرمة ، ١٤٣٦ هـ

..ص ٤ . . سم

ردمك: ٦ - ٩٠٣٨ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- الخطب الدينية- التربية الإسلامية أ. العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٣٦/٨٢١٥

رقم الإيداع : ١٤٣٦/٨٢١٥

ردمك: ٦ - ٩٠٣٨ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

عنوان المؤلف:

أ.د. عدنان حسن باحارث

المملكة العربية السعودية - مكة المكرمة ٢١٩٥٥ - ص ب : ٦٥٢٥

فاكس: ٠٠٩٦٦١٢٥٥٠١٥٦٩ جوال: ٠٠٩٦٦٥٥٥٣٢٦٠٥

Email: adnan3456@hotmail.com Web Site: www.bahareth.org

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

م ٢٠١٥ - هـ ١٤٣٧

دار الصميدي للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

daralsomaie@hotmail.com

الرياض ص. ب: ٤٩٦٧ الرمز البريدي ١١٤١٢ فرع القصيم : عنزة - بجوار مؤسسة الشيخ

ابن عثيمين الخيرية

المركز الرئيسي : الرياض - السويدي

هاتف: ٣٦٢٤٤٢٨ تلفاكس: ٣٦٢١٧٢٨

شارع السويدي العام

الموزع في المنطقة الغربية والجنوبية

جوال ٠٥٠٩٧٧١٥٦٨

مدير التسويق ٠٥٥٥١٦٩٠٥



المقدمة :

الحمد لله وحده ، والصلوة والسلام على من لا نبيٌّ بعده ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد .. فما تزال الموعظة تقتل مكانتها في صناعة الإنسان المسلم بين باقي الأساليب التربوية ؛ فتبني كيانه الروحي من الداخل ، وتصقل نهجه العملي من الخارج ، فتهبئ له فرص التوافق الواقعي بين العقيدة والسلوك ؛ فينطبق باطن المعتقد مع ظاهر السلوك ، حتى تتناغم الشخصية متوافقة بين ظاهرها وباطنها .

وما زال الإنسان - في كلٍّ مراحل عمره - في حاجة - من وقت إلى آخر - إلى قدر مناسب من الوعظ ، لا يقل عن أسبوع واحد ، يتلقى فيه شحنة روحية زاكية ، يستقبل بها أسبوعاً من العمل والكد والإنهاك ، يشغل فيه عن نفسه وحاجاتها ، وينصرف به عن روحه وغذيتها ، حتى إذا تم للمسلم أسبوعه : عاوده يوم الجمعة بأنواره مشرقاً على نفسه من داخلها ، يناديه بنداء الإيمان : أن هلم إلى بيت الله تعالى ، حتى إذا قربت ساعة الوجوب ، ودنت شمس الزوال : اخلع الرجل من الدنيا وشهواتها ، وألقى وراءه الأعمال ومشاغلها ، وصفى ذهنه من الشواغل وأفكارها ، ثم أقبل على بيت من بيوت الله تعالى ، وقد تهيأً للذكر بيده نفسه وعقله ، متوجّهاً بكيانه كله إلى المنبر ، قد فتح - للخطيب الموفق - صفحة ذهنه ، وفكَّ له مغاليق قلبه ، ليسكب فيها ما يحيي القلوب ، ويصلح النفوس ، ويقيم السلوك .

لقد أتى التكليف الشرعي بهؤلاء الجماهير إلى بيوت الله تعالى ،

وأزلهم الإنصات للموعظة ، والسكون الكامل للذكر ، فلم يغزهم بكلمة مرسلة يقوها أحدهم ، أو حصة مهملة يرفعها ، فالكلُّ في إخبار وسكون ، حتى إن الجاهل لا يجد من الحاضرين من يوجّهه ما دام الخطيب يتحدث ، وهكذا يصبح الصمت والسكون - في هذا الوقت - عبادة ملزمة ، يتأدّب بهما المستمعون ، حتى إذا أنجز الخطيب موعظته ، وأتَمَ إلى النهاية خطبته : سُرِّي عن الحاضرين ، فإذا صلوا انطلقا متشرين في أرض الله تعالى يتغون من فضله .

إن هذه المسألة الشرعية الملزمة للمكلفين من الرجال بحضور الجمعة ، متأدّبين على هذا النحو : لابد أن تقابل من الخطباء بما يناسبها من الإعداد الحكم والإتقان ، وحسن الأداء في الإلقاء ، مع حزمة مناسبة من المشاعر الصادقة الحارة ، التي تضفي على الخطبة روحها ، فلا تخطئ العبارات طريقها إلى القلوب ، فتستقرُّ في النفس ، آخذة مكانها لبنةً في بناء الشخصية المسلمة .

إن الزمان والمكان والواقع والحدث ، كلُّ ذلك معتبر في بناء الخطبة ومضامينها ، فلا يفوت الخطيب الآية المناسبة للمقام ، والرواية الدالة على الموضوع ، مع استحضار التاريخ عند الحاجة ، والقصة المؤثرة عند اللزوم ، بحيث تكون الخطبة وجة صحّية متكاملة ، يخرج بها المصلي من الجامع وقد شاعت نفسه ، وامتلاً قلبه ، واستثار فكره ، مما تزال عبارات من الخطبة ماثلة في نفسه ، يشعر بصدائها يتردد في عقله ، فتكون زاده الطيب إلى الجمعة الأخرى .

إن تكامل خطبة الجمعة في مضمونها العلمي ، وفي أسلوبها الإنساني ، وفي أدائها اللغطي : لا يعني الإطالة المكرورة التي تملُّ الحاضرين ، مهما كان ظرف الخطبة الواقعي ، وأهميَّة موضوعها العلمي ؛ إذ إن الإيجاز المتقن أصلٌ مهم في صفة الخطبة الشرعية الجيدة ، مما زال الخطباء الموقفون يجتهدون في بلوغ درجة الإيجاز المتقن ، الذي يوصل الرسالة سلسة متكاملة بلا خلل ولا

. شسط .

ولئن كان القرآن الكريم أصلاً ضروريًا لتمام الخطبة الشرعية ، والحديث النبوى عنصراً مهماً لكمال بنائها : فإن الخطبة الموفقة ليست مجرد جمع آيات الموضوع وأحاديثه ، ومن ثم سردها على المصلىن ؟ فإن مثل هذا الأداء أصبح يسيراً في هذا العصر ، كما أنه لا يتحقق الغرض التربوي المنشود من الموعظة ، في حين لو جمع الخطيب عناصره من القرآن والسنة وأثار السلف ، مضيفاً إليها ما يحتاج إليه لكمال موضوعه من الثقافة الإسلامية والواقع ، فأخذ بمجموع مضامين هذه النصوص ، معبراً عنها ملخصة بعباراته الشخصية ، مطعماً خطبته ببعضها ؛ فإنه حينئذٍ يختصر جملة عناصر الخطبة ومسائلها في عبارات معدودة موجزة ، تتحقق الغرض الشرعي بصورة أبلغ في التأثير ، مع ضبط الوقت وفق السنة .

ولا ينبغي أن يفهم من النصح بالتركيز على ظلال النصوص الشرعية ، دون الاكتفاء بمجرد السرد : أن عبارات الخطيب الخاصة وإن شاءه أبلغ من النصوص ، فهذه مغالطة لا تجوز إثارتها في هذا المقام ، فإن كلام الله تعالى لا يبلغ مقامه كلام ، وكلام رسول الله ﷺ لا يساويه كلام أحد من الناس ، وبناء على هذا : فهل يكون من الحكم الشرعي ، والمنطق العقلي : أن يكتفي الخطباء بنصوص الوحين عن التعبير عنهم بعبارات إنسانية ، ينظرونها بأنفسهم ؟ فقد خطب رسول ﷺ جمعاً من الخطب ، فلم يقتصر على نصوص القرآن وحدها إلا فيما ندر ، وخطب من بعده خلفاؤه وأمراؤه ، فلم يكتفوا بالنصوص وحدها ، وما زال العلماء - في كل عصر - ينوعون في خطبهم ، ويتحieren في عباراتهم ، ويتفتتون في أدائهم ، كل ذلك يحصل عبر تاريخ الأمة بلا نكير ، حتى إن الباحث يعجز أن يجد تطابقاً كاملاً في خطبهم ، ولو كانت مضامين

خطبهم قوائم من نصوص الكتاب والسنة لتطابقت ، فالنصوص مهما كثرت فهي محدودة .

وبين يدي القراء العرب الكرام على العموم ، والساسة الخطباء الفضلاء على الخصوص : خمسون خطبة جمعة ، ألقيت في جامع الأميرة الجوهرة بنت سعود الكبير في مكة المكرمة ، خلال الفترة من ١٤٣٠هـ إلى عام ١٤٣٥هـ ، وهي مرحلة عجيبة وعصبية من تاريخ أمتنا الإسلامية ، فاما العجب فيها فهي ثوراتها ، التي جابت العديد من الأنصار العربية ، حتى اصطلاح الإعلاميون على تسميتها : "الربيع العربي" ، باعتبار أنها تحمل للمجتمعات المتفضضة شيئاً من الانفراج السياسي المرتقب ، والحرية الاجتماعية المنشودة .

وأما في كونها مرحلة عصبية ، فيظهر ذلك في حجم المعاناة والألام والجرح ، التي منيت بها شعوب الربيع العربي ، وما لحقهم من مشاعر الإحباط واليأس ، من جراء تعثر الآمال ، وحجم الإخفاقات والتراجع .

ولئن كان المخلّون السياسيون قد تنازعوا في تقويم هذه الانتفاضات الشعبية العربية ، فإن الشك لا يراود الشرفاء في أنها كانت سبباً أساساً في كشف حقائق سياسية وعسكرية واقتصادية خطيرة ، ما كان لها أن تظهر جلية للعيان ، لو لا هذا الحراك الشعبي العارم ، وما واجهه من مقاومة ظالمة جائرة ، فقد كشف هذا الصراع عن حجم الفساد الفكري والخليقي والسلوكي ، لدى كثير من السياسيين وأعوانهم ، حتى غدت الثورات العربية أدلة فضح لأنظمة سياسية مستبدّة ، و مجلس الأمن الدولي ، ولشخصيات عربية كانت مرمونة ، عاشت عقوداً من الزمان مستترة بستار الدعاية الخادعة ، مما إن فوجئت بالحراك الشعبي العارم ، حتى كشفت عن حقيقة نفسها المربعة ؛ فقد كشفت عن نفوس معنة في القسوة والفساد ، وألسنة مغرقة في الكذب والخداع .

وإن من أهم ما أسفرت عنه هذه الأحداث المثيرة : حجم عداء كثير من الرافضة لأهل السنة ، رغم الانتشار الثقافي ، والوعي السياسي ، والتقدُّم الحضاري ، والجوار الاجتماعي ، ومع ذلك بقي هؤلاء على أحقادهم الماضية ، وثاراتهم السابقة ، ما زادها طول الزمان إلا عمماً وقسوة .

لقد استحضر هؤلاء عمقهم الفارسي في ثوب التشيع ، فاستغلوا سفهاء المذهب بالترغيب والترهيب ، وحرّكوا بالتآمر الأقليات الشيعية ، التي عاشت دهوراً من الزمان آمنة على نفسها ، مستأمنة على جيرانها ، فكان من جراء ذلك أن لحق كثيراً من أهل السنة في الشام والعراق واليمن ما يُخسِّن اللسان عن وصفه ، ويُعْجز القلم عن التعبير عنه ، من صور الفتوك والتدمير والقتل والتنكيل ، التي لا يُعرف ل بشاعتها وعنفها سابق في التاريخ الإنساني .

وفي ظلّ هذا الطغيان الرافضي المتوجّش ، والتآمر العالمي المتcheinين : اندفعت فتات من شباب أهل السنة نحو التطرف والغلو ، ومقابلة التطرف الشيعي بتطرف سنيّ ؛ فإن الفعل لابد له من ردّ فعل ؛ إذ لا يمكن أن يبقى أهل السنة محاصرين بين طوائف التطرف الشيعي ، وبين تآمر النظام الدولي ، فتفاقمت - من جراء ذلك - المسألة الطائفية كأشدّ ما تكون ، وأخذ كلُّ جانب يزكي نارها بما لديه من القوة العسكرية والبيانية ، فعاشت المجتمعات عربية مأسى الانفراق والتناحر ، حتى هامت ملايين من المسلمين على وجوههم ، لا يجدون ملجاً يأمنون فيه على نفوسهم إلا خارج أوطنهم ، وعمَّ الأمة خطاب الكراهية في وسائل الإعلام ، في أداء إعلامي غير مسبوق .

ولم يكن عدوان اليهود بمعزل عن هذه الأحداث ، فقد تكرر عدوانهم على مدينة غزة الصغيرة أكثر من مرة خلال هذه الفترة ، فكان العجب في صمود أهلها وثباتهم ، والتفافهم حول المقاومة - خيارهم الوحيد - في ظلّ تعاطف عربي وإسلامي واسع ، إلا أن الأعجب في العداون الإسرائيلي الأخير

عام ٢٠١٤ م هو الرُّدُّ الفلسطيني الموجع غير المسبوق ، الذي طالت فيه صواريخ المقاومة الباسلة غالب المدن الإسرائيلية ، مما دفعهم للكف عن عدوائهم صاغرين منهزمين ، غير أن العجب كل العجب في حال بعض العرب ، فقد تغيَّر موقفهم من صمود غزة هذه المرة ، حيث انقلبت بعض الأنظمة السياسية رأساً على عقب ، مغتاظة من الصمود الفلسطيني المشرف ، إلى درجة التآمر والكيد والتحريض ، بصورة جلية لا مواربة فيها ، فانكشف للعيان حجم المؤامرة المحلية والإقليمية والدولية على القضية الفلسطينية .

وأما العلمانيون والليبراليون فلم يكونوا بمنأى عن هذه الصراعات والأحداث ، فقد ازدهرت أجواءهم في البلاد الإسلامية المحافظة ، وعلا شأنهم كأحسن ما يكون ، ضمن سقف عال جداً من الحرية الإعلامية ، فما كان يُرمِّز له من الأفكار الحادة في مرحلة ماضية ، فلا يفهمه إلا الخواص ، أصبح - في هذه الحقبة الزمنية - صريحاً بلا مواربة ، يستوعبه العامة بوضوح لا مزيد عليه ، فغلوا هم أيضاً غاية الغلو فيما أتيح لهم ، وأخذوا يصفون حساباتهم مع خصومهم من المسلمين بلا هوادة ، مستغلين أجواء الانفتاح الإعلامي ، الذي عمَّ بلاد المسلمين .

ولما قامت الثورات العربية بعفوتها : وضعت العلمانيين وإخوانهم من الليبراليين على المحك الأخلاقي الفاضح ، فكان التلعثم والتrepid والاضطراب مصير جاهيرهم ، فما لبث أكثرهم طويلاً حتى لبسوا ثياب العسكر ، وامتظروا آلياتهم ، واصطفوا في خنادقهم ، ثم انقلبوا مع المنقلبين ، فباعوا أغلى ما كانوا يتغذون به من حرية والديمقراطية عند أول اختبار للمبادئ ، فكانت فضيحتهم الأخلاقية مدوية ، يصعب عليهم التعافي منها ، فائي مسوغ يحيز لبعض الجيوش العربية أن تحول فوهات مدافعها إلى شعوبها ؟ إن تسويغ مثل هذه الشناعات لا يأتي إلا عن نفس بشرية منحطَّة ، وشخصية بلغت

المتهى في الفساد .

وهكذا الفتنة دائمةً تكشف الخبايا ، وتزيع الستور ، وتنقي المعادن ،
فما يزداد المبطلون بها إلا خزيهم ، وعاراً إلى عارهم ، وأما أهل الحق
فإن الفتنة في حقهم تمحيص يزكي نفوسهم ، ويجلّي نظرهم ، ويفتح آفاقهم ، ثم
هو يُعلي عند رب العالمين درجاتهم .

وانطلاقاً من هذا الواقع العربي والإسلامي المؤلم : تأتي هذه الخطبة
لتعبر عن هذا الواقع المأزوم ، ضمن مرحلة خطيرة وحساسة من تاريخ الأمة ،
لم يسبق لها مثيل مطابق ؛ في عمق أحدها ، وشدة وقوعها ، وسرعة تتابعها ، مع
ما تحمله هذه الخطبة من معالجات : إيمانية ، وروحية ، وأخلاقية ، واجتماعية ،
وفكرية ، ضمن قضايا مهمة ، مما يحتاج إليه المسلمون لدينهم ودنياهם ، ولا
أزعم أنني أتيت على كلّ مهمٍ فيها ، وإنما هي إشارات تدلُّ على ما وراءها من
المعاني ، وعبارات تنبئ إلى غيرها من المقاصد ، ولن يعدم الخطيب ولا القارئ
فائدة - إن شاء الله تعالى - من نظره وتأمله في هذه المجموعة الثالثة من كتاب :
" تحفة الملوك في التربية والسلوك " .

والله تعالى الموفق والهادي إلى سوء السبيل

أ.د. عدنان حسن باحارث

إمام وخطيب جامع الأميرة الجوهرة

أستاذ التربية الإسلامية بجامعة أم القرى

أولاً : التربية الإيمانية
ثانياً : التربية الروحية
ثالثاً : التربية التعبدية
رابعاً : التربية الأخلاقية
خامساً : التربية الاجتماعية
سادساً : التربية العقلية
سابعاً : التربية الجهادية
ثامناً : التربية الاقتصادية
تاسعاً : التربية السياسية

أولاً : التربية الإيمانية

- ١ - التوحيد أولاً
- ٢ - فضل الإيمان وضرورته
- ٣ - الحكم لله تعالى وحده
- ٤ - حاجتنا إلى اليقين
- ٥ - الحقيقة الغائبة
- ٦ - إلى الله المصير
- ٧ - يقظة المسلمين الإيمانية
- ٨ - الشخصية المنافقـة
- ٩ - مخازي المنافقـين في القرآن
- ١٠ - الفضيل بن عياض من تيهـ إلى الرشد

١- التوحيد أولاً

- أيها الإخوة : اتفقت كلمة الرسل والأنبياء الكرام - عليهم جميعاً الصلاة والسلام - على أن الناس يوم القيمة ينقسمون إلى قسمين ، لا ثالث لهما ، وذلك بناء على معتقداتهم ، القسم الأول : هم أهل التوحيد ، وهم الأقل عدداً ، وهؤلاء في الجنة خالدين فيها أبداً .
- والقسم الثاني : هم أهل الشرك والكفر ، على اختلاف وتنوع معتقداتهم ومذاهبهم ، وهؤلاء هم الأكثر عدداً ، وهم في النار خالدين فيها أبداً .
- وهذا التقسيم أصل عظيم في معتقد أهل السنة والجماعة ، فالجنة دار السعادة ، لا يدخلها إلا نفس مؤمنة موحدة ؛ فقد حرم الله الجنة على المشركين والكافرين والمنافقين ، كما قال تعالى : ... إِنَّهُ مَنْ يُشَرِّكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا أُولَئِنَّ النَّارَ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ .
- والناظر في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ : يجد العناية الكبيرة ، والاهتمام البالغ بمسألة التوحيد ، في مقابل التحذير الشديد من الشرك ومظاهره ، فلم يهادن القرآن المشركين في معتقداتهم الباطلة ، بل كانت المفاصلة بين التوحيد والشرك من أول معالم الإسلام ، من بدايات لحظات نزوله : قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ، في حين تدرج بهم القرآن في شأن الخمر ، وأخر الحكم في الربا ، وتلطف بهم في مسألة الحجاب ، أما الشرك فكانت المفاصلة قاطعة من أول الأمر .
- قال الله تعالى : إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشَرِّكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشَرِّكُ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا .
- وقال أيضاً : ... وَمَنْ يُشَرِّكُ بِاللَّهِ فَكَانَمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطُفُهُ الظَّيْرُ أَوْ

تَهُوِي بِهِ الْرِّسُّخُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ .

- وقال الرسول ﷺ : « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله دخل النار ». • أيها الإخوة : لقد خلق الله الإنسان بيده ، وأسجد له ملائكته ، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض ، وأسبغ عليه النعم ظاهرة وباطنة ، كل ذلك مقابل أن يوحد الله تعالى ، وينخلص له في عبوديته ، ويحيط به الشرك بكل مظاهره . • فأبى أكثر الناس إلا الشرك ، يعبدون غير الله ؛ فيسألون الأنداد ، ويستغيثون بالأولياء ، يشكرون غير الله ، ويحمدون غير الله ، وينسبون النعم لغيره ، وهو الرزاق ذو القوة المتين . • لقد أمر الله الإنسان بالإخلاص له في عبادته ، فلا يشرك معه غيره ، فأبى الإنسان إلا الرياء والنفاق . • ولقد أكرم الله الإنسان بالنعم الوفيرة ، والعطايا الكثيرة ، فنسبها الإنسان لغير الله تعالى . • ولقد قدر الله الأقدار ، وأجرى الأحوال ، فزعم الإنسان أن مخلوقات تتصرف في الكون مع الله . • ولقد أطلع الله الإنسان على شيء من عالم الغيب ، عن طريق الوحي المبارك ، وبالقدر الذي ينفعه ، فأبى الإنسان إلا المزيد مما يضره ، فلجا إلى السحر والكهنة والمشعوذين . • لقد أمر الله الإنسان بالتوكل عليه ، فأبى إلا اتخاذ التمائم والأحراس والخيوط والعقد ، يزعم أنه يتقوى بها على أقدار الله تعالى . • أمره سبحانه بالذبح والنذر لله وحده ، وأمره بالحلف به وحده ﷺ ، فأبى الإنسان إلا أن يذبح وينذر لغير الله ، ويحلف بغيره .

- أمره بِإِخْلَاصِ الدُّعَاءِ لِهِ ، وَالاسْتِغْاثَةِ وَالاسْتِعْانَةِ بِهِ وَحْدَهُ ، فَأَبَى الإِنْسَانُ إِلَّا أَنْ يَتَوَجَّهَ بِهَذِهِ الْعِبَادَاتِ إِلَى الْأُولَيَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، يَدْعُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى .
- لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ بِالْتَّشْرِيعِ الْحَقِّ ، الَّذِي فِيهِ الْحِكْمَةُ وَالرَّحْمَةُ ، فَأَبَى الإِنْسَانُ إِلَّا التَّشْرِيفَاتُ الْوَضْعِيَّةُ ، وَالْأَنْظَمَةُ الْبَشَرِيَّةُ ، يُلْتَمِسُ فِيهَا صَلَاحَهُ وَفَلَاحَهُ .
- وَفِي الْحَدِيثِ الْقَدِيسِيِّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « إِنِّي وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ فِي نَبَأِ عَظِيمٍ : أَخْلَقْتُ وَيُعْبُدُ غَيْرِي ، وَأَرْزَقْتُ وَيُشْكُرُ غَيْرِي ». • أَيُّهَا الْإِخْرَاجُ : إِنَّ هَذِهِ الْمَظَاهِرُ وَالسُّلُوكَيَّاتُ وَالْمُعْتَقَدَاتُ وَنَحْوُهَا جَاءَتِ الرَّسُولُ الْكَرَامُ بِالنَّهْيِ عَنْهَا وَالْتَّحْذِيرِ مِنْهَا .
- كَمَا قَالَ تَعَالَى : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ». • وَكَمَا قَالَ أَيْضًا : ... إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرًا لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيمُ وَلَكُنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ .
- وَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ : « أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ». • وَلَا سُئِلَ - ﷺ - : « أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ : أَنْ تَجْعَلَ اللَّهَ نَدًّا وَهُوَ خَلْقُكَ ». • وَلَا سُئِلَ - ﷺ - فِي حَدِيثِ جَبَرِيلَ - ﷺ - عَنِ الْإِسْلَامِ؟ قَالَ : « الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ ، لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا... ». • وَكَانَ - ﷺ - كَثِيرًا مَا يَبَايِعُ أَصْحَابَهُ - مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ - عَلَى التَّوْحِيدِ ، وَيَقُولُ : « ... أَبَايِعُكُمْ عَلَى أَلَا تُشْرِكُو بِاللَّهِ شَيْئًا... ». • أَيُّهَا الْإِخْرَاجُ : إِنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ حَقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عَبْيِدِهِ ، مَنْ أَتَى بِهِ كَانَ حَقًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ لَا يَعْذِبَهُ .
- أَمَّا الشُّرُكَ فَهُوَ الظُّلْمُ الْأَعْظَمُ ، وَالذَّنْبُ الْأَكْبَرُ ، الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ تَعَالَى ،

ولا يقبل من صاحبه صرفاً ولا عدلاً .

- وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى : « ... يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقرباب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً : لأنك بقربابها مغفرة ». • أيها الإخوة : إذا كان هذا هو مقام التوحيد ، وهذا خطر الشرك : فحرى بالمسلم العاقل أن يتحرى إيمانه ، وأن يراجع عقيدته ، وأن يفتش نفسه ؛ ليطهرها من صغير الشرك وكبيره ، وأن يجتهد في تحري الصواب ، الذي لا شك فيه ولا ريب . • فليس أحد منا بآمن من أن يقع في الشرك ، فإن الرجل يقول الكلمة الغليظة فيكفر بها ، ويعمل العمل الغليظ فيكفر به ؛ فقد يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء . • فهذا إبراهيم - يدعوه ربـه - يقول : ... وَأَجْنَبَنِي وَبَنِي أَنْ تَعْبُدَ آلَّا صَنَّاَمَ ، فمن هذا الذي يؤمن على نفسه الشرك بعد إبراهيم عليه السلام ؟

=====

- خطب رسول الله ﷺ أصحابه يوماً فقال : « أيها الناس اتقوا هذا الشرك ؛ فإنه أخفى من دبيب النمل ، فقال له من شاء الله أن يقول : وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال : قولوا اللهم إنا نعوذ بك من أن تشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغرك لما لا نعلمه ». • ويقول - ﷺ - « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء ، يقول الله - ﷺ - إذا جزى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كتم تراءون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ». • ويقول الله تعالى في الحديث القدسي : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من

عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » .

- يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً يوم القيمة : « ... لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به ؟ قال : نعم ، قال : فقد سألك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم : أن لا تشرك بي ، فأبیت إلا الشرك » .
- اللهم نعوذ بك من الشرك : كبيره وصغيره ، عظيمه وحقيره ، اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلم ، ونستغفر لك ربنا لما لا نعلم ، ولا حول ولا قوة إلا بك .



٢- فضل الإيمان وضرورته

- إن أجلَّ وأثمنَ وأعظمَ ما في الوجود هو الإيمان ، فليس شيءٌ في الوجود المشهود أو الغائب أعظمَ من الإيمان ؛ فما أرسلت الرسل ، ولا أنزلت الكتب ، ولا قام سوق الآخرة : ... فِرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفِرِيقٌ فِي السَّعْيِ ، إِلَّا مِنْ أَجْلِ الْإِيمَانِ : ... وَمَنْ يَكُفُرُ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلَهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ ، فليس شيءٌ من الأعمال - أيًّا كان - ينفع يوم القيمة بدون الإيمان ، مهما كان العمل شريفاً وجليلاً ، ما لم يأت مقورونا بالإيمان الصحيح ، مشرباً به : وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا .
- وفي الجانب الآخر : فإن الإيمان لا يبقى معه ذنبٌ مهما كان كبيراً أو عظيماً ما لم يكن شركاً : إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشَرِّكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشَرِّكُ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِنْمَا عَظِيمًا ، فالمؤمن إلى رحمة الله سائرٌ : ابتداء أو انتهاء ، فمن تلبّس من المؤمنين بذنب دون الشرك بالله تعالى ، فهو تحت مشيئة الرحمن ، إن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم أدخله الجنة ، وإن شاء غفر له ابتداء برحمته وفضله ؛ فلا يبقى للمؤمن ذنب مع الإيمان ، ولا ينفع الكافر طاعةً بغير الإيمان .
- أيها الإخوة : إذا كان الإيمان بهذه المكانة العظيمة ، والمرتبة الرفيعة : فما حقيقته التي يحصل بها هذا الفضلُ الكبير؟
- إن الإيمان : هو التصديق الجازم بلا تردد ولا شك بكل ما جاء عن الله تعالى ، مما بلغت به الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ، وخاتمهم محمدٌ ﷺ ، إيمان صادقٌ صحيح ، قد اطمأنَّ به القلب ، وسكنَت إليه النفس ، وارتاحَ له الضمير .
- لا يُزحِّمه عن إيمانه المتشككون ، ولا يُزيله عن عقайдته المبطلون ، قد رسم

الإيمان في قلبه رسوخ الجبال ، لا تهزم أحدات الحياة ، ولا تُفسدُه تقلبات الزمان ، قد رضي بالله ربًا لا شريك له ، وإلهًا لا ندًّ له ، قوله الحق ، وقضاؤه العدل ، وحكمه الخير .

- يرى ربه بعين قلبه في كل مكان ، ويتمس لطفه ورحمته في كل شيء ، قد أسع نعمه على خلقه ظاهرة وباطنة ، عم بها المؤمن والكافر ، والصالح والطالع ، كلهم يتقلبون في فضله ، ويستمتعون بإحسانه .
- خير الله إلى البشر نازل ، وشرهم إليه صاعد ، يتقرب إليهم بالنعم والخيرات ، ويقابلونه بالمعاصي والمنكرات ، فلا يبادرهم بالتنممة ، ولا يعاجلهم بالعقوبة : *وَلَوْيُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ ذَآبَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ* .
- فالمؤمن مشفق من تقصيره وذنبه ، والكافر متماض في ضلاله وتفریطه : *قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرِبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا* .
- أيها الإخوة : إن المؤمن الحق لا يحول ولا يزول ، ولا يُدْلِلُ ولا يغير ، لا متنه لعمله ومقاصده ومراداته إلا الله ، يرجو لقاءه ويخاف عذابه : *مَنْ آمَّوْمَنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا يَدْلُوْا تَبْدِيلًا* ، إنه الإيمان الصادق الذي لامس شغاف القلب ، وخالف اللحم والدم ، فلا ينفك عن صاحبه حتى يلقى الله تعالى به .
- بهذا الإيمان يكابد المؤمن الهموم ، يدافع الكروب ، فهو زاده في الدنيا ، إذا أصابته سراء شكر ، وإذا أصابته ضراء صبر ، لا يسخط على ربه أبداً ، يتلذذ بالضراء كما يتلذذ بالنعماء ، قد رضي بقضاء ربه وقدره ، حلوه ومره ، ينادي مع الحبيب المصطفى ﷺ : « ... إن لم يكن بك عليٌ غصب فلا أبيالي ، ولكن

عافیتک اوسُع لی ॥

- أيها الإخوة : هذا هو الإيمان الذي ينفع صاحبه في الدنيا ، وينجيه في الآخرة .
وهو ضرورة للإنسان ، لا يتصور الاستغناء عنه ، ولكم أن تتصوروا كيف
يكنُ أن يعيش الإنسان بلا إيمان ، فهذا الحيوان يموت كما نموت ، ولكنَّه في
مأمن من خوف الموت وهول المطلع ، والحيوان يجوع كما نجوع ، ولكنَّه في
مأمن من هم الرزق وكرب الحاجة ، وهو أيضاً يتمتع بالحياة كما نتمتع ،
ولكنَّه في راحة ما يأكل النفوس من : الحسد ، والنفاق ، والحسد ، والخيانة ،
والافتراء ، وهو يدافع عن نفسه كما ندافع ، ويسفك الدماء ويفترس ليشبع ،
لكنه لا يفعل ذلك ترقاً ، ولا تكبراً ، ولا سرفاً ، أمَّا هذا الإنسان الهملوع
الجزوع الطامع ، المتعطش للدماء ، فلا علاج يشفيه ، ولا أملَ يخلصُه من
هذه الأمراض الفتاكَة إلا الإيمانُ وحده ، وبغير الإيمان يصبح الإنسان أسوأ
الخلائق حظاً ، وأشدُّها شقاء ، وأرذلها مصيرًا .

- أيها الإخوة : ما أحوج الفقيرَ منا إلى الإيمان القوي ، الذي يُريحُ قلبه ، ويسكنُ روعه ، حتى يقنعَ بما قسم الله له ، ويرضى بما آتاه سبحانه ، فلا يتطلعُ إلى ما في أيدي الناس ، ولا يزدرى نعمة الله عليه .
 - وما أحوج المريضَ منا إلى الإيمان الراسخ ، الذي يقوى نفسه ، ويطمئنُ روحه ، ويعلمُ بيقين لا يخالجه شك : أن ما أصابه لم يكن ليخطئه .
 - وما أحوج الغنيَّ منا إلى الإيمان الصادق ، الذي يطهّر قلبه من الشح ، ويزكي نفسه من البخل ، فيخرجُ من ماله ما أوجبه الله عليه من الحقوق الواجبة ، والنفقات المفروضة ، طيبةً بها نفسه .
 - وما أحوج المظلوم فينا إلى الإيمان الكامل ، الذي يملأ قلبه ، ويريح نفسه ،

ويسكن روعه ، فلا يخالجه شك ولا ريب ، بعدها قديمة ربانية قريبة ، لا ظلم فيها ولا حيف ، ثرث فيها الحقوق ، ويقتضي فيها من الظالم .

• وما أحوجَ السُّلْطَانَ فِينَا إِلَى الإِيمَانِ الصَّحِيحِ ، الَّذِي يَعْصِمُهُ مِنَ الْبَطْشِ
بِالرَّعْيَةِ ، وَيَكْفُهُ عَنِ الْخَوْضِ فِي الْمَالِ بِغَيْرِ رُوْيَا ، وَيُدْفِعُهُ لِلْحُكْمِ بِالْعَدْلِ
وَالسُّوْيَا .

• وما أحوجَ الشَّابَ فِينَا إِلَى الإِيمَانِ الْحَيِّ ، الَّذِي يَرْدُهُ عَنِ الْفَسَادِ وَالْغَوَایَةِ ،
وَيَحْفَظُهُ مِنَ التَّرْدِي فِي مَهَاوِيِّ الْفَوَاحِشِ وَالرِّزَايَا .

• وما أحوجَ الْجَرْمَ فِينَا إِلَى الإِيمَانِ الْفَاعِلِ ، الَّذِي يَسُوقُهُ إِلَى التَّوْبَةِ النَّصْوَحِ ،
وَيَعْصِمُهُ مِنَ الْعُودَةِ وَالْإِنْتِكَاسِ .

• ما أحوجنا جميعاً - أيها الإخوة - إلى الإيمان : الآباء والأمهات ، والمعلمون
والطلاب ، والشرطة والقضاة ، والعامة والعلماء ، والعمال والصناع ، كُلُّنا
بلا استثناء في حاجة إلى الإيمان ، الذي يُزكي قلوبنا ، ويصلح سلوانا ، فما
الذي يكُفُّ القوي عن بطشه ، وينفع السُّلْطَانَ عَنْ ظُلْمِهِ ، وَيُوقَفُ الْجَرْمُ عَنْ
حَدِّهِ ؟

• وما الذي يُعِينُ المبتلى على همّه ، ويساعد المكروب في غمّه ، ويثبتُ المسلم
في دربه ، إنه الإيمان - أيها الإخوة - ملاذ المسلم في كل زمان ، وحصن
المؤمن في كل مكان ، زاد الصالحين ، وعدة المتقين : مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا
بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ يُكْلِ شَيْءٌ عَلَيْمٌ .



٣- الحكم لله تعالى وحده

- منذ أول الدهر والله تعالى يكلاً البشر بالرسل الكرام - عليهم الصلاة والسلام - تسوسهم وتقودهم ، ترعاهم وتربيهم ، كما أكرمهم - ﷺ - بالرسالات المباركات ، تحكمهم وتصلحهم ، تطهرهم وتزكيهم .
- وما زال المؤمنون بالرسل والرسالات - منذ أول الزمان - وهم يتعمدون بالتشريعات الإلهية ، ويسعدون بالأحكام الربانية ، يتحاكمون إليها إذا اختلفوا ، ويتعلمون منها إذا جهلوا ، لم يرضوا لها بديلاً ، وما أرادوا عنها محيداً .
- وهكذا أهل الإيمان في كل عصر وفي كل زمان ، لا يرضون بدين الله بديلاً ، ولا يريدون عنه محيداً ، وإنما فكيف يرضى المؤمن بالشرك بعد التوحيد ، وكيف يرضى بالضلالة بعد الهدى ، أو بالعمى بعد البصيرة ؟
- قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ آسْتَكَبُرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَتُخْرِجَنَّكَ يَدْشُعَيْبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ
مِنْ قَرِيَّتَنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتَنَا قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَرِهِنَ ﴿٦﴾ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
إِنَّ عُدُّنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّنَا اللَّهُ مِنْهَا
- أيها الإخوة : من فتح الله عينيه للنور ، وشرح صدره للهدي ، فذاق طعم الإيمان ، ونال قسطاً من اليقين : أنى له أن يعود متكسساً على عقيبه ، مرتدًا على أدباره ؟ أيرضى بالظلم بعد النور ، وبالضياع بعد الرشاد ؟
- ولقد تعاقبت الرسل والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - على حمل راية التوحيد الخالصة ، والعمل بالتزييل الحكيم ، جيلاً بعد جيل ، حتى ختموا بصفوتهم ، وانتهوا إلى سيدهم : محمد ﷺ ، علم الهدي ، ونور الدجى ، ليقود البشرية من جديد ، بما أراه الله تعالى ، من الأحكام والتشريعات : وَأَنِّي أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّسِعُ أَهْوَاءُهُمْ وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ

- فرسول الله ﷺ ، لا يحکم من عند نفسه ، ولا ينطلق من فكره ورأيه ، ولا ينبع من هواه ، وإنما يقضي بما علمه الله تعالى ، وبما أوحى إليه : **فَلِذِلْكَ فَآذَعُ وَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ إِنَّمَاتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدَلَ بَيْنَكُمْ ...**
- فهذا رسول الله ﷺ ، لا يرضى له ربه ﷺ ، ولا يرضى هو لنفسه ، أن يخرج قيد أهلة عن حكم الله تعالى ، الذي أنزله في كتابه ، فقد أدبه ربه ﷺ وأمره أن يقول للناس : ... إِنَّ أَتَتْكُمْ إِلَّا مَا يُوَحَّى إِلَيْكُمْ إِنَّمَا أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ .
- فرسول الله ﷺ ، على جلالة قدره ، ورفعه مقامه ، وعظيم جاهه ، لا يعدو أن يكون عبداً طائعاً ، يعبد ربه ، وينفذ أمره ، ويخشى أن يجحد عنه ، أو أن يعمل بغيره ؛ فقد خاطبه ربه بقوله : ... وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمْنَ الظَّالِمِينَ .
- فهذا حكم الله تعالى ، أنزله في كتابه ، وأوحى به إلى رسوله ﷺ ، فلم يستثن أحداً من الناس - أيها كان - في أن يخرج عنه ، أو أن يميل إلى غيره ، أو أن يعمل بسواء ، فالكل تحت سلطان الله تعالى وحده ، يتبعون بشرعيته ، وينقادون لإرادته ، ويعملون بأمره : * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنَّمَا إِلَهُ مِنْ دُونِنِي فَذِلْكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذِلْكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ .
- فكان حال الأمة الإسلامية على هذا الفهم ، وواقعها على هذا النهج ، عبر قرون متطاولة من الزمان ، من بعد رسول الله ﷺ ، لا يرون للشريعة بديلاً ، ولا يعرفون لها سميأً ، حتى غشاها المستعمر الأوروبي بمحاجفه وعتاده ، فعمل في الأمة عمله ، وفعل فيها فعله ، حتى أزاح الشريعة من واقع المسلمين ، وأقنع

السفهاء بتصورها وضعفها ، عن مجازاة حاجات الحياة المعاصرة ومتطلباتها ، فحكمت الأمة دهراً من الزمان بغير الشريعة ، حتى إذا أذن الله في هذا الوقت بزوال بعض الطواغيت المسلمين ، وتحرر الشعوب من الظلم والاستبداد السياسي : كان لزاماً على الأمة أن تعود إلى شريعتها ، وأن تزورب إلى دينها .

• ولكن العجب ، كل العجب ، من أناس من أبناء جلدتنا في هذه الأيام ، يتصدرون المجالس أمام الكاميرات ، ويظهرون عبر القنوات ، يجلس أحدهم متتفاخاً على كرسيه ، قد ملا الشاشة لحماً وشحاماً ، فيصبح بملء فمه ، وبكل جراءة وصفاق : « لا نريد الشريعة » ، وينادي آخر : « لا نريد حكماً دينياً » ، ويتبجح ثالث : « لا نريد كتاباً ولا سنة » ، ويجاهر رابع : « لا نريد نظاماً يرجعنا إلى الوراء » .

• وهكذا ، يصرحون بهذه العبارات الغليظة ، غير مدركون لشناعتها ووقاحتها ، غير مستوعبين أن رفض شريعة الله تعالى هو - في الحقيقة - رفض الله تعالى ، في أن يحكم عباده ، بما أراد جل وعلا : **أَفَغَيْرِ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** .

• ما يظن هؤلاء المتجرون ، حين يرفضون حكم الله تعالى ، الذي أكرم الله تعالى به عباده المؤمنين ، أتراهم يأتون بحكم أفضل من حكمه ؟ أو شريعة أحسن من شريعته ؟

• إنهم مهما حاولوا من السبل ، ومهما بذلوا من الجهد ، فلن يأتوا بجديد ، وإنما هي الجاهلية مرة أخرى ، فيستبدلون جاهلية بجاهلية ، وظلماً بظلم ، وضلالاً بضلال : **أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنْ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوْقِنُونَ** .

=====

• إن مما ينبغي أن يعرفه المسلم : أن مجرد الإيمان بالله تعالى ، على أنه : الخالق ،

والرازق ، والمحيي ، والميت : لا يعطي لصاحبها صفة الإسلام ، فهذا هو توحيد الربوبية ، الذي يؤمن به غالب المشركين في كل عصر ، حتى إن أكفر دولة معاصرة اليوم ، تكتب على عملتها المتداولة : « نحن نثق في الله ». .

- بل وحتى مشركو قريش ، الذين حاربوا رسول الله ﷺ دهراً من الزمان ، لم ينكروا هذا النوع من التوحيد ، بل أقروا به ؛ فقد قال الله تعالى عنهم : وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ حَرَقُوكُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يُؤْفِكُونَ ، ومع ذلك لم ينفعهم هذا الإيمان الفطري ، وهو كذلك لا ينفع كل من تشبه بهم في كل عصر وفي كل زمان ، فقد قال تعالى عن الشعوب البشرية المتعاقبة ، من أقرت بوجوده : وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ، فليست كل من ادعى الإيمان أصحابه .
- إن الإيمان الصحيح ، لا يحصل للإنسان بتوحيد الربوبية فقط ، حتى يضم إليه توحيد الألوهية ، الذي يستلزم أن يكون الحكم كُله : في العبادة والتشريع ، الله تعالى وحده : ... إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَّا الْأَمْرُ فَإِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ أَكْثَرُهُمْ وَلَا كُنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ .
- فليتيقِ الله هؤلاء وأمثالهم ، من معتقدات باطلة ، وعبارات غليظة ، تُعرض أمامهم للزوال ؛ فقد قال رسول الله ﷺ عن فتن آخر الزمان ، حين تتلاعب بمعتقدات الناس : « ستكون بعدى فتن قطع الليل المظلم ، يُصدِمُ الرجلُ كصدم جبه فحول الشيران ، يصبح الرجل فيها مسلماً ويسي كافراً ، ويسي مؤمناً ويصبح كافراً... » ، نعوذ بالله من ذلك .
- اللهم إنا نعوذ بك من إيمان لا ينفع ، ومن عمل لا يصعد ، ومن دعوة لا تسمع ، يا رب العالمين .



٤- حاجتنا إلى اليقين

- تستفحـل المادـية المـقيـة على حـيـاة النـاس في هـذـا الرـمان ، وـتـلـقـي بـثـقلـها على نـفـوسـهـم ، وـتـشـتـدـ بـقـسـوـتها على نـظـارـاتـهـم وـتـفـكـيرـهـم ، وـتـسيـطـرـ على اـتـجـاهـاتـهـم وـإـرـادـاتـهـم ، وـتـسـوـقـهـم بـعـيـداً عن رـغـبـاتـهـم وـمـيـوـلـهـم ، وـتـدـفـعـهـم نـحـو مـتـاهـاتـ الـحـيـاة الـقـاسـية ، وـدـرـوبـها الـمـظـلـمة ، وـتـنـقـلـهـم - رـغـماً عـنـهـم - من كـرـبـ إلى كـرـب ، وـمـن هـمـ إـلـى هـمـ .
- أـشـغالـ لا تـتـهـيـ ، وـأـعـمـالـ لا تـنـقـضـيـ ، وـمـشـكـلـاتـ لا تـنـقـطـعـ ، فـلـا يـفـيقـ أـحـدـهـمـ إـلـا مع نـهـاـيـةـ مـشـوارـ الـحـيـاة ، عـنـدـ آخـرـ درـوبـها ، وـنـهـاـيـةـ مـنـعـطـافـاتـهـا ، فـإـذـا بـهـ صـفـرـ الـيـدـيـنـ مـا يـنـفعـ لـلـآخـرـة ، قـدـ اـسـتـهـلـكـتـ الـحـيـاةـ الـمـادـيةـ بـقـوـتـهـا ، وـسـيـطـرـتـ عـلـيـهـ بـطـعـيـانـهـا ، وـأـهـمـهـ بـزـخـرـفـهـا ، حـتـىـ إـذـا سـلـبـتـهـ زـهـرـةـ شـبـابـهـ ، وـرـبـيعـ عـمـرـهـ : أـلـقـتـهـ مـتـقـاعـدـاً بـلـ حـرـاكـ ، كـعـودـ يـابـسـ فيـ صـحـراءـ الـيـأسـ وـالـقـنـوـطـ ، قـدـ اـسـتـسـلـمـ لـغـولـ الـاـكـتـتـابـ ، وـسـلـطـانـ الـقـلـقـ ، وـشـبـاكـ الـأـسـقـامـ ، قـدـ اـجـتـمـعـتـ عـلـيـهـ الـأـمـرـاـضـ الـنـفـسـيـةـ وـالـبـدـنـيـةـ ، تـنـخـرـ كـيـانـهـ ، وـتـهـدـ أـرـكـانـهـ ، حـتـىـ إـذـا دـنـتـ سـاعـةـ فـرـاقـهـ الدـنـيـاـ : لـفـظـتـهـ الـمـنـيـةـ خـارـجـ الـحـيـاةـ ، بـعـيـداً عنـ الـأـقـارـبـ وـالـأـحـبـابـ ، فـانـضـمـ إـلـىـ قـوـافـلـ الـأـمـوـاتـ ، فـيـ سـلـكـ الـبـرـزـخـيـنـ ، جـاءـ بـلـ زـادـ وـلـ عـتـادـ ، لـاـ يـدـرـيـ مـاـ يـجـيـبـ رـسـلـ رـبـهـ : «ـ مـنـ رـبـكـ ؟ـ مـاـ دـيـنـكـ ؟ـ »ـ ، فـإـذـاـ بـهـ يـصـيـحـ يـنـادـيـ فـيـ الـأـمـوـاتـ : يـقـوـلـ يـلـيـتـنـيـ قـدـمـتـ لـحـيـاتـيـ ، لـقـدـ نـسـيـ درـسـ التـقوـيـ ، وـأـهـمـهـ الـحـيـاةـ الدـنـيـاـ ، فـلـمـ يـعـدـ أـنـ كـانـ فـرـيـسـةـ مـنـ فـرـائـسـهـاـ الـمـغـلـوـبـةـ ، ضـمـنـ قـطـعـانـ وـاسـعـةـ مـنـ الـبـشـرـ ، مـنـ : هـمـ قـلـوبـ لـاـ يـفـقـهـونـ بـهـاـ وـهـمـ أـعـيـنـ لـاـ يـبـصـرـونـ بـهـاـ وـهـمـ ءـاذـانـ لـاـ يـسـمـعـونـ بـهـاـ أـوـلـتـيـكـ كـاـلـأـنـعـمـ بـلـ أـصـلـ هـمـ أـوـلـتـيـكـ هـمـ الـغـلـفـلـوـنـ .
- أـيـهـاـ الـإـخـوـةـ : إـنـ غـالـبـ النـاسـ ، مـنـ درـجـ عـلـىـ هـذـهـ الـأـرـضـ : يـقـرـونـ بـالـلـهـ تـعـالـيـ خـالـقـاـ ، وـيـؤـمـنـونـ بـنـهـاـيـةـ الـدـنـيـاـ ، وـيـعـتـقـدـونـ بـالـيـومـ الـأـخـرـ وـالـبـعـثـ ، إـلـاـ

أنهم يفتقرن إلى اليقين الراسخ ، الذي يدفعهم إلى البحث بجدٍ عن سبيل الله الصحيح والأخذ به ؛ فكم هم الذين تاهوا عن سبيل الرشد ، وأعرضوا عن نهج المدى ، وأصرروا على ما هم عليه من الباطل بعد ما تبين لهم الحق ؟

• وكم هم أيضاً من ولدوا في الإسلام ، وعرفوا الدين الحق ، ومع ذلك لا يعملون به ، فتراهم يحيون في شكٌّ من وعد الله وموعده ، تعرف منهم وتنكر ؟

• إنهم جميعاً يفتقرن إلى اليقين الصادق ؛ فلا اليهود ولا النصارى ، ولا غيرهم من أهل الأديان الباطلة يؤمنون بما يعتقدون ؛ بل هم في الحقيقة في شك وريب من أديانهم ، وإنما هو الظن والخرص والتخمين ، ... وما يتبع
أكْثُرُهُمْ إِلَّا ظَنَّاً إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحِقْقِ شَيْئاً

• أيها الإخوة : ثلاثة مستويات من اليقين ، إذا رسمت في الأمة : نالت موعد الله تعالى في الدنيا والآخرة :

• أولها : اليقين بعالم الغيب : ... وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ؛ بحيث تصبح أخبار الوحي عن عالم الغيب جزءاً أساسياً في بناء الأمة ، يعيشها الناس كما يعيشون عالم الشهادة ، فلا تغيب عنهم حقائق عالم الغيب وأثارها في نفوسهم وسلوكياتهم حتى لا تتبدل طبائعهم ، وتقسوا قلوبهم ، كما قست قلوب من قبلهم .

• وثانيها : اليقين بحكم الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ : فلا يخالف الأمة شكٌّ في أنهما الحق المطلق ، ولا يدخلها ريب بأنهما مراد الله من عبيده ، ألمهم الإيمان والعمل بهما ، أَفَحُكْمُ الْجَنَاحِيَّةِ يَعْلَمُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ، فإذا فعلوا ذلك بصدق وإخلاص : نصرهم الله تعالى ، ومكّن لهم في الأرض : وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدِوْنَ بِإِنْرِسٍ لَّمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِإِيمَانِنَا يُوقِنُونَ .

- وثالث مستويات اليقين : اليقين بقضاء الله وقدره ، فلا يجري في كونه إلا ما أراد : كمّا وكيفاً ، زماناً ومكاناً ، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فليس في الكون قوّة تستطيع أن تغيّر قضاءَ قضاه الله تعالى ، سواءً كان قضاءً محبوباً له سبحانه ، أو قضاءً مبغوضاً له ، فكل ما يجري في الكون قضاوه الذي قضاه ، وقدره الذي قدّره ، يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْمَمُ الْفُقَرَاءِ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ إِنْ يَسِّأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِيْكُمْ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ .
 - أيها الإخوة : بهذه المستويات الثلاثة من اليقين : اليقين بعالم الغيب ، واليقين بشرع الله ، واليقين بالقضاء والقدر ، بهذه الثلاثة ثُنَال الإمامة في الدنيا ، وتحصل السعادة في الآخرة ، وما لم تعمل الأمة الإسلامية على ترسيخ اليقين بهذه الشعب الثلاث : فإن الفرقـة السياسية ، والضياعـ الفكري ، والتخلـفـ الحضاري هو مصيرها المحتوم في الدنيا ، وأما مصيرها في الآخرة ، حين تقدمـ على ربها وقد فرـطـتـ في طاعته : فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا .
- =====

- أيها الإخوة : اليقين ثمرة زيادة الإيمان ، والالتزام مسلك التقوى ؛ فإذا رسمـ الإيمان ، وتمـكـنتـ التقوى ، وقويـ قلبـ العبدـ بهـماـ : ظهرـ عندـ ذلكـ اليقـينـ ، وأشرـقتـ فيـ القـلبـ أـنوارـهـ ، وبـدتـ عـلـىـ السـلوكـ آـثـارـهـ ، فـلاـ شـكـوكـ ولاـ اـرـتـيـابـ ، ولـكـنـ رـسوـخـ وـانـصـيـاعـ .
- إذا نظرـ المـوقـنـ : نـظـرـ بـنـورـ اللهـ ، وإـذاـ تـكـلمـ : تـكـلمـ فـيـ اللهـ ، وإـذاـ عـمـلـ : عـمـلـ للـلهـ ، قدـ أـشـرـبـ قـلـبـهـ حـبـ اللهـ تـعـالـيـ ، واستـقـرـتـ نـفـسـهـ عـلـىـ طـاعـتـهـ سـبـحـانـهـ ، فـلاـ يـحـولـ وـلاـ يـزـولـ ، وـلاـ يـحـيدـ وـلاـ يـمـيلـ .
- يـقـيـنهـ أـرـسـىـ مـنـ الجـبـالـ ، وـأـقـوىـ مـنـ الـحـدـيدـ ، فـلاـ يـخـشـىـ إـلاـ اللهـ ، يـخـافـ سـطـوـتـهـ ، وـيـرجـوـ رـحـمـتـهـ ، قدـ فـرـغـ قـلـبـهـ مـنـ الـخـلـقـ ، وـنـفـضـ يـدـهـ مـنـ النـاسـ ، فـلاـ يـسـأـلـ إـلاـ

الله ، ولا يطلب إلا إيمانه .

- أيها الإخوة : ولئن كان اليقين هبةً من الله تعالى ، يُؤتى بها من يشاء من عباده المؤمنين : فإن أسباب بلوغ هذه المنزلة متاحةً للعالمين ، لمن شاء أن يرتفع بنفسه في مدارج الكمالات الإنسانية ، ويرتفع بروحه عن حضيض المادية الطاغية .
- إلا أنَّ السبيل الوحيد نحو اليقين الصادق يتلخص في أمرين :
- الأول : هو العلم الراسخ بالوحي المبارك ؛ بحيث يتشرّبه القلب ، وتستقر به النفس ، ويطمئن به الضمير .
- والثاني : هو العمل الخالص من أنواع الشرك ، النقيٌّ من شوائب الرياء ، فليس للناس من عمله نصيب ، لا يعنيه ثناؤهم ، ولا يضرُّه عتابهم ، قد استوى كلُّ ذلك عنده ؛ إنما مراده وجهُ الله وحده دون سواه .
- في العلم الراسخ ، وبالعمل الخالص يبلغ العبد المؤمن منزلة اليقين .
- اللهم بفضلك بلّغنا مراتب المتقين ، وارفعنا بكرمك إلى منازل الصديقين ، وارزقنا العلم النافع ، والعمل الصالح ، واجعلنا من عبادك الموقنين يا رب العالمين .



٥- الحقيقة الغائبة

- في خضم أحداث الحياة المتنوعة ، وفي دروبها المتشعبّة ، ومشاغلها المختلفة : يقف المؤمن ليتأمل ساعة في مجريات الحياة ؛ ينظر في متغيراتها الكثيرة ، ويتفكر في تداعياتها السريعة ، حتى إذا أدام النظر ، وأطال الفِكْر : عاد إلى نفسه حزيناً يائساً ، قد دخله هم كبير ، وأحاط به كرب شديد ، من هول ما يرى ويعاين من مآسي المسلمين وأحزانهم ؛ فأينما تأمل ، وحيثما نظر ، فليس إلا مظالم كبيرة تحوط الناس ، وقتل ذريع يعصف بهم ، وبؤس شديد يطحّنهم ، أحزان متراكمة ، وجروح متفاقمة ، وكروب متابعة ، لا يكاد المتفائل يسعد بشيء .
- لقد عمّت المظالم طبقات الناس ، وجوانب الحياة ، ومفاصل المجتمع ؛ مظالم سياسةً واقتصادية ، وأخرى اجتماعية وأسرية ، ما يكاد أحدّهم يتّرأس حتى ينطلق في الناس بطشاً وتنكيلًا ، يفتّك ويضطهد ، وينهب ويظلم .
- وكم رأينا في المجتمع من كان وديعاً هيناً علينا ، حتى إذا مُكِّن من سلطة أو رئاسة - أيّاً كانت صغيرة أم كبيرة - تحول هذا الرئيس إلى وحشٍ عاتٍ كاسر ؛ فبرزت له أنّيابُ فَثَاكَة ، ومخالبُ أخَاذَة ، يفترس بهما ويبيطش ، حتى اقترنت السلطة - في مجتمع اليوم - بالظلم والبطش ، فاسودت الدنيا في أعين الشرفاء ، وضاقت بهم الأرض ، وأغلقت عليهم أنفسُهم ، من شدة ما يرون ويعاينون .
- حتى إذا ملك اليأسُ الرجلَ منا ، وأحاط به الهم من كل جانب ، وحاصره الظلم من كل صوب ، حين أغلقت الأبواب ، وصُفِّدت الأيدي ، وكمّمت الأفواه ، وعمَّ الفساد ، حتى إذا بلغ البؤس متهاه ، ووصل اليأس ذروته ، واستحكِم في الناس القنوط ؛ فلا منفذ ولا مخرج : عندها ، حين تنقطع السبل ، ويفقدُ الأمل ، ويعتم التّشاؤم : عندها تحضر في النّفوس الحقيقة الكبرى ، التي

طالما غَفَلَ عنها المظلومون ، ونسىها المُحْرَمُون ، إنها الحقيقةُ الغائبةُ عن أذهانِ
المُجْرِمِين ، المُحْجَوَّبَةُ عن عقولِ الظالِمِين ، إنه الله ﷺ ، بِسُلْطَانِهِ الْكَبِيرِ ، وبِطَشِّهِ
الشَّدِيدِ ، وعلمهُ الْوَاسِعِ ، ورقابتهِ الْكَامِلَةِ .

- تظهر هذه الحقيقة العظيمة للبائسين ، وتتجلى للحايرين ، حتى تمتليء بها
نفوسهم ، وتنشرح بها صدورهم ، فيقوى اليقين بها ، وتنشد القلوب لها ، فلا
يُقْنَى لِلْيَائِسِ الْبَائِسِ إِلَّا اللَّهُ ، يَلْوِذُ بِجَنَابِهِ ، وَيَتَعَلَّقُ بِأَعْتَابِهِ ، وَيَنْتَرِحُ عِنْدِ بَابِهِ ،
قد نَفَضَ يَدَهُ مِنَ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ ، وَقَطَعَ رَجَاءَهُ عَنِ الْعَالَمِينَ ، فَلَمْ يَعُدْ فِي قَلْبِهِ إِلَّا
اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ ، يَبْثُثُ عَنْهُ شَكْوَاهُ مِنْ ظُلْمِ الْمُعْتَدِلِينَ ، وَيَرْفَعُ إِلَيْهِ دُعَاهُ مِنْ
كِيدِ الْمَاكِرِينَ : أَمَّنْ تُحْبِبُ الْمُضْطَرُ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْسِفُ السُّوءَ ، حَتَّى إِذَا
آسَتِيَّعَسَ الرُّسُلُ وَطَنَوْا أَهْمَمَ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصَرُنَا فَنَحِيَ مَنْ لَشَاءَ وَلَا يُرَدُّ
بِأَسْنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ .
- أيها الإخوة : ما ظن هؤلاء الظالِمِينَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، أَيُظْنُونَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَعْلَمُ
قِبَحَ أَفْعَالِهِمْ ، وَسُوءَ أَعْمَالِهِمْ ، وقد قال جَلَّ شَانِهِ : وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنَّ
يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلِكُنْ طَنَتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا
مِمَّا تَعْمَلُونَ .
- أَمْ أَنْهُمْ يَظْنُونَ أَنَّهُ ﷺ غَافِلٌ عَنْ قِبَحِ صَنْعِهِمْ ، وقد قال عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : وَلَا
تَحْسَبُنَّ اللَّهَ غَيْفًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشَخَّصُ فِيهِ
الْأَبْصَارُ ﴿٤٦﴾ مُهْطِعِينَ مُقْبِنِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْدَاهُمْ هَوَاءُ .
- أَمْ أَنْهُمْ يَظْنُونَ أَنَّهُمْ لَنْ يُعْثِروا ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ : ... قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَبْعَثُنَّ
ثُمَّ لَتُنَبِّئُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ .
- أيها الإخوة : إِنَّ مَا يَجْرِي مِنْ مُظَالَمٍ بَيْنَ النَّاسِ ، سُوءَ كَانَ بَيْنَ حَاكِمٍ وَمُحْكَمٍ ،
أَوْ رَئِيسٍ وَمَرْءَوْسٍ ، أَوْ كَفِيلٍ وَمَكْفُولٍ ، أَوْ رَجُلٍ وَأَهْلِهِ ، أَوْ وَالِدٍ وَوَلْدِهِ ،

كُلُّ ذَلِكَ مَحْفُوظٌ وَمَسْجُلٌ فِي كِتَابٍ لَا يَغْدِرُ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا إِلَّا أَحْصَاهَا :
 وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوْمَ لَنَا مَا لَنَا
 الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا إِلَّا أَحْصَنَهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا
 يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ، فَلَا أَحَدٌ بُنَائِي عن الْمَحَاسِبَةِ ؛ فَإِنْ فَاتَهُ الْمَحَاسِبَةُ وَالْعَقُوبَةُ
 فِي الدُّنْيَا ، فَأَنِّي لَهُ أَنْ يَفْلُتُ مِنْهُمَا فِي الْآخِرَةِ .

- فَلِيَطْبِ الْمُظْلُومُونَ نُفْسًا ، وَلِيَصْبِرُوا وَلِيَحْتَسِبُوا ، فَعُمَّا قَلِيلٍ تُتَكَشَّفُ الْحَقَائِقُ ،
 وَيُظَهِّرُ الْمَكْنُونُ ، وَيَقُومُ الْعَدْلُ الْإِلَهِيُّ ، فَيُقْضَى بَيْنَ الْخَلَاقِ : وَنَصَّعَ
 الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ
 مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا هُنَّا وَكَفَى بِنَا حَسِيبَتْ .
- إِنَّهُ الْوَعْدُ الْحَقُّ ، الَّذِي لَا رِيبٌ فِيهِ ، وَلَا شُكُّ مَعَهُ : يَأْتِيْهَا الْأَنْسَابُ إِنَّ وَعْدَ
 اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرُّنُكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرُّنُكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ .
- إِنَّهُ يَوْمُ الْعَدْلِ الْمُطْلُقُ ، وَالْحَقُّ الْكَامِلُ ، فِيَّ تَعْسِيَةِ الظَّالِمِينَ ، وَيَا فَوْزَ الْمُظْلُومِينَ :
 وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلَّهِ الْقَيُومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا هَضِمًا .

=====

- لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ الْإِنْسَانَ لِيَعْشِيْ هَمْلًا ، وَلَا لِيَحْيِي سَدَىً ، فَيَأْتِيْ مَا يَشَاءُ ، وَيَنْدِرُ مَا
 يَشَاءُ ، كَحَالِ السَّائِمَةِ مِنَ الْأَنْعَامِ .
- وَلَا كَلَّفَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ حَمْلَ الشَّرِيعَةِ إِلَّا لِيَسْأَلَهُ وَيَحْسَبَهُ ، فَمَا بَالِ أَنْاسٍ
 يَخْوُضُونَ الْحَيَاةَ لَا يَبَالُونَ وَلَا يَتَفَكَّرُونَ ، يَعْشِيْ أَحَدُهُمْ زَمَانَهُ كَلَّهُ فِي مَظَامِنِ
 مُتَتَالِيَّةِ ، وَمَفَاسِدَ مُتَنَوِّعَةَ ، فَلَا يَبَالُ بِدَمِ سَفْكِهِ ، وَلَا بِعَالٍ اغْتَصَبَهُ ، وَلَا بِجُرمَةِ
 انتِهَاكِهَا ، وَلَا بِحُقْقِ ضَيْعَهِ .
- يَنَامُ الظَّالِمُ مُلْءُ جَفُونِهِ : قَرِيرُ الْعَيْنِ ، هَادِئُ الْبَالِ ، كَأَنَّهُ مَا صَنَعَ شَيْئًا ، وَلَا

اقترف منكراً ، ويفقى أصحاب الحقوق المسلوبة ، والحرمات المنهوبة ،
والدماء المسفوكة : يتضورون من حرقة ما أصابهم من الكرب ، ويتأملون من
شدة ما نزل بهم من الهم .

- لا يعرفون حلاً لأزماتهم ، ولا يهتدون سبيلاً لحقوقهم ، قد أغلقت الدنيا في
وجوههم ، وأوصدت الأبواب دونهم ، حتى إذا يئسوا من الأسباب ، وقطعوا
من الوسائل : تذكروا الحقيقة الكبرى ، فتوجهوا بقلوب منكسرة ، ونفوس
مهزومة ، إلى مسبب الأسباب - ﷺ - يحطون عنده حاجاتهم ، ويطرحون
عنه مظالمهم ، وعندها يقول رب في عاليائه : « ... وعزتي وجلالي
لأنصرنك ولو بعد حين » .
- اللهم ادفع عن المظلومين ، ورد كيد المعتدين ، واحفظ حرمة المستضعفين ،
ولا تسلط علينا بذنبينا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا ، يا أرحم الراحمين .



٦- إلى الله المصير

- لا تخلو حياة الإنسان من مصائب ونكباتٍ وفتنٍ تلحق به ، تصاحبُه في مسيره في الحياة الدنيا ، فترتيد أحياناً وتشتد حتى يُشرف صاحبها على الملاك ، وتضعف أحياناً أخرى وتلين ، فتمر بسلام وأمان ، وبين شدتها وضعفها مراتب أخرى من القسوة واللذين يُصاب بها الناس ، فيتفاوتون في درجات تحملهم ، ويتباينون في قدرات طاقاتهم ، ويختلفون في حجم فهمهم وتقبلهم لما نزل بهم مما يكرهون .
- إلا أن أسوأ ما يمكن أن يصيب الإنسان في حياته ، وأرداً ما يمكن أن يصل إليه حاله ، هو أن ينسى مسيره إلى الله تعالى ، ينسى متهاه الوحد ، الذي لا يحيد عنه ، ولا مناص منه ، فيغفل عن أكبر حقيقة جاءت بها الرسل والأنبياء عليهم جميعاً الصلاة والسلام .
- إن المصير إلى الله هو نهاية مطاف الخلق ، ومتنهى سعيهم ، أحبوا ذلك أم كرهوه ، أرادوه أم رفضوه ، فما من مكلف إلى وهو يسير إلى الله ، لا يتاخر منهم أحد ، ولا يفوت منهم واحد ، كلهم إليه يُساق ، فأين تراهم يُفلتون من هذا المصير ، وأين تراهم يهربون من هذه النهاية .
- إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَكَ فَإِنَّمَا يَتَرَكُ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ .
- لقد تواترت الأخبار عن الأنبياء العظام - عليهم جميعاً الصلاة والسلام - أن الكون يؤول إلى زوال ، وأن الدنيا تسير إلى نهاية ، وأن المكلفين من الجن والإنس سوف ينقسمون إلى فريقين لا ثالث لهما ، فريق في الجنة وفريق في السعير : وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ .

- إنها الحقيقةُ الكبرى التي يتلهي إليها الناس ، والمصيرُ المحتوم الذي يؤول إليه الخلق ، فيسرون نحوه يقطرين وغافلين ، مستبصرين وساهين ، الكل يُساق إلى هذه النهاية : المسلم والكافر ، الصالح والفاجر ، الكل يتظاهر نهايته ، ويتحين ساعته ، فلا يغيب عن موعده إنسان ، ولا يبعد عن موطنه أحد ، كلهم إلى مصيره سائر : **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۖ**
- إنها آجال ماضية ، وساعات محدودة ، وأزمان محسوبة ، لا يتقدمها أحد ، ولا يتأنّر عنها فرد ، كلهم يسير إلى مصريعه الذي حدده الله تعالى له : زماناً ومكاناً ، لا يتجاوزه بوقت ولا بوضع : **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَبِرِّيلٍ عَلَيْكُمْ حَفَظَةٌ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۚ ۝ ثُمَّ رُدُوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَانَهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِيبِينَ ۖ**
- يقول رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ، ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أين منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشام منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق ثمرة » .
- ويقول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: « إنكم في مر الليل والنهار في آجال منقوضة ، وأعمال محفوظة ، الموت يأتي بغتة ، فمن زرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة ، ومن زرع شراً يوشك أن يحصد ندامة ، ولكل زارع ما زرع ». إن الخلق يمضون إلى حساباتهم ، حين تُفرش لهم في صحائف طوال عراض ، لا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها : **يَوْمٌ نُنَزِّعُ عَرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۖ** ، فسعيدٌ مبت Hwyج بصحابته ، ينادي بأعلى صوته في محضر القيمة :

... هَاؤُمْ أَقْرُءُوا كِتَبِيَّةً ﴿١﴾ إِنِّي طَنَنْتُ أَنِّي مُلِقٌ حِسَابِيَّةً ، لم يتمالك نفسه من عظيم فرحته بكتابه ، حين أخذه بيديه ، فأخذ ينادي الخلائق من حوله ، حتى يشاركونه فرحته ، ويغبطوه على نجاته ونجاهه : ... ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

• وأخر شقي تعيس بصحائفه ، يصبح بأعلى صوته في محضر القيامة : ... يَلَيَّتِي لَمْ أَوْتِ كِتَبِيَّةً ﴿٢﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةً ﴿٣﴾ يَلَيَّتِهَا كَانَتِ الْقَاضِيَّةَ ﴿٤﴾ مَا أَغْنَى عَنِي مَالِيَّةً ﴿٥﴾ هَلَكَ عَنِي سُلْطَانِيَّةً ، وهذا الآخر أيضا لم يتمالك نفسه ، لعظيم ما نزل به من الهم والكرب ، حين أخذ كتابه بشماله ، فأخذ ينادي في الخلائق لعلهم يعزونه في مصابه الشديد ، أو يجد منهم شفيعاً أو نصيراً ، ولكن هيئات : فَمَا تَنَفَّعُهُمْ شَفَاعَةُ الْشَّفِيعِينَ ، إنما هي السلسل والأغلال والجحيم ، وبئس المصير.

• أيها الإخوة : هذه هي الحقائق التي تنتظر الخلق عما قريب ، فليس لأحد ملاذ يلوذ به ، ولا حصن يأوي إليه ، ولا حجاب يحتجب به : يَوْمٌ لَيْلٌ تُعَرَّضُونَ لَا تَحْفَنَّ مِنْكُمْ خَافِيَّةً ، فلمثل هذا اليوم فأعدوا واستعدوا .

=====

• إننا جميعاً لا ينقصنا علم بالآخرة ، ولا تنقصنا معرفة بشروط الفوز يوم القيمة ، وليس لدينا شك فيما جاءت به الرسل ، وخاتمهم محمد ﷺ ، فكلنا على يقين بالموت ، والبعث ، والجنة والنار .

• وقد استقر في نفوسنا جميعاً أن النجاة عند الله تعالى ، إنما هي بالإيمان والعمل الصالح ، ومع كل هذا يحيى كثيراً منا على غير مقتضى هذه المعتقدات اليقينية ، وكأنهم لن يموتون ، ولن يُبعثوا ، ولن يحاسبوا !!

- إن جماعاتٍ كبيرةً منا تحيا غافلةً عن هذه الحقائق ، ساهيةً عن المصير المحتوم ، تعيش هملاً ، وتحيا عطلاً ، لا يبالون بأفعالهم ، ولا يعبأون بأقوالهم ، لا هم لهم إلا أن يُشعروا شهواتهم ، ويتحققوا نزواتهم ، قائلهم الهوى ، ورائدهم البطش ، غرّهم حلم الله عليهم ، وما أمدتهم به من القوة والسلطان ، والصحة والعافية .
- لا يبالي أحدهم بظلم الناس ، ولا يكتثر لنهب الأموال ، ولا يأبه بفساد الحياة وضياع الحقوق .
- ألسنة سليطة للسباب والكذب ، وأيدٍ عنيفة للبطش والتنكيل ، وقلوب قاسية لا تعرف الرحمة إليها سبيلاً : *أَلَا يَظْنُنُ أُولَئِكَ أَهْمَمْ مَبْعُوثُونَ ﴿١﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢﴾ يَوْمَ يَقُومُ الْأَنْاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ* .
- لقد غرّهم الأمل ، وتمادت بهم الأماني ، واستحکمت فيهم الغفلة ، حتى نسوا ما أمامهم ، وظنوا أنهم إلى الله لا يرجعون .
- إن هذا الصنف الرديء منخلق ، قد تخلل جميع طبقات الناس ؛ فقد تجده حاكماً مستبداً ، وقد تجده مديراً متسلطاً ، وقد تجده والداً قاسياً ، أو ولداً عاقاً ، أو فقيراً متكبراً ، أو معدماً حقوداً ، فالغفلة عن المصير ليست خاصة بالسلاطين والأغنياء ، وإنما هي سلوك قد يقع فيه أشخاص من جميع طبقات الناس ، فاحذروا أيها الإخوة أن تكونوا منهم ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .



٧- يقظة المسلمين الإيمانية

- منذ أن أنزل الله تعالى الإنسان على الأرض وهو - بفضله ﷺ - يكلؤه بالرسل والرسالات ، حتى لا يضلّ السبيل ؛ فيشغل بال الدنيا عن الآخرة .
- وعلى الرغم من كثرة الرسل والرسالات : فليس من بينها رسالة تحمل أسباب البقاء والخلود ، إلا رسالة محمد ﷺ .
- فقد خص الله رساله الإسلام بأسباب البقاء والدوام على مر العصور والدهور ، فلا يزيدها تعاقب الأيام والأزمنة والعصور إلا قوة ومنعة وثباتاً .
- فقد استعانت رساله الإسلام الخاتمة على معاول الهمم الداخلية والخارجية ، وصمدت أمام موجات التغيير والتبدل والتعطيل ، فبقيت ناضرة زكيّة كما كانت .
- فقد صمد القرآن الكريم لفظاً ومعنى ، في وجه هجمات التحريف والتعديل والتأويل الباطل ، فبقي شامخاً راسخاً في روح الأمة وفي كيانها ، يحفظها - بإذن الله تعالى - من الزوال والاضمحلال .
- كما صمدت الشخصية النبوية الحمدية ، بأقوالها وأفعالها وتقريراتها أمام العابثين والكاذبين والمفترّطين ، ترجمة صادقة للقرآن الكريم .
- لقد بقىت سنة محمد ﷺ متألقةً ببهاء شخصيته العظيمة ، تعيش حية مع المسلمين ، عبر قرون متطاولة من الزمان ، تثبت للدنيا : أنَّ محمداً ﷺ هو الإنسانُ الأول بلا منازع .
- ولقد بقى هذان المصدرين العظيمان - القرآن والسنة - منذ دهور مضت : متلازمين متعاضدين ، يبيان في الأمة أسباب الحياة والبقاء .
- ولقد بقى مع الكتاب والسنة أمّةُ محمد ﷺ ، بكل ما تحمله من النقص والتفريط

والذل والاقتراق ، بقيت وستستمر إلى آخر الدهر ، كما وعد الله تعالى .

- لقد بقىت أمة محمد ﷺ مع الكتاب والسنة ، مستعصية على أسباب الفناء والاضمحلال والذوبان ، خالدة بخلود الوحي المبارك .
- وسوف تبقى هذه الأمة - بما تحمله من أسباب البقاء - ما بقي الإنسان على هذه الأرض ، تحمل دينها تارة ، وتعثر به تارة أخرى .
- لقد ارتبطت حجة الله في الكتاب والسنة بأمة محمد ﷺ ، فهي الأمة الشاهدة على العالمين ، مع كل ما انتابها من النقص والتقصير والتغريب .
- إن الروح الإيمانية بدرجاتها المختلفة تسري في جسد الأمة المتهالك ، تبث فيه الحياة ، وتنعشه بعد الرقاد ، وتوقظه بعد الغفلة .
- حتى إن جذوة الإيمان لا تنطفئ من قلوب المسلمين - مهما فرّطوا وقصروا وأسّروا - تخبو ساعة ، وتتوقد ساعة أخرى ، يتقلبون بين اليقظة والغفلة .
- إن كلمة التوحيد الخالصة الصادقة تجمع شتات المسلمين جميعاً في جسد واحد ، وكيان متكملاً ، لا يشذ عنهم إلا منافق أو مرتد .
- فما من مسلم رضي بالله ربّا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، إلا ويحمل في قلبه من الإيمان بقدر يقينه وعمله ، وفي هذا المعنى يدخل كلُّ أهل التوحيد دون استثناء .
- إن المسلم الفاجر - مهما بلغ فجوره - في لحظة إشراقة إيمانية يعيشها ، يتتحول - بإذن الله تعالى - من فاسق إلى قانت ، ومن عاص إلى طائع ، ومن قاعد إلى مجاهد .
- وهذا التاريخ القديم والحديث شاهد على تحولات جذرية من هذا النوع في حياة المسلمين ، ينتقل بها الشخص من دركات الانحطاط والسقوط إلى درجات الطاعات والعلو .

- فإذا بشعلا الإيمان لا تزال مشتعلة في قلب العاصي لم تنطفئ رغم التفريط ، وإنما علاها الران ، حتى إذا تداركته العناية الربانية ، والرحمة الإلهية : عاد من جديد كأحسن ما يكون ، إيماناً ويقيناً و عملاً ، كأنه ما اقترف شيئاً ، ولا فعل منكراً .
- أيها الإخوة : إن هذا الإيمان الذي استقر في نفوس المسلمين جميعاً ، هو رصيد الأمة وثروتها الحقيقية التي تعتمد عليها في مسيرها في الحياة ، وترتكز عليها في مواجهة مشكلاتها وأزماتها .
- إن إيقاظ الأمة من غفلتها ؛ بتحريك جذوة الإيمان فيها : هو مشروع أمتنا الحضاري المرتقب ، الذي نواجه به أزماتنا المتنوعة ، وصراعاتنا المختلفة .
- لقد أدرك أعداؤنا خطورة هذا المشروع الإسلامي الإيماني : فحالوا دون الأمة ويقظتها الإيمانية ، بكل ما أوتوا من وسائل المكر والخداع والتضليل .
- فقد استخدمو قواهم السياسية والاقتصادية والفكيرية والإعلامية والعسكرية : ليعجذروا على مشروع الأمة الإيماني الحضاري .
- ومع ذلك فقد أثبت التاريخ أن أمّة الإسلام لا تفنى ولا تبيد ، ولا تستأصل من جذورها ، وسوف تبقى - رغم ضعفها وهوانها - إلى الأبد ، تنهض تارة ، وتتعثر تارة أخرى .
- ولكن أن تنظروا - أيها الإخوة - هذا الذي نزل بأهل الشام ، لو نزل على أمّة أخرى ، أكان يبقى منهم أحد ؟ ولكنها أمّة الحالدة الباقة ، رغم أنوف الكافرين والمنافقين والمخاذيين ، شاء من شاء ، وأبى من أبى .
- لقد علّمنا دروس التاريخ في القديم والحديث : كيف أنّ الأمة تستيقظ بال المصائب ، وتفيق بالنكبات ، وتنهض بالصدمات ، فتنتفع بذلك وتنطلق .
- لقد كان الاستعمار الأوروبي الغاشم يقطة للأمة ، حرك فيها ما لم تحركه الخطب ولا الموعظ ولا الفتاوى .

- وكذلك معارك الأمة الحديثة في أفغانستان والعراق وفلسطين والبوسنة والهرسك والشيشان وغيرها كثیر : أثبتت قوة الأمة ورسوخها ، وقدرتها على المقاومة والثبات .
- أعداد يسيرة من رجال المقاومة هنا وهناك - بكل ما يحملونه من نوافض وتقدير وأخطاء - يقفون في مواجهة الغزاة الغربيين والشرقيين .
- وها هم الغزاة المنهزمون ، يلتمسون الواسطة مع أشاؤوس جبال أفغانستان ، وأبطال العراق ، وفرسان فلسطين ، يبحثون معهم حلولاً سلمية ، حين عجزوا عن قهرهم .
- ولقد انكسرت جيوش الاتحاد السوفيتی عند جبال أفغانستان من قبل ، فصمد الشعب المسكين طوال ثلاثة عقود من الحروب .
- وقبل بضع سنوات : تعطلت الجيوش الأمريكية في شوارع بغداد والموصل والفلوجة ، لا تدری كيف تتخلص من أزمتها العسكرية .
- وها هي المقاومة الفلسطينية - على مرّ سنوات - تصمد أمام الإبادة والمحاصرة الاقتصادي ، وتحول الأزمة الفلسطينية لعنة على اقتصاد العالم ، الذي أخذ يتربّح بأزماته .
- أيها الإخوة : قد لا تتفق مع توجهات هذه المقاومات ، ولا نرتضي بعض أساليبها وأهدافها ، ولكنها دروسٌ حيّة لنا ، أثبتت : أن الإرادة أقوى من السلاح .
- أيها الإخوة : إذا كان بعض مبتدعة المسلمين يقفون صامدين في مواجهة الغزاة المستعمرین ، فكيف بأهل الحق إذا نهضوا بهذا الواجب الشرعي الجليل ؟
- بل كيف لو نهضت الأمة الإسلامية بأكملها ، وأخذت دينها بقوة كما أمر الله تعالى ، فمن تراه يستطيع أن يقف في وجهها ، ومن ذا يستطيع أن يقاوم مدها ، إنها حينئذ تفتح البلاد بالتكبير والتهليل .

• أَعُوذ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ : يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَيُئْتِيَتُ أَقْدَامَكُمْ ٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّا لَهُمْ وَأَصَلَّ أَعْمَالَهُمْ .

=====

• أَيْهَا الْإِخْوَةُ : إِنَّ أَوَّلَ خَطْوَاتِنَا فِي مَشْرُوْعِنَا الإِيمَانِيِّ الْحَضَارِيِّ الْحَدِيثُ : أَنْ نَتَلَمَّسْ مَكَانِنَ قُوَّتِنَا ، وَأَنْ نَتَعَرَّفْ عَلَى مَصَادِرِ نَهْضَتِنَا ، ثُمَّ نَعْمَلْ بِجَدٍ عَلَى إِثْارِهَا وَتَحْريِكَا وَتَفْعِيلِهَا .

• وَمَا لَمْ نَكُنْ جَادِينَ فِي هَذِهِ الْخَطْوَةِ ، آخَذِينَ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي أَمْرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا ، فَلَنْ نَتَوَقَّعْ تَحْسُنًا فِي أَحْوَالِنَا ، أَوْ افْنَارًا فِي أَزْمَاتِنَا .

• إِنَّ هَذَا الْمَشْرُوْعَ الْحَضَارِيِّ الْعَظِيمِ ، وَأَمْلَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْكَبِيرِ : يَشْتَرِكُ فِيهِ الْجَمِيعُ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ ، لَا يَشْدُدُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَلَا يَتَأْخِرُ مِنْهُمْ فَرْدٌ ، الْكُلُّ يُسْهِمُ بِقَدْرِ مَا أَتَاهُ اللَّهُ مِنْ عِلْمٍ وَجَهْدٍ وَإِرَادَةٍ ، فَالْعَالَمُ بِدُرْسِهِ وَعِلْمِهِ ، وَالْعَابِدُ بِصَلَاتِهِ وَذَكْرِهِ ، وَالْعَامِلُ بِجَهْدِهِ وَعَمْلِهِ ، وَالْمَرْأَةُ بِتَرْبِيَّتِهَا وَرِعَايَتِهَا ، وَالْطَّفَلُ بِحِفْظِهِ الْكِتَابَ وَإِتْقَانِهِ .

• فَالْكُلُّ يُشَارِكُ فِي يَقْظَةِ الْأُمَّةِ ، وَيُسْهِمُ فِي بَنَاءِ مَشْرُوْعِنَا الْحَضَارِيِّ الْكَبِيرِ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي بَيَانِ شَمْوَلِ الْمَسْؤُلِيَّةِ لِكُلِّ أَفْرَادِ الْجَمِيعِ : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُلٌ عَنْ رِعْيَتِهِ ... » .

• فَلَنَكُنْ جَمِيعًا - أَيْهَا الْإِخْوَةُ - أَعْصَاءِ عَامِلِينَ فِي هَذَا الْمَشْرُوْعِ الْمُصِيرِيِّ ، وَلَا يَكُنْ أَحْدُنَا مُثْبِطًا ، وَلَا مُخْذِلًا ، وَلَا إِمْعَةً ، فَوَيْلٌ لِمَنْ كَانَ مَفْتَاحًا لِلشَّرِّ مَغْلَقًا لِلْخَيْرِ ، وَهَنِئَّا لِمَنْ كَانَ مَفْتَاحًا لِلْخَيْرِ مَغْلَقًا لِلشَّرِّ .



٨- الشخصية المنافقة

- الإنسان خلوق عجيب وفريد ، لا يطابق المخلوقات الأخرى ولا يشبهها ، فهو عجيب في طبيعته وطبائعه ، فريد في أخلاقه وسلوكه ، ليس ملكاً ، ولا شيطاناً ، ولا حيواناً .
- قد خلقه الله بيده تshireفاً وإحساناً ، وسخر له الكون عطاً وإنعاماً ، وحمله الأمانة إلزاماً وتكتليفاً ، فتلئ الناس أمام هذا التشريف الرباني ، والتكليف الإلهي ، فمنهم المؤمن الكريم ، ومنهم الكافر الأثيم ، ومنهم المنافق اللئيم ، فتوزعت النفوس البشرية بين هذه الأطياف العقدية الثلاثة ، فمنهم المؤمن ، ومنهم الكافر ، ومنهم المنافق .
- فأما المؤمن ، فقد تشرب بالإيمان قلبه ، واستنار بالوحى عقله ، واستقام بالموعدة سلوكه ، قد رضي بالله ربأ ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، فهذا بأفضل المنازل ، حتى وإن وقع في التقصير ، وصدر عنه الخطأ ، فهو تواب أواب ، لا يصر ولا يستكبر ، ولا يتجرأ ولا يستحرق ، إذا أذنب عاد ، وإذا أخطأ أنساب .
- وأما الكافر ، فقد أبدى صفحته ، وأفصح عن حقيقته ، وجاهر بالكفر ، فلا ربأ واحداً عبد ، ولا إلهآ فرداً وحد ، قد رفض الدين الحق ، ورضي بالدين الباطل ، فهو واضح العقيدة ، صريح البيان ، قد طابق باطنه ظاهره .
- وأما المنافق ، فلا آمن إيماناً صحيحاً ، ولا كفر كفراً صريحاً ، قد تلئن بألوان البيئة من حوله ، وتشكل بأشكالها ، وتنكر بأزيائها ؛ فيلبس لكل حال لبوسه ، ويرتدى لكل مقام رداءه ، فلا يبالي أن يمسي مؤمناً ، ويصبح كافراً ، أو يمسي كافراً ، ويصبح مؤمناً ، فدينه مطیعه لبلوغ مأربه ، ووسيلته لنيل مقاصده ، يتمصلح بالدين ، كما يتمصلح التاجر ببضاعته ؛ فحيثما وجد مرجحاً مادياً

توجه إليه ، وحيثما صادف مغنمًا يمْمَ نحوه ، لا يفرق بين حلال وحرام ،
ولا يميز بين حق وباطل .

- معياره الوحيد ، ومقاييسه الفريد هو أن يتحقق مصالحه ، ويؤمنُ أطماعه ؛ فحيثما كانت المصلحة وجدته قائماً يقطاً ، كأنشط ما يكون ، وحيثما غابت المصلحة ، وفقدت المنفعة : لم تجده هناك .
- يقول حذيفة - رضي الله عنه - في وصف حال هؤلاء الأصناف من بني آدم : « القلوب أربعة : قلب أجرد فيه سراجٌ يُزَهِر ، فذلك قلب المؤمن ، وقلب أغلف ، فذلك قلب الكافر ، وقلب منكوس ، فذلك قلب المنافق ، عرف ثم أنكر ، وأبصر ثم عمي ، وقلب تملأه مادتان ؟ مادة إيمان ومادة نفاق ، هو لما غالب عليه منهما » .
- أيها الإخوة : إن الشخصية المنافية من أعجب أشكال بني آدم ، ومن أغرب أطوارهم الإنسانية ؛ فهي شخصية متلونة بكل الألوان البشرية ، وقابلة للتشكل في جميع القوالب البيئية ، ومتفوقة ببراعة في أساليب التأقلم الاجتماعية ؛ فحيثما وقعت الشخصية المنافية من البيئات الاجتماعية المختلفة : تشكلت بأشكالها ، وتأقلمت بأنماطها ، حتى يحاز البصیر في اكتشافها ، ويعجز القطن عن تمييزها ؛ فقد أتقنت أدوارها ، وأحكمت طرائقها ، حتى تبدو وكأنها الحقيقة التي لا شك فيها ، والصدق الذي لا ريب معه .
- ومع كل هذا الغموض الذي يلفُ الشخصية المنافية ، ومع كل هذه المراوغة التي تكتنفها ؛ فإن المؤمن المستبصر بنور الله ، التمسك بحبه المتين : لا تخفي عليه ألاعيب المنافقين ، ولا تنطلي عليه حيلُهم ، ولا تمضي به أدوارهم ، فهو يعرفهم بسيماهم ، ويُميّزُهم بسلوكيهم ، ويكتشفهم بأقوالهم .

- وقلَّ في المنافقين من يستطيع أن يكتم ما في نفسه ، وقلَّ فيهم من يمكنه السكوتُ عما في قلبه ، فلابد من عبارات تفضحه ، وسلوكيات تكشفه ، فما يزال مرض قلبه ينazuعه حتى يُصرّحَ بما فيه ، وما يزال ضيق صدره يدافعه حتى يبوحَ بما يحويه .
- حتى إذا وضع على المحك الأخلاقي ، وجمعته الأقدار في موقف اجتماعي : انكشفت نفسه المظلمة ، وبيانت روحه المتننة ، وظهر للعيان قبحُ طويته ، وحقارةُ شخصيته ، في سلوك أخلاقي أرعن ، ونمط اجتماعي بغيض ، قد جمعسوء كله ، ونبذ الخير كله ، كما وصفه رسول الله ﷺ بقوله : « أربعٌ من كن فيه : كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلةٌ منها : كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصلم فجر ». • فانظروا - يا عباد الله - كيف جمعت الشخصية المنافية كلَّ هذا السوء الخلقي ، والقبح السلوكي ؛ فالكذبُ الصرير المتكرر الذي لا صدق معه ، والخيانةُ البالغة التي لا أمان ولا استقرار معها ، والغدرُ الماكر الذي لا عهد ولا وفاء معه ، والفجورُ القبيح الشنيع الذي لا أدب ولا ذوق معه .
- وهكذا - أيها الإخوة - تكشف الشخصية المنافية عن تراكمات هائلة من قبائح النفس وسقطاتها ، وتتشع عنها القشور عن حجم كبير من الفساد الخلقي المنتن ، ويتفسخ عنها الجلد عن عورات فاضحة مخجلة .
- ولو قُدِّر للناس أن يطلعوا على ما في قلب المنافق الخالص من الأمراض المزمنة المستعصية : لعلموا أن الكافر الأصليَّ خيرٌ منه نفساً ، وأقلُّ منه فساداً .
- ولو قُدِّر للمنافق أن يتمكَّن من رقاب الناس : لأذاقهم من عظيم البلاء ، وشدة البأس ، ما يعجز الواصفون عن وصفه ، ويحار المراقبون في تقديره ،

فهم الغاية في الفساد ، والمتى في الضلال ، فلا أفسد منهم ولا أضل .

• وصدق الله تعالى إذ يقول : يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرٌ قَدْ بَيَّنَا لَكُمُ الْآيَتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ هَنَّا شُرُّ أُولَئِكُمْ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا تُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوْكُمْ فَالْأُولَاءِ آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا عَصُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَاءِ مَلَ منَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْمٌ بِذَاتِ الْأَصْدُورِ ﴿١٧﴾ إِنْ تَمْسِكُمْ حَسَنَةً تَسُؤُهُمْ وَإِنْ تُصْبِكُمْ سَيِّئَةً يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ .

=====

• إن النفاق خطير عظيم ، وسلك سقيم ، فهو مردٌ سحيق ، ومهبطٌ عميق ، ليس دونه منزل ، وليس بعده مقام ، فهو أسفلُ السافلين ، وأحطُّ الحالين ، لا يبلغه إلا من بلغ المتى في الشر ، والغاية في الكفر ؛ فإن أقبح وأرذل وأحطُّ دركٍ ينزل إليه الإنسان هو أن يكون منافقاً ، فليس دون هذا الدرk منزلٌ أسفلٌ منه يهوي إليه المجرم : إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّرُكِ أَلَّا سَفَلٌ مِّنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا .

• ولهذا كان حذر السلف من النفاق أشد ما يكون ، وخوفهم من مسالكه أعظم ما يمكن ، حتى قال ابن أبي مليكة في وصف حاهم : « أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم ينحاف النفاق على نفسه ... » ، حتى إن عمر بن الخطاب ﷺ على جملة قدره ، وعظيم مقامه في الإسلام ، يلح على حذيفة رض حتى يزكيه ، خشية أن يكون منهم .

• أيها الإخوة : هذا حال السلف مع النفاق ، فما هو حال الخلف معه ، في عصر استشرى فيه النفاق ، وعمت مسالكه الأرجاء ، حتى أصبح النفاق

خلق الأذكياء ، والمداهنةُ سبيل الفطنة ، وعلت الصيغات الآثمة باستنفاص
الدين ، والاستهزاء بشعائره ، ونال الأسافل من الأكابر ، وعلا الأراذل على
الأكابر ، حتى استتر كثير من الناس بدينهِم ، وتحفُّوا بعقائدهم ، خوفاً من
بطش المنافقين وانتقامهم .

- ولئن صحَّت تسمية هذا العصر باسم ، فهو عصر النفاق ، فأنى للإيمان أن
يجد في هذا العصر ملذاً ؟



٩- مخازي المنافقين في القرآن

- يتفاوت الناس في مراتب الخير بين أعلىها وأدنائها ، كما يتفاوتون أيضاً في دركات الشر ، بين سيئها وأسوئها ، إلا أن أسوأ حالات الإنسان ، وأرداه أحواله ، وأخبث منازله : أن يكون منافقاً خالصاً ، يبطن الكفر ، ويظهر الإسلام ، فهو حينئذ في أقبح وأرذل دركات الإنسان على الإطلاق .
- وقد ظهر النفاق أول ما ظهر في المدينة بعد غزوة بدر ، فقد هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة وليس فيها منافقون ، إما مؤمنون ، أو وثنيون ، أو يهود ، فلما انتصر المسلمون في بدر ، وأعز الله جنده ، لم يجد الوثنيون بدلاً من التظاهر بالإسلام ، للانتفاع بالمكاسب المادية ، والحصول على المكانة الاجتماعية ، وتجنب العزلة السياسية .
- دخل المنافقون في المدينة بين صفوف المسلمين ، يخالطونهم في كل أنشطتهم : الروحية ، والاقتصادية ، والسياسية ، وحتى الجهادية ، لا يتنعون عن شيء من ذلك .
- يصلون خلف النبي الأعظم ﷺ ، ويستمعون إلى التنزيل الحكيم ، ويعاينون الآيات وهي تتحدث عنهم ، وتبئهم بما في قلوبهم ، فما من موقف خزي يقعون فيه إلا جاءت آيات القرآن كالصواعق تكشف زيفهم ، وتهتك ستارهم ، وتبُش ما في صدورهم من الغل والحسد على المؤمنين : سَمِّدُوا الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُتَبَّعُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِّ أَسْتَهِزُ إِنَّ اللَّهَ مُحْرِجٌ مَا تَحْذِرُونَ .
- لقد عانى النبي ﷺ والمسلمون معه من أذى المنافقين ، فقد كانوا يتحينون الفرصة المناسبة ، والواقف المواتية ليثروا سموهم ، وأمراضهم ، ومفاسدهم بين صفوف المؤمنين : لَوْ خَرَجُوا فِيهِمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وَضَعُوا خَلَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ

- يعملون في ظلام ، ويسلكون في أنفاق ، لينفذوا إلى أغراضهم الخسيسة ، ومقاصدهم الحقيرة ، حتى إذا كشف الله أمرهم ، وتهتك ستراهم : حلفوا بالله على براءتهم ، وأقسموا الأيمان الغليظة على ولائهم : **سَخْلِفُوْنَ بِاللَّهِ مَا قَالُوْا وَلَقَدْ قَالُوْا كَلِمَةَ الْكُفَرِ وَكَفَرُوْا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمُوْا بِمَا لَمْ يَنَالُوْا ...**
- إذا سمعوا موعد الله ، أو موعد رسوله ﷺ : كذبوا وأنكروا واستهجنوا ، لا يصدقون بشيء من ذلك : **وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُوْنَ وَالَّذِيْنَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُوْلُهُ إِلَّا غُرُورًا ...**
- وإذا رأوا تصديق المؤمنين وإيمانهم العميق بوعد الله ووعد رسوله ﷺ : استنكروا ذلك وتعجبوا منه : **إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُوْنَ وَالَّذِيْنَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِيْنُهُمْ ...**
- ولقد بلغت الوقاحة ببعضهم أن يعلنوا الشتمة فيما بينهم لرسول الله ﷺ : **يَقُولُوْنَ لِئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِيْنَةِ لَيُخْرِجُنَّ أَلَأَعْزُّ مِنْهَا أَلَأَذْلَّ ...**
- أيها الإخوة : لقد حفل القرآن الكريم في العديد من سوره بذكر هذه الفئة البشرية الحقيرة ؛ فتوسع في أخبارهم ، وأمعن في أوصافهم ، حتى كاد يذكرهم بأسمائهم من شدة عناية القرآن بهؤلاء المجرمين ، فما يكاد أحدهم يقول قوله ، أو يسلك سلوكاً ، أو حتى ينوي أمراً : إلا نزلت آيات القرآن كالسياط تلهم ظهورهم ، وتهتك ستورهم ، وتكشف خبایاهم ، حتى إذا افتضحاوا : هرعوا يخلفون بين يدي رسول الله ﷺ على صدق ولائهم للإسلام والمسلمين : **وَسَخْلِفُوْنَ بِاللَّهِ إِلَيْهِمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَيَكُنْهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُوْنَ** .
- لقد سجل تاريخ السيرة النبوية جمعاً كبيراً من مخازي المنافقين مع رسول الله ﷺ والمؤمنين ، كان من أخطرها تأمُرُهم مع المشركين على المؤمنين ، ومحاولتهم

اليائسة لقتل رسول الله ﷺ في غزوة تبوك .

- إن المؤمن الصادق ليذهل من حجم مفاسد المنافقين في زمن النبي ﷺ ، كيف طابت نفوسهم بكل هذه المخازي الكثيرة : العقدية والأخلاقية والسلوكية ، وهم يشاهدون أنوار النبوة تسطع حول محمد ﷺ ، ويعاينون معجزاته تُبهر العقول ، ويسمعون الآيات تتلى في كل مكان ؟ ثم لا يتوبون ولا يتذكرون .
- أيها الإخوة : إن النفاق رجسٌ عظيم ، وانحطاط شديد ، وقاع عميق ، لا قاع بعده : إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّرُّكِ أَلَّا سَفَلٌ مِّنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا .
- إذا تلبّس النفاق الأكبر بقلب إنسان فلا تسأل عن حاله ، ولا تفتّش عن مآلـه ، فقد بلغ المتلهى في الشر ، ووصل الغاية في الضلال ، فهو العدو الأكبر : الله ولرسوله وللمؤمنين : ... هُمُ الْعَدُوُ فَأَحَدُهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّ يُؤْفَكُونَ .
- وما كان النفاق بهذه الحقارـة والوقاحة كان السلف أحـدـر الناس منه ، وأكثرـهم تـوقـيـاً له ، وخـوفـاً منه ، حتى قال قـائلـهم : « لا يـأـمـنـ النـفـاقـ عـلـىـ نـفـسـهـ إـلـاـ مـنـافـقـ ».
- وقال ابن أبي مليكة : « أدركت ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ كلـهـمـ يـخـافـ النـفـاقـ عـلـىـ نـفـسـهـ ... ».
- اللهم إنا نـعـوذـ بـكـ مـنـ النـفـاقـ وـالـشـقـاقـ ، وـسـوـءـ الـأـخـلـاقـ ، وـنـعـوذـ بـكـ مـنـ قـبـحـ الـخـصـالـ ، وـرـدـيـءـ الـطـبـاعـ .

=====

- إذا كان هذا واقع النفاق زمن أنوار النبوة الحمدية ، وعصر التنزيل المبارك ، والقرن الأول المفضـلـ : فـماـ حـالـ النـفـاقـ فـيـ العـصـورـ الـمـتـاـخـرـةـ ، بلـ ماـ حـالـ النـفـاقـ فـيـ عـصـرـنـاـ هـذـاـ ، الذـيـ رـقـ فـيـهـ الدـيـنـ ، وـاـخـتـلـ فـيـهـ الـفـهـمـ ، وـغـلـبـتـ عـلـيـهـ الـأـهـوـاءـ ؟

- لقد تهياً للمنافقين في هذا العصر ما لم يتهيأ لهم في أي عصر مضى ، وذلك من خلال عوامل ثلاثة :
 - العامل الأول : هو التمكّن السياسي ، بحيث يتخدون ما شاءوا من القرارات التي تؤيد باطلهم ، وتنصر أفكارهم .
 - والعامل الثاني : هو توافر الوسيلة الإعلامية ، التي توصل آراءهم الباطلة إلى الجماهير ، لا سيما في هذا العصر الذي افتح فيه العالم بعضه على بعض .
 - وأما العامل الثالث : فهو ضعف المقاومة الإسلامية ، التي لم يعد لصوتها قوة ، ولم يبق لها مكان ، ولم يعد لمقامها شأن يُلتفت إليه .
 - أيها الإخوة : ولقد سلك منافقو هذا الزمان ثلاثة طرق لهدم الإسلام ، أو على الأقل لإضعاف قوته ، وخلخلة أسسه وقواعدـه :
 - الطريق الأول : زعزعة الثوابـت الدينية ؛ بحيث لا يبقى للمسلم فكرة دينية ثابتة ، فكل مفاصل الدين وأسسـه - بما فيها المعتقدات - ليس بينها مفهوم ثابت ، فالكل قابل للنقاش والنقد والمراجعة ، بل والإلغاء أحياناً .
 - الطريق الثاني : إلغاء مبدأ المقدسات والمحترمات الدينية ، فلا يبقى في حسـن المسلم شيء - أيـا كان - يُوصف بالتقديس أو الاحترام ؛ بحيث تزـال هالة الإجلال والتقدـير عن كلـ شيء ، بما في ذلك الدين ومفاهيمـه ، فلا يبقى عند المجتمع شيء مقدسـ .
 - الطريق الثالث : إلغـاء مبدأ التخصص الشرعي ؛ فلا ينحصر تفسـير النصوص الشرعـية في المتخصصـين الشرعيـين من العلمـاء والباحثـين ، وإنـما يعم الجميع ، فالكل يفسـر كـيف يشاء ، فلا وصـاية لأحد على أحدـ .
 - أيها الإخوة : هذه معالم النفاق في عصرنا هذا فاحذروها ، وتنبهوا لها ، ومن ظنـ أنـ النفاق قد انتهى بـانتهـاء زـمن النبـوة ، فهو إنـما منافق يـرد التـهمـة عن نفسه ، وإنـما جـاهـل لا يـفقـهـ ما يقولـ .



١٠- الفضيل بن عياض من التيه إلى الرشد

- عالم فاضل زاهد محدث ، كبير الشأن ، جليل المقام ،جاور البيت الحرام ، دهراً من الزمان ، يتعبد ويتتسك ويتبتل لله تعالى .
- يتسب إلى علماء القرن الثاني الهجري ، من القرون المفضلة ، التي ذكرها رسول الله ﷺ بالفضل والمكانة فقال : « خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .
- والعجيب في شأن عالمنا هذا ، أنه بدأ حياته فاسقاً ظالماً لنفسه ، قد أسرف وفرط كثيراً ؛ فقد كان يقطع الطريق على الناس ، ويأكل الحرام ، ويجترئ على الموبقات ، ولا يالي بالمعاصي والمنكرات .
- لقد بدأ حياته غافلاً عن الله تعالى ، ساهياً عن المصير إلى الآخرة ، منشغلًا عن الحساب والسؤال ، قد شغله الشباب بعنفوانه ، وأهله الصحة بقوتها .
- غفلات متلاحقة ، ومشاغل متتابعة ، وسهو طويل ، فقسا القلب ، وتصبّلت المشاعر ، وتحجرت العين ، لقد بلغ الرجل المتهى ، ووصل إلى النهاية .
- وما درى الغافل الساهي : أن له عند الله تعالى قدرًا صالحًا ، وقضاءً مباركاً ، وساعة طيبة .
- حتى إذا أراد الله تعالى هدايته ، وإيقاظه من غفلته ، وتنبيهه من سهوته : فتح الله قلبه لآية من القرآن الكريم ، سمعها بقلبه قبل أن يسمعها بأذنيه ، وكأنه ما سمعها إلا تلك الساعة ، فوّقت الآية موقعها من قلبه ، ووعتها النفس اللوامة المسّرفه ، فكانت الساعة المباركة ، واللحظة الموفقة .
- لقد كان حَدَثُ هدايته غريباً عجيناً ، فقد تسوّر جداراً على جارية قد عشقها ، ويريد أن يصل إليها ، حتى إذا بلغ الجدار ، فإذا بصوت قارئ يقرأ في سكون

الليل ، وقد وصله صوته خاشعاً من بين البيوت المجاورة ، يتلو قول الله تعالى :

* أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَطَ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُوْبَ .

فإذا بالآية العظيمة تشق ظلام الليل إلى مسامع الرجل ، فتخترق الحجب التي أحاطت عقله ، وتجاوزت الرين الذي غلف قلبه .

- وإذا بمعاني الآية الجليلة ، ومراميها العظيمة ، وما تحمله من إشارة الم שאعر ، وتحريك الشجون : تهُزُّ الرجل من الداخل ، وتدفعه بقوة نحو اليقظة والانتباه .
- وإذا بالنائم يستيقظ ، وإذا بالغافل يتتبَّه ، وإذا بالتأئه يسترشد : إلى متى الغفلة والضياع ، إلى متى السهو والنسوان ؟
- وإذا به يجيب ربه عَبْدَهُ ، فيقول : « بلى يا رب قد آن » ، نعم قد آن للشارد أن يرجع ، وللتائه أن يعود ، وللغافل أن يتتبَّه .
- فكانت عودةً إلى الله صادقة ، وإنابةً إلى الله صحيحة ، لا تردد فيها ولا شك ، وإنما يقين وعزّ .
- فعكف التائب على نفسه يصلحها ، وبالعلم يهذّبها ، وبالعبادة يزكيها ، فترقى بنفسه ، وعلا بذاته ، حتى كان أفضل أهل زمانه .
- إنه الإمام العالم الورع الزاهد : الفضيل بن عياض التميمي الخراساني ، المولود بسمرقند ، المتوفى عام ١٨٧ هـ .
- قال عن فضله عبدالله بن المبارك : « إن الفضيل بن عياض صدق الله ، فأجرى الحكمة على لسانه » .
- وقال أيضاً : « ما بقي على ظهر الأرض عندي أفضل من الفضيل بن عياض » .
- وقال شريك عنه : « فضيل بن عياض : حجة أهل زمانه » .

- وقال الذهبي في ترجمته : « الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام » .
- كان الفضيل رحمه الله بعد توبته : شديد الخوف من الله ، ما أن يسمع القرآن حتى يخالطه خوف شديد ، ورهبة عظيمة .
- كان الفضيل رحمه الله قليل الكلام ، كثير الصمت ، دائم الفكر ، طويل الحزن ، سريع الدمع ، وكان ذكر الموت ، وخبر الجنائز ، وحكايات المقابر : أشد الأشياء عليه .
- كان حاله إذا رجع من المقبرة ، حين يحضر الجنازة : كأنما رجع من الآخرة يحدث عنها ، قد ملأه الغم والكرب والخوف لما أمامه .
- وكان يقول : « من خاف الموت ما انتفع بطعم ولا شراب ، ولا شيء من الدنيا » .
- وكان يقول : « لو خيرت بين أن أبعث فأدخل الجنة ، وبين ألا أبعث ، لاخترت ألا أبعث » .
- وربما قال : « رهبة العبد من الله على قدر علمه بالله ، وزهادته في الدنيا على قدر رغبته في الآخرة » .
- وقال : « من خاف الله لم يضره أحد ، ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد » .
- كان رحمه الله كثير العبادة ، يصلی من الليل جالساً ، فإذا غلبته عيناه : نام ، ثم قام مرة أخرى يصلی وهكذا .
- وكان يقول : « إذا لم تقدر على قيام الليل ، وصيام النهار ، فاعلم أنك محروم ، كيئلك خطيبتك » .
- وكان كثيراً ما يعظ أصحابه فيقول : « إنما أمس مثل ، واليوم عمل ، وغداً أمل » .
- ويقول : « حرام على قلوب أن تصيب حلاوة الإيمان ، حتى تزهد في الدنيا » .

- ويقول عن أسباب قسوة القلب : « خصلتان تُقْسِيَان القلب : كثرة الكلام ، وكثرة الأكل ».
 - ويضع نَحْكَمَ اللَّهُ معياراً للتفوي ف يقول : « لا يكون العبد من المتقين حتى يأْمَنَه عدوه » ؛ يعني أنه لا يظلم أحداً من الناس ، حتى وإن كان عدواً له .
 - ويقول عن المظالم بين الناس : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَحَفَّظَ الْعَبْدُ - يعنى يكرمه - سُلْطَنٌ عَلَيْهِ مِنْ يَظْلِمُهُ ».
 - ويقول : « إِذَا أَحَبَ اللَّهُ عَبْدًا أَكْثَرَ غَمَّهُ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا وَسَعَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ ».
 - ويقول عن الشهوات : « لَنْ يَكُمَلَّ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْثِرَ دِينَهُ عَلَى شَهْوَتِهِ ، وَلَنْ يَهْلِكَ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْثِرَ شَهْوَتِهِ عَلَى دِينِهِ ».
 - ويقول عن حفظ اللسان : « لَا حَجَّ وَلَا جَهَادٌ أَشَدُّ مِنْ حَبْسِ الْلِّسَانِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَشَدَّ غَمَّاً مِنْ سِجْنِ لِسَانِهِ ».
 - سأله أحد أصحابه : « ما الخلاص مما نحن فيه ؟ قال : أخبرني : من أطاع الله هل تضره معصية أحد ؟ قال : لا ، قال : فمن يعصي الله هل تنفعه طاعة أحد ؟ قال : لا ، قال : هو الخلاص إن أردت الخلاص ».
- =====

- أيها الإخوة : الفضيل بن عياض - نَحْكَمَ اللَّهُ - نموذج من النماذج الكثيرة في التاريخ القديم والحديث ، من عرفوا الحق ، وأيقنوا بالحقيقة : فتابوا وأنابوا ، وعزموا على الصدق مع الله تعالى ، فصدقوا الله في توبتهم ، وصدقهم الله بقبولهم ، فغسل حوبتهم ، وقابلهم برحمته وفضله .
- فكم هم الذين رجعوا إلى ربهم نَحْكَمَ اللَّهُ ، فكانت لهم المكانة العالية عند الله تعالى ، والحظوظ الشريفة عند الخلق ؟ وما زال باب التوبة مفتوحاً للمنبيين وللتائبين ،

لَا يُغْلِقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا .

- أَيُّهَا الْإِخْرَوَةُ : مَا بَالَنَا قَدْ عَرَفْنَا الْحَقَّ وَأَيْقَنَّا بِهِ ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا نَعْمَلُ بِهِ ، وَلَا نَسْلِكُ مَسَالَكَهُ ؟
- لَقَدْ كَبَّلْنَا خَطَايَانَا ، وَقَيَّدْنَا ذَنْبُنَا ، حَتَّى ثَقُلَتْ عَلَيْنَا التَّوْبَةُ ، فَعَجَزْنَا عَنِ الْقِيَامِ بِدِينِنَا كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيُرِضِّي لَنَا ، فَظَلَمْ بَعْضُنَا بَعْضًا ، وَوَقَعَ كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ فِي الْكَبَائِرِ وَالْمُوبِقَاتِ .
- لَقَدْ كَانَ الْفَضِيلُ - رَحْمَةُ اللَّهِ - فِي الْحُضِيرَةِ مِنَ الدُّرُكَاتِ ، فَرَفَعَتْهُ التَّوْبَةُ إِلَى أَعْلَى الْمَنَازِلِ ، وَمَا تَرَالَ التَّوْبَةُ فِي كُلِّ عَصْرٍ تَرْفَعُ أَصْحَابُهَا ، وَتُعْلَى مَكَانَهُمْ ، فَأَيُّنَّ التَّائِبُونَ الْمُنَبِّيُونَ ؟
- أَوَّلَمْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الْظُّلْمَاتِ لَيْسَ يَخْارِجُ مِنْهَا كَذَلِكَ زُرْقَنَ لِلْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .



ثانياً : التربية الروحية

- ١ - نعمة القرآن
- ٢ - نظرات في سورة الملك
- ٣ - الإنسان بين الأمل والأجل
- ٤ - الإنسان بين الدنيا والآخرة
- ٥ - نعمة استقرار الأرض
- ٦ - التخويف بالكسوف والخسوف
- ٧ - البكاء في حياة الإنسان
- ٨ - عام هجري جديد

١- نعمة القرآن

- أينما نظر المتأمل البصير وجالت عيناه ، وأينما بحث الباحث ونقب في العلوم المختلفة ، وأينما درس الدارس وفتش في المعارف المتنوعة : يجد نعم الله تحيط به من كل جانب ، ويجد رحمته تحوطه من كل صوب ، ويجد لطفه - سبحانه - قد ملأ الوجود بأكمله .
- فما من شيء في هذا الوجود إلا وقد أسبغ الله عليه نعمته ، وكلاه بفضله ، وأحاطه بمنته ، فأينما وقع البصر في هذا الكون ، وأينما تفكر العقل في هذه المخلوقات : تلمّس الإنسان نعم الله وفضله وبركاته في كل شيء .
- ولو ذهب الإنسان ، فأنفق عمره كله ليعدّ نعم الله ما أحصاها ، ولا أحاط بها ، وصدق الله تعالى إذ يقول : **وَإِنْ تَعُدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُخْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** .
- إلا أن الناظر في النعم الربانية ، والمتأمل فيها يجد لها مراتب متفاوتة ، ودرجات متضاضلة ، ومقامات متنوعة ، فليست النعم على مرتبة واحدة ؛ فمنها ما هو لصيق بمصالح الإنسان ، ضروري لحياته ، ومهم لمعشه ، ومنها ما يأتي في الدرجة الثانية ، ومنها ما هو دون ذلك .
- إلا أن نعمة من بين هذه النعم الكثيرة ، ومنّة من بين هذه المنن الوفيرة : هي الأعظم والأجل والأبلغ ، لا تضاهيها نعمة ، ولا تنافسها مئة ، قد فاقت الجميع ، وحازت السبق ، إنها نعمة القرآن الكريم ، كلام ربنا عزّ وجلّ .
- تكلم به الله تعالى ، فتلقاءه جبريل عليه السلام عن ربه عزّ وجلّ ، ثم تلقاء عنه محمد صلوات الله عليه وسلم ، ثم تلقاء الصحابة رضي الله عنهم ، ثم تلقاء الأمة من بعدهم ، جيلاً بعد جيل ، يتناقلونه بأمانة وإخلاص وحرص ، يتلقاه الصغير عن الكبير ، والتلميذ عن

المعلم ، يتلقّنونه تلقيناً ، آية آية ، وكلمة كلمة ، وحرف حرفًا ، يتشافهون به مشافهة ، لا يزيدون ولا ينقصون ، ولا يحرّفون ولا يلحنون ، يتناقلونه فيما بينهم غضًا طریاً ندیاً ، كما أنزل أول مرة على محمد ﷺ .

- يجتمعون على موائد العامرة في بيوت الله المضيئه ، تحفُهم الملائكة ، وتحشامهم الرحمة ، وتتنزل عليهم السكينة ، ويدركهم الجبار في الملا الأعلى عنده ، فهم أهل الله وخاصته ، وحزبه وشيعته .
- استودعهم الله كتابه ؛ فألمهم حفظه واستظهاره ، وألزمهم تجويده وإتقانه ، ثم كلفهم نقله وتعلمه ، فلو يعلم حافظ القرآن ومعلّمه ما ادخره الله له من عظيم الأجرور ، وكريم العطايا ، وجزيل الشواب : ما التفت عن القرآن لحظة واحدة ، حتى يستوعب به زمانه كله ، ويملاً به وقته جله ، يتلوه آناء الليل ، وأطراف النهار ، ولو لا مساغل ضرورية ، وواجبات معاشرة : لما اشغل بغير القرآن برهة من الزمان .
- إن القرآن هو النعمة الكبرى التي أتمّها الله على هذه الأمة ، حين أكمّل لها دينها ، فيه العقيدة التي ارتضاهما ، والشريعة التي اجتباهما ، أخباره صادقة ، وأحكامه واضحة ، وعلومه شامخة ، قوله الفصل ، وحكمه العدل .
- تلاوته تضيء القلوب ، ومدارسته تنير العقول ، ورقته تشفي الأبدان والصدور ، هو الكنز الكبير ، والنبع الوفير ، لا يملُّ من تلاوته القراءون ، ولا يكلُّ من سماعه المنصتون ، ولا يشبع من علومه الدارسون .
- ما أخذ به أحد إلا اهتدى ، ولا أعرض عنه أحد إلا ضل ، وما حاربه أحد إلا هُزم ، وما عانده أحد إلا هلك ، هو الحق المطلق ، واليقين الصادق : لَا يأْتِيهَ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَزَيَّلُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ .
- أيها الإخوة : ما أعظم هذا الكتاب ، وما أجله ، وما أكرمه ، لقد بقيَ خالداً

شاغلاً على مر العصور المتلاحقة ، يقاوم أسباب الفناء ، ويدافع ظروف الاضطهاد ، ثابتاً أمام هجمات الأعداء : إِنَّا نَحْنُ نَرَى مَا لَهُو
لَكُفَّارُونَ .

- لقد صمد القرآن الكريم أمام محاولات التحريف والتزييف ، وثبت أمام موجات التأويل والتعطيل ، ووقف أمام هجمات الإبعاد والإقصاء والإلغاء .
- لقد بقي ، وسوف يبقى محفوظاً بإذن الله : برسمه ، ولفظه ، ومعانيه ، يدوك بقوته معاقل الفاسقين ، ويبيطل بمحجته دعاوى المبطلين ، ويكشف بيانه زيف الجاحدين .
- وسوف يبقى القرآن العظيم على مر العصور والأزمان : معلماً للمهتدين ، ومناراً للسالكين ، وملادزاً للخائفين ، وأنساً للمستوحشين .
- وسوف يبقى أيضاً سيفاً للمجاهدين ، به يدافعون أعداءهم ، وبه يجاهدون خصومهم : فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَهَدُهُمْ بِهِ جَهَادًا كَبِيرًا .
- اللهم أوزعنَا شكر نعمتك بالقرآن ، ووفقنا لحملها ، وألمتنا حفظها ، واغفر لنا تقديرنا ، يا رب العالمين .

=====

- أيها الإخوة : إن أعظم أفراح المؤمنين على الإطلاق هو فررحمهم بالقرآن العظيم ، فهو الفرحة الكبرى ، والبهجة العظمى ، لا تนาزعها فرحة ، ولا تضاهيها بهجة : يَتَائِبُ إِلَيْهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتُكُمْ مَوْعِظَةً مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرِحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلَيُفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ، فالقرآن هو أعظم أفراح المؤمنين ، وأجل تفهمهم .
- ولهذا أجمعت الأمة على وجوب حفظ القرآن وتعليمه ، باعتباره فرض كفاية ،

إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين ، وإنما أثمت الأمة بأكملها ، حين تقصير في حفظ القرآن وتعليمه ، فتقع في أعظم خيانة دينية .

- ولهذا توادر عمل الأمة منذ القديم - جيلاً بعد جيل - أن يكون القرآن - حفظه وتعليمه - هو الأصل الأصيل ، وأساس الأسس في تعليم الأجيال وتربيتهم ، يدخل في صلب المناهج التعليمية ، ويتصدر المقررات الدراسية ، حتى يتسبّعُ الطلاب بعلومه ، ويتأنّدوا بها آدابه .
- ولقد درجت هذه البلاد - حرسها الله - منذ عقود مضت على العناية بالقرآن : طباعته ، ونشره ، وحفظه ، والعمل به ، وهي مدعوة اليوم - أكثر من أي وقت مضى - إلى مزيد عطاء في هذا السبيل ، وإلى بذل جهد أكبر في هذا الطريق ، لتحقق بذلك فرض الكفاية ، الذي يحمي المجتمع من إثم التقصير ، في زمن قلل فيه العناية بالقرآن ، وتخلت عن حمله كثير من المجتمعات الإسلامية المعاصرة .
- لذا وجب على المجتمع التعاون ؛ فإن العناية بالقرآن مسئولية الجميع ، ينهض بها كل قادر أمين ، لا علاقة لها بأصل أو جنس ، وإنما هي عبادة عظيمة ، يشترك في أدائها المسلمين جميعاً ، بالاستماع ، والتعلم ، والحفظ ، والتلقين ، وهي على القادر المتقن أوجب ، فإن قصر أثم ، وأثم معه المجتمع بأكمله .
- إن القرآن هو مجد الأمة الأكبر ، ومستقبلها الأعظم ، فلتنتظر الأمة لمجدها ، ولتحافظ على مستقبلها ، ويا خيبة من فقد مجده ، وأضاع مستقبله .



٢- نظرات في سورة الملك

- أيها الإخوة : من معتقد أهل السنة والجماعة : التصديق بعذاب القبر ونعيمه ، فهو أول منازل الآخرة ، وأول خطوات العبد إلى اليوم الآخر ، قال رسول الله ﷺ - مبيناً طبيعة القبر ، ومقرياً لأذهاننا حقيقته - : « إن القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فإن نجا منه : فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه : فما بعده أشد منه ... ». • وقال أيضاً ﷺ : « ما رأيت منظراً قط إلا القبر أفظع منه ». • إلا أن سورة مكية عظيمة، مكونة من ثلاثين آية ، تشفع - بإذن الله تعالى - لصاحبها في قبره ، وتنجيها - بفضل الله تعالى - من عذاب القبر ، وتكون له درعاً من الأذى . • إنها سورة الملك - أيها الإخوة - التي قال عن فضلها رسول الله ﷺ : « إن سورة من كتاب الله - ﷺ - ما هي إلا ثلاثون آية : شفعت لرجل فأخرجه من النار ، وأدخلته الجنة ، وهي سورة تبارك ». • وقال رسول الله ﷺ أيضاً عن فضلها : « سورة تشفع لقائلها ، وهي ثلاثون آية ، ألا وهي : تبارك الذي بيده الملك ». • وفي رواية أخرى قال ﷺ : « إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له ، وهي : تبارك الذي بيده الملك ». • أيها الإخوة : لقد افتتحت هذه السورة بتعظيم الله تعالى ومجده ، فهو مالك الملك جل وعلا ، وهو القادر على كل شيء . • فكل ما في الوجود لا يخرج عن قبضة الله تعالى ، فهو المالك المتصرف في كل شيء ، لا يشاركه في ملكه أحد ، كائناً ما كان .

- خلق الموت والحياة ، فهو وحده سبحانه الذي يُحيي ويميت ، ليس ذلك لأحد غيره ، فالموت والحياة من مخلوقات الله ، ينجزها على من يشاء من خلقه ، فيهب هذا الحياة ، وينزل بالآخر الموت .
- خلق الموت والحياة لاختبار العباد : أَيُّهُمْ أَصْوبُ وَأَفْضَلُ وَأَنْقَنْ عَمَلاً ، فالله لا يريد من العباد كثرة الأفعال ، بقدر ما يريد إخلاصها له وحده ، وصوابها على سنة رسوله ﷺ ، فهو - سبحانه - عزيز في انتقامه لمن عصاه ، غفور لمن تاب إليه وأناب ورجع .
- وهو سبحانه الذي أنشأ السماوات السبع ، بعضها فوق بعض ، بلا عيوب من صدوع ، أو شقوق ، أو خلل ، فمهما كرر الناظر فيها بصره ، وبحث في أرجائها ، ونقب عن مكنوناتها : عجز أن يجد خللاً ، أو عيباً يعيشه .
- لقد حفظها الله تعالى بالمصابيح المنيرة والمتوجهة ؛ لتكون مراجعاً للصوص الجن ، ومراصدًا لمسترقي السمع .
- فمن كفر بعد هذه الآيات العظيمة ، والدلائل الوفيرة : فله جهنم ، يذوق من حرها الشديد ، ويتأذى بأصواتها المنكرة ، ويلاقي من غيظها ما يلاقي .
- حتى إذا ألقوا فيها ، وتهاوا في دركاتها : وَيَخْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِسُؤَالِهَا : ... أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ؟ فيصرحون عندها أن مصيبيهم كانت في التكذيب والاستكبار والإنكار .
- ويعرفون حينها بضعف عقولهم ، وقلة إدراكهم ، وسخافة أحلامهم : وَقَالُوا لَوْكُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ الْسَّعْيِ ، وكذلك كل مفرط في حقوق الله ، لا يدري أن يكون غبياً ، أو سفيهاً ، أو قليلاً الفهم .
- أما العلاء ، من أصحاب الفهوم الناضجة ، والبصائر النافذة ؛ فإنهم يخشون ربهم ، ويخافون منه دون أن يروه ، فهو لاء : ... لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ .

- فهم يعلمون علم اليقين أن الله يعلم خفايا صدورهم ، وهذا يحذرونـه ويخافونـه ويتقوـنه ، كأنـهم يروـنه - ﴿كُلُّ﴾ - رأـي العـين .
- وكيف لا يتـقوـنه في سـرـهم وفي خـلـواتـهم وهو اللـطـيف الـخـبـير ، الـذـي لا تـخـفـى عـلـيـه خـاـفـيـة ؟
- وكيف لا يـشـكـرونـه - سـبـحانـه - وقد ذـلـلـ هـمـ الـأـرـضـ ، وـمـهـدـها هـمـ كـأـحـسـنـ ماـيـكـونـ ، لـيـنـظـلـقـوا فـيـ مـنـاكـبـهاـ ، وـيـطـلـبـواـ أـرـزـاقـهـمـ فـيـ أـمـنـ وـأـمـانـ ؟ فـمـنـ يـضـمـنـ استـقـرـارـ الـأـرـضـ بـأـهـلـهاـ ؟
- ليس أحد يـضـمـنـ ثـبـاتـ الـأـرـضـ عـلـىـ حـالـهـاـ ، فـقـدـ تـخـسـفـ بـأـهـلـهـاـ ، وـقـدـ تـضـطـرـبـ ، وـيـخـتـلـ تـواـزـنـهـاـ .
- وـرـبـماـ اـسـتـقـبـلـتـ الـأـرـضـ حـجـارـةـ مـنـ السـمـاءـ ، تـهـلـكـ النـاسـ وـالـمـنـشـآـتـ ، فـهـذـاـ التـارـيـخـ الـبـشـريـ شـاهـدـ عـلـىـ عـصـاةـ سـابـقـينـ ، تـرـدـوـا عـلـىـ سـلـطـانـ اللهـ ، وـعـصـوـا رـسـلـهـ فـأـهـلـكـهـمـ : ... فـكـيـفـ كـانـ نـكـيرـ ؟
- فـمـنـ رـحـمـةـ اللهـ بـالـخـلـقـ أـنـ حـفـظـ هـمـ الـأـرـضـ سـاـكـنـةـ سـالـمـةـ طـيـةـ ، فـهـذـهـ الطـيـرـ تـسـبـحـ فـيـ جـوـ السـمـاءـ ، لـاـ يـسـكـنـهاـ وـلـاـ يـحـفـظـهاـ فـيـ ذـهـابـهاـ وـإـيـابـهاـ إـلـاـ اللهـ .
- فـإـذـاـ أـرـادـ اللهـ تـعـالـىـ هـلاـكـ الـمـجـرـمـينـ ، وـتـدـمـيرـ الـكـافـرـينـ ، فـأـيـ جـنـدـ تـراـهـمـ يـحـمـوـهـمـ مـنـ بـطـشـ اللهـ تـعـالـىـ وـسـخـطـهـ .
- بلـ لوـ أـنـهـ - سـبـحانـهـ - قـطـعـ عـنـهـ بـرـكـاتـ السـمـاءـ ، وـمـنـعـ عـنـهـ خـيـراتـ الـأـرـضـ ، فـمـنـ هـذـاـ الـذـيـ يـجـرـيـهـ عـلـيـهـمـ بـعـدـ اللهـ تـعـالـىـ .
- فـإـذـاـ بـهـؤـلـاءـ الـمـكـذـبـينـ يـتـمـادـونـ فـيـ ضـلـالـهـمـ ، وـيـزـدـادـونـ فـيـ نـفـورـهـمـ مـنـ الـحـقـ ، حـتـىـ يـنـكـبـ أـحـدـهـمـ عـلـىـ وجـهـهـ فـيـ الضـلـالـةـ وـالـجـهـالـةـ ، قـدـ عـمـيـ بـصـرـهـ عـنـ رـؤـيـةـ الـحـقـ ، وـصـمـ سـمـعـهـ عـنـ مـعـرـفـةـ الـخـطـابـ ، وـفـسـدـ قـلـبـهـ عـنـ فـهـمـ الـعـنـىـ .
- فـيـ مـقـابـلـ الـمـهـتـدـيـنـ الـمـتـعـيـنـ لـلـحـقـ ، الـمـسـتـوـيـنـ فـيـ مـشـيـتـهـمـ ، عـلـىـ الصـرـاطـ الـمـسـتـقـيمـ .

- فأية جريمة أعظم من إنكار نعم الله تعالى ، فهو الذي خلق الإنسان ، وأمده بالحواس والعقل ، ثم هو - بعد ذلك - يكفر بالله تعالى ، وينكر نعمه .
 - بل ويتجاوز حدوده لينكر لقاء الله تعالى ، ويسأله الرسول : ... مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ .
 - وليس للرسل الكرام علمٌ بالساعة ، وإنما العلم عند الله وحده ، ودور الرسل هو تبليغ الرسائل ، وإقامة الحجة على الناس .
 - فليس بين هؤلاء المكذبين ، وبين حقيقة ما يُوعدون من العذاب والانتقام ، إلا لحظة الموت القريبة الخامسة ، فإذا عاينوا العذاب : سيئت حيئته وجُوهُهُم ، وتکلّرَت نفوسُهُم ، وجاءهم التأنيب العنيف : ... هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ .
 - فمن هذا الذي يعصم الكافرين المكذبين يوم ينزل بهم عذاب الله تعالى ؟
 - وأما المؤمنون ، فمع إيمانهم بالله تعالى ، وتصديقهم بوعده ووعيده : يخافون بطشه ويرجون رحمته .
 - فهو الرحمن جل وعلا ، اللطيف بعباده ، الرحيم بالمؤمنين ، فقد آمنوا به ، وتوكلوا عليه ، وعمًا قليلٍ يكتشف الكافرون هذه الحقيقة .
 - ثم يختتم الله تعالى هذه السورة العظيمة ، بلفت أنظار الكافرين إلى نعمة الماء الجاري ، السهل التناول : كيف بهم لو غار في الأرض ، فبعد عن الأيدي ، فمن تراه يسقيهم غير الله تعالى ؟
- =====

- أيها الإخوة : سورة قصيرة في حجمها ، عظيمة في معانيها ، جليلة في مراميها ، تربط المؤمن بربه : الخالق المحبى الميت ، بديع السماوات والأرض ، المستحق

وحده للعبادة ، الذي لا تخفي عليه خافية ، رحمته قريبة ، كما أن عذابه قريب ،
لا منجي منه إلا إلهي .

- ولهذا أحبَّ رسول الله ﷺ أن تكون هذه السورة في قلب كلّ مسلم ، يقرؤها في مساءٍ كلّ ليلة ، فهي المانعةُ الحافظةُ - بإذن الله - من عذاب القبر .
- إن المسلم الحق لا يغيب عن كتاب الله تعالى : تلاوةً ، وحفظاً ، وفهمًا ، وعملاً ، ينظر في معانيه ، ويتدبر عجائبِه ، ويلاحظ مقاصدِه ، ويعمل بمحكمه ، ويؤمن بمتسابِه .
- اللهم ارزقنا من عجائب القرآن ، ولطائف معانيه ، وعظيم بركاته ، ما نُحْيى به قلوبَنا ، وترسخُ به صدورَنا ، وتُنْزَكِي به نفوسَنا .
- اللهم ذكرنا منه ما نُسِينَا ، وعلمنا منه ما جهلنا ، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا ، يا رب العالمين .



٣- الإنسان بين الأمل والأجل

- أيها الإخوة : جلس رسول الله ﷺ لأصحابه يوماً يعظهم ويذكرهم ، فرسم لهم في الأرض شكلًا مربعاً ، ثم أخرج من داخل المربع خطأً طويلاً امتد إلى خارج المربع ، ثم أشار إلى داخل المربع وقال : « هذا الإنسان » ، ثم أشار إلى حافة المربع وقال : « هذا أجله » ، ثم أشار إلى الخط المتند من داخل المربع إلى خارجه وقال : « هذا الأمل ، وهذا أجله ، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب » ؛ يعني جاءه الأجل .
- أيها الإخوة : يعيش أحدهنا حياته بآمال عريضة ، وطموحات واسعة ، وخطط شاملة طويلة الأجل ، فيتحقق كثيراً منها ، إلا أن قسماً من آماله وطموحاته تبقى مجرد أمل ورغبة لا تتحقق أبداً ، ويستحيل حدوثها ؛ لأنها وقعت خارج نطاق الأجل .
- كم من عروس عقد على عروسه فلم تُنْزَفْ له ، وكم من متخرج من الجامعة فرح بوظيفته فلم يياشر فيها ، وكم من مسافر لم يبلغ بلد़ه ، وكم من طعام أعد فلم يأكله صاحبه ، وكم من مرشد لم يبلغ مراده ، لقد حال الأجل بينهم وبين مقاصدهم : ... فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ .
- وكم من أنس يئسوا من بلوغ مقاصدهم ، وقطعوا من نيل مآربهم ، ومع ذلك بلغوا ونالوا مراداتهم ؛ فكم من فقير معدم أغناه الله بعد عجز ، وكم من ضعيف مستضعف أعزه الله بعد ذل ، وكم من مريض هالك أحياه الله بعد يأس .
- لقد نال كل قضاءه الذي قدره الله ، فلا المحرومون فاتتهم شيء مما قدره الله ، ولا المكرمون بلغوا ما لم يقدرها الله ، الكل يتقلب تحت سلطان مشيئته ، بين عدله وفضله ، لا يتجاوز أحدهم قدرَه ، لا بتقديم ولا بتأخير : كُلًا نُمِدُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٦﴾ آنُظرْ كَيْفَ

فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلأُخْرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا .

- إنها ساعات محددة ، وأزمان مقدرة ، لا عبث فيها ولا خطأ ، إنها أنفاس معدودة ، وحركات محسوبة ، لا فوضى فيها ولا صدف ، إنها أحوال معلومة ، وأرزاق مكتوبة ، لا غلط فيها ولا شطط : ... وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ .
- أيها الإخوة : إن العاقل منا : من آمن بالقضاء والقدر ، وعلم أنه ما دب على الأرض إلا ليبلغ أجله المكتوب ، ويصل إلى مصيره المحتوم ، إن عاجلاً أو آجلاً : كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ ﴿وَيَقَنُ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ، فكُلُّنا إلى الله سائرُون ، وبين يديه موقوفون ، وعن أعمالنا مسئولون ، وبأفعالنا مجذبون : مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَيْ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ .
- إنها الدنيا تغر أهلها ، وتلهي أصحابها ؛ فتشغلهم عمّا أمامهم ، من الكروب العظيمة ، والأهوال الجسيمة ، فلا يصر أحدُهم أبعد من موضع أنفه ، ولا يفهم أكثر من دراهمه ، ولا يدرك إلا قروشه ، حتى يُصبح عبداً لها ، والنبي ﷺ يدعو على هذا الصنف من الناس فيقول : « تعس عبد الدينار ، والدرهم ، والقطيفة ، والخميسة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يعط لم يرض ».
- ويقول عن عاقبة فوضى الاستكثار من الدنيا : « إن المثرين هم المقلون يوم القيمة ، إلا من قال هكذا وهكذا في حق ... ».
- والله تعالى يقول عن الحياة الدنيا : **أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنُكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ كَمَثُلٍ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَهُ مُصَفَّرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعٌ الْغُرُورِ .**
- ويقول أيضاً : **يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرِبُنُكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يُغْرِبُنُكُم بِاللَّهِ الْغَرَبُوُرُ ﴿إِنَّ الشَّيْطَنَ لَكُمْ عَدُوٌ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ**

لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ الْسَّعْيِ .

- أيها الإخوة : إن طول الأمل طبع بشرى ، مركوز في النفوس ، لا يكاد يفلت منه أحد ، ولا ينجو من آثاره وتباعاته إلا خواص عباد الله تعالى ، وفي الحديث قال رسول الله ﷺ : « لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنين : في حب الدنيا ، وطول الأمل ». • وقال أيضاً : « يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان : حب المال ، وطول العمر » ، إلا أن العاقل الموفق يجتهد على أهواء نفسه ، ويدافع ميوتها ، ويُلجم نزواتها ، ويزدّرّها بقدوم الأجل ، ليدفع به طول الأمل ، فقد قال رسول الله ﷺ : « أَعْذِرُ اللَّهَ إِلَى أَمْرِئٍ أَخْرَى أَجْلَهُ حَتَّىٰ بَلَغَهُ سِتِينَ سَنَةً » ، يعني لا عنز له عند الله إذا بلغ الستين ولم يتتبه ، ولم يتتب . • ثم لينظر أحدهنا إلى هذه المراكب العنيفة تختطف شبابنا ، وليتأمل هذه الأمراض الفتاكـة تهلك شيوخنا ، وبين هؤلاء وهؤلاء ضحايا سكتات القلوب ، وصرعى العيون ، كلهم قد أتاه أجله بغتة ، فلم يمهل ولم يُتظر ، فالسعيد من قدّم لنفسه ، ونظر مستقبله ، وأعد لما أمامه ، والتعيس من غرّ طول الأمل ، فحضره أجله بغتة على غير استعداد : حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتَ قَالَ رَبِّ أَرْجِعُونَ ﴿١﴾ لَعَلَىٰ أَعْمَلٍ صَالِحًا فِيمَا تَرَكَتْ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَاءِلُهَا وَمِنْ وَرَآءِهِمْ بَرَزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبَعَثُونَ ، فكم من مستقبل يوم لا يستكمله ، وكم من متضرر لغـد لا يبلغه ، ثم إلى ربهم يرجعون .

=====

- إن أعرف الناس بالدنيا وأماها هو رسول الله ﷺ ، فقد عصمه الله من فتنتها ، أما غيره فلا عصمة لهم ، وهذا سلك رسول الله ﷺ بأصحابه نهج الزهد تارة ، والوعظ تارة ، وضرب المثال تارة أخرى ، يخفف بذلك من أثر الدنيا عليهم ،

فلا تشغّلُهم عن معالي الأمور ، ولا تلهيهم عن استشعار قرب الأجل .

- وقف - ﷺ - لأصحابه مرة فقال : « هل تدرؤن ما مثل هذه وهذه ؟ ورمى بمحاصتين ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا الأمل وذاك الأجل » ؛ يعني لشدة قربهما من بعض .
- ورأهم مرة في جهد وتعب حين كانوا يحفرون الخندق فقال ﷺ يخفف عنهم : « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ... » .
- وربما تألم لفقر بعضهم ، وشدة حاجتهم فقال ﷺ : « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ... » .
- ومر يوماً في السوق بجذبي ميت أسك - يعني صغير الأذنين - فأخذه بأذنه ، ثم قال لأصحابه : « أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟ فقالوا : ما نحب أنه لنا بشيء ، وما نصنع به ؟ قال : أتحبون أنه لكم ؟ قالوا : والله لو كان حياً ، كان عيناً فيه ؛ لأنه أسك ، فكيف وهو ميت ؟ فقال : فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم » .
- وخطب - ﷺ - أصحابه مرة فقال : « عرضت علي الجنة والنار ، فلم أر كال يوم في الخير والشر ، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيرتم كثيراً » ، مما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه ، غطوا رؤوسهم ولم ينفخوا ؛ يعني من البكاء .



٤- الإنسان بين الدنيا والآخرة

- منذ أن يولد الإنسان وهو في شغلٍ يتلهي به عما أمامه ، وعملٍ يشغل به عمّا وراءه ، لا يكاد يُفقيق ما هو فيه من هم وشغل وعمل ، منذ أن كان طفلاً صغيراً مدللاً ، ثم كبرَ فشبَّ ونشط ، قويَّ عوده .
- حتى إذا أصبح رجلاً قد اشتدت قواه الجسمية ، وكملت قدراته العقلية ، ونضجت تجاربه الاجتماعية ، فإذا به ينحدر متراجعاً نحو الشيخوخة ، فيعود هرماً متعباً علياً ، قد خرمه الزمان بأحداثه ، وأنهكته الأيام بتعاقبها : ... ثُمَّ خُرِجُوكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَسْدَكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا
- إنها دورة الحياة الإنسانية ، وسنة الله في البشرية ، التي تحوط الناس بسلطانها ، وتنتظمهم بقضاءها ، فلا يغيب عنها أحد ، ولا يفلت من قبضتها ولد .
- الكل لسيطرتها خاضع ، والجميع لإرادتها مذعن ؛ فمهما طال زمان الإنسان في الحياة ، قويَ سلطانه في الأرض ، وعظمَ مقامه في الناس ؛ فإنه إلى مصروعه سائر ، وإلى مرقده ماضٍ ، طال به الزمان أو قصر ، دامت له الصحة أو انقطعت : أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢﴾ ثُمَّ جَاءُهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٣﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ .
- إن سنين الحياة - مهما طالت - فإنها ماضية ، وإن ملذاتها - مهما أطربت - فإنها زائلة ، ولا يبقى للإنسان من دنياه إلا ما ينفع في الآخرة .
- إنه حصاد السنين ، وكُلُّ الأعوام ، وجمع الليالي والأيام ، فلا يبقى للإنسان من كل هذا الكُلُّ والجمع والتحصيل ، إلا ما يخدم في الآخرة : مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الْأَدُنِيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبَخِّسُونَ .

- لقد ضاع الزمان في اللهو واللعب ، وضلَّ الفكر في القيل والقال ، واستهلك البدن في اللheit والجري ، حتى إذا بلغ الرجل متنه الحياة ، ووصل غاية العمر ؛ فإذا هو مثقلٌ بالسيئات ، فقيرٌ من الحسنات ، قد ضاع زمانه وانقضى في الملهيات ، وضلَّ فكره في الترهات ، وأنهك بدنه في المحرمات : حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتَ قَالَ رَبِّ أَرْجِعُونِ ﴿٦﴾ لَعَلَّيْ أَعْمَلُ صَلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ... .
- لقد ذهب زمان العمل ، ومضت أيام التحصيل ، وجاء وقت الحصاد ، وحلَّ موسم القطاف ، فالفقير هنا فقير الصالحات ، والغني هنا غني الحسنات : ... حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ أَلْسَاعَةً بَغْتَةً قَالُوا يَهْسِرْتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ تَحْمِلُونَ أَوزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَرِزُونَ .
- إنها تبعات العمر ، وعواقب التفريط ، وسنوات الإهمال ، يجيئها التعسأ ، ويصلُّ لها الأشقياء : ... فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكُنُوكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمُونَ ظَلَمُوا مَعْدِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْبُوتُ .
- إنها الحسرة والندامة ، التي لا تغنى عن أصحابها شيئاً ، ولا تدفع عنه أبداً ، ولا تقدم لهم نفعاً : ... كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَرِيجِينَ مِنَ النَّارِ .
- وفي مقابل هؤلاء أقوام نصائح ، وأناس أتقياء ، عقوفهم وافرة ، ونظارات أبصارهم ثاقبة ، قد خبروا الطريق ، وعرفوا المسير ، فأيقنوا بالأخرة ، وصدقوا بالعاقبة ، فحزموا أمرهم ، واتخذوا فرارهم ، فساروا إلى الآخرة بحدر ، وانطلقوا إلى الله بخوف ووجل ، يرجون رحمته ، ويخافون عذابه : أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ إِنَاءَ الْلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَاءِمًا سَحْدَرًا لِلآخِرَةِ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ .
- إن الآخرة للعقلاء الفطناء ، لا مكان فيها للأغبياء السفهاء ، أقوام صاموا

وصلوا ، وأنفقوا وزُكْوا ، وحجُّوا واعتمروا ، تزورُوا من الباقيات الصالحة
ليوم المعاد ، وأكثروا من الطيبات لساعة الفراق : يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ
إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ .

- لقد حررُوا عقولهم من تبعات الجهل والضلالات ، وطهّرُوا قلوبهم من دنس الشرك والخرافات ، وحفظُوا سلوكهم من شوئم الكبائر والموبقات .
- لقد جَهَدُوا وجاهُوا ، وعملُوا وكافحُوا ، وعانُوا وتعباً : وَالَّذِينَ جَهَدُوا
فِيْنَا لَنَهْدِيْنَاهُمْ سُبُلًا وَلَنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ .
- أخلصُوا نياتهم لله تعالى ، وحررُوا مقاصدهم لبلوغ مرضاته ، فلم تشغلهم الدنيا بزخرفها ، ولم تلهُم الحياة بزيتها ، فوقفوا عند الحدود ، وراقبوا علام الغيوب ، حتى إذا جاءتهم الآخرة مقبلة ، وولت الدنيا عنهم مدبرة : فرحاً عندها بلقاء الله تعالى ، واستبشرُوا ببرؤيته سبحانه ، فطالما عبدوه ، وسبحوه وذكروه ، بقلوب خائفة ، وعيون دامعة ، وألسنة ذاكراً : قَالُوا إِنَّا كُنَّا
قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿فَمَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَنَا عَذَابَ الْسَّمُومِ﴾ إِنَّا
كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ .

=====

- أيها الإخوة : هذا حال الناس بين الدنيا والآخرة ، وهذا وضعهم في إقباهم وإدبارهم ، فمستعد مقبل ، ومفرط مدبر : قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَأْكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سِيلًا .
- إن ساعة الحسم بين الدنيا والآخرة مقبلة لا محالة ، وإن لحظة الفراق قادمة بلا تأخير ولا تقديم : فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ .

- فما من أحد إلا وهو يتظر ساعته ، ويرقب لحظته ، الكل قد أيقن بقدوم الموت ، وتحقق بضرورة النهاية ، ولكن القليل هم الذين أخذوا حذراً ، وحزموا أمرهم ، وأعدوا العدة لما أمامهم : **وَمَا أَكْثُرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصَتْ بِمُؤْمِنِينَ .**
- فترى العقلاة يدفعون النقم بالطاعات ، ويستجلبون النعم بالطبيات ، لا يصررون على معصية ، ولا يمتنعون عن طاعة .
- وهكذا العقلاة في كل عصر ، يستقيمون وإن انحرف الناس ، ويطيعون وإن عصى الناس ، لا تضرهم كثرة المخالفين ، ولا يصلُّهم مكر المفسدين ، فالله غاية مرادهم ، ومتنهى رغباتهم : **تِلْكَ الْدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعِقَبَةُ لِلْمُتَّقِينَ .**



٥- نعمة استقرار الأرض

- إن نعم الله على عباده كثيرة ، وألاءه عظيمة ، يستحيل على العباد حصرُها أو عدُّها ؛ إذ هي أوسع وأجلُّ من أن تُحصى وتُعد .
- ففي كل زاوية من هذا الكون ، وفي كل حركة وسكون ، وفي كل حي وميت : يتلمس المتأمل البصير نعم الله وألاءه وفضائله .
- ومع ذلك فإن النفس الإنسانية قد تتبدل وتقسو وتحجر ، فلا تشعر بهذه النعم ، ولا تبصر الفضائل ، ولا تحس بها ، ولا تتنبه لها .
- بل ربما نسب بعض فجارات بني آدم شيئاً من نعم الله تعالى إلى أنفسهم ، كما قال قارون المتكبر : *قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِيٌّ ...*
- وكما قال فرعون للعين : ... *مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي*
- وكما ادعى الطاغية النمرود : ... *قَالَ أَنَا أَحَدٌ وَأَمِيتُ* ... ، وهكذا بنو آدم - في غالبيتهم - بين غافل ساء ، وبين جاحد كافر : ... *وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَكِيرِينَ* .
- حتى إذا سُلِّبوا النعمة ، وحرموا خيرها ، وذاقوا ألم فقدتها : استيقظوا عندها من غفلتهم ، وتنبهوا من رقتهم ، وأيقنوا أن الحق لله وحده ، وأن السلطان له وحده : ... *وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ* .
- فإذا عاينوا العذاب : *قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ* ﴿٦﴾ فـ *فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوَّمُونَ* ﴿٧﴾ *قَالُوا يَوْمَنَا إِنَّا كُنَّا طَغِيْنَ* .
- إن اليقظة المتأخرة لا تخدم أصحابها ، ولا تنفعهم في شيء ، ولا ترد قضاءه قضاه الله تعالى في الظالمين ، وقد سبقتها النذر والمواعظ والإرشادات .

- وإنما الذي ينفع الإنسان تنبئه وتعقله وتبصره قبل وقوع النقم ، وقبل ذهاب النعم ، فلا يبقى بعد ذلك للغافلين الساهرين ، والمتكبرين المعرضين ، إلا الآلام والمحسرات والندم .
- أيها الإخوة : نعمة عظيمة هي من أجل النعم وأفضلها ، وأكرمها وأعظمها ، وفليّ من الناس من يتنبئ لها ، ويتفطن إليها ، فيشكرون الله تعالى عليها .
- إنها نعمة لا يصلح بغيرها عيش ولا راحة ، ولا يمكن بدونها صناعة ولا عمارة ، بل لا يمكن بغيرها دوام الحياة ، ولا بقاء الإنسان .
- إنها - أيها الإخوة - نعمة استقرار الأرض ، وسكنونها تحت أقدام أهلها ، فلا تضطرب تحتهم ، لا تميد بهم ، ولا ترجمف بسكنانها .
- أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهِرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوْسِيَّ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أُلْهِ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .
- هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلْلًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ الْتُّشُورُ .
- إن نعمة استقرار الأرض تحت أقدامنا ، وسكنونها أسفل بيوتنا : لا تقوم مقامها نعمة مادية أخرى ، ولا تضاهيها ولا تدانيها ، فعلى الأرض نأكل وننام ، ونجلس ونبني ، ونزرع ونتاجر .
- فأية مصيبة أشد على الإنسان من أن تضطرب الأرض من تحت قدميه ، فتبطش بن عليها ، فتدمر وتحطم ، وتقتل وتردم ، إنها مصيبة المصائب ، ونكبة النكبات ، التي تطال المجتمع بأكمله ، والحياة بأسرها ، فلا ينجو من الهملاك أحد ، ولا يفلت من الدمار مخلوق .
- أيها الإخوة : إن الزلازل شيء عظيم ، وفزع شديد ، وهلع عام ، يُخرج

الناس عن صوابهم إلى ما يشبه الجنون والهوس .

- تقول إحدى النساء المسلمات المتدينات ، حين شعرت في شقتها بالزلزال يهزُ العمارة هزًّا ، ويرجف بها رجفًا : « خرجم من شقتي مسرعة نحو الشارع بلا حجاب ولا غطاء ، وما تفطنت لابني الرضيعة ، حين تركتها في الشقة وحدها ، إلا بعد أن هدأ الزلزال وسكنت الأرض » .
- إنه هول عظيم ، وحراك عنيف ، وأمر شديد ، لا طاقة للإنسان به ، ولا قدرة له عليه ، لا سيما إذا كان الزلزال شديداً ، فإنه حينئذ لا يُبقي ولا يذر ، يأتي على كلٍّ شيء من معالم الأرض .
- يأخذ المدن والقرى بأهلها على حين غفلة وهدوء ، فتغوص بهم في باطن الأرض ، فلا يبقى لدورهم وشوارعهم ومراكمهم أثر من عمارة ولا علامة .
- وأما إن كان الزلزال متوسطاً في قوته : سوى المدن بالأرض ، فيهلك من يهلك ، وينجو من ينجو .
- وأما إن كان ضعيفاً في قوته : فإنه يُقلق الناس ويرهُبُهم ، فلا ينعمون بشيء من ملذات الدنيا ، حتى يفروا من موطنهم إلى غيره ، طلباً للأمان .
- فترى مدنهُم خاويةً من أهلها ، والبيوت خاليةً من سكانها ، والمتجار معطلةً من روادها ، والشوارع ساكنةً من مشاتها ، كأنها مدن الأشباح ، لم تُعمَر قطُ في يوم من الأيام .
- حتى إن أحدهم ليفضل المكوث في العراء ، بلا طعام ولا شراب ، على أن يعيش في قصر بمدينة الزلزال .
- إن زجرةً من زجرات الزلزال ، التي تشبه في صوتها صوت الرعد الصاعق : كافيةً لذهول الإنسان عن نفسه ، وغيابه عن عقله .

• أيها الإخوة : من لأهل النكبة غير الله تعالى اللطيف الرحيم ؟ إنه ليس في الأرض قوة تحفظ من مصيبة الزلزال إلا الله تعالى وحده .

• * إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَرُولَا وَلِئِنْ زَأَتَا إِنْ أَمْسَكُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا .

=====

• أيها الإخوة : ما حركة الأرض تحت أقدام أهلها إلا الله ، ولا ثبتها تحت أقدامهم إلا الله ، فليس للناس إلا هو ﷺ ، يلوذون بجنبه ، وينظر حون عند بابه .

• ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتب من قبل أن نجراها إن ذلك على الله يسير .

• فكل ما يجري في الكون من صغير وكبير ، من عظيم وحقير ، إنما يجري بأمره سبحانه وإرادته : وَمَنْ أَيْتَهُمْ أَنْ تَقُومَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ

• فليس شيء في الكون يقوم بنفسه ، ولا ينطلق من ذاته ، وإنما يقيمه الله تعالى الحي القيوم بقدرته وسلطانه وقوته ، فيسيره كيف يشاء ، فما بال الناس يتساءلون : لماذا اضطربت الأرض ، وتغيرت أحواها ؟

• لقد ربط الله تعالى بين معاصي العباد وطغيانهم وفسادهم ، وبين تبدل أحوال الأرض واضطرابها ودمارها ، فقال الله تعالى : فَكُلُّاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَارَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَيَكُنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .

• وهذا هو السبب الرئيس في تبدل الأحوال ، ووقوع الكوارث ، وحلول النكبات ، واضطراب الأرض ، فإذا أقر الخبراء والباحثون بهذه الحقيقة

الربانية : فلهم بعد ذلك أن يتحدثوا عن الحقائق العلمية التي توصلوا إليها ،
والأسباب الجيولوجية التي عاينوها في أسباب اضطراب الأرض .

- ولما لهم ثم إيمانهم ، أن يغفلوا القدرة الإلهية ، والإرادة الربانية ، من وراء الكون ، فإنه لا يجري في كونه إلا ما أراد ، ولا يمتنع عن كونه إلا ما منع .
- إن شأن أهل الأرض مع هذه المصائب والنكبات : هو أن يتوبوا وينبوا ، ويتقوا وينذعنوا ، قبل أن يحل بهم ما أحل بالعصاة والخاطئين ؛ فإن الله قد يُصيب بعض الناس بذنبهم ، ويترك آخرين للاتعاظ والاعتبار ، وربما دُخِر العقوبة لبعضهم وعجلها لآخرين ، فالعقل من استغفر وتاب وأناب ، والشقي من عاند وكابر وجحد : **وَلَنُنذِيقَنَّهُم مِّنْ أَعْذَابِ الْأَدْنَى دُونَ أَعْذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** .
- اللهم ثبت الأرض تحت أقدامنا ، واصرف عنا وعن المسلمين الزلازل والمحن وسوء الفتنة ، ما ظهر منها وما بطن ، يا أرحم الراحمين ، اللهم إنا نستغفك وتتوب إليك ، ولا حول ولا قوة لنا إلا بك .



٦- التخويف بالكسوف والخسوف

- لم تمض علينا أيام على خسوف القمر حتى كُسفت شمس هذا اليوم ، وهكذا تتتابع علينا الآيات البينات الواضحات ، وتتكرر في هذا الزمان ، تحمل معها تخويفاً وترهيباً ، لمن كان له قلب حيٌّ ، وعقلٌ مستنير ، قد تيقن بخراب الدنيا ، وقرب أفولها ، فما بقي منها أقلٌ بكثير مما مضى ، وما هو آتٍ شرٌّ مما ذهب ، فما بقي من الدنيا إلا بلاء وفتنة ، يتقلب فيها الناس بين مؤمن وكافر ، يصبح أحدهم على الإيمان ، فما يُمسي إلا وقد بدأ دينه ، وما يثبت لفتن الدنيا إلا السعيد ، من سبقت له عند ربيه الحسنة .
- أيها الإخوة : لما كُسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ : خرج من بيته فزعاً خائفاً يخشى أن تكون الساعة ، فصلى الناس أطول صلاة في قيامها وركوعها وسجودها ، حتى إن بعض أصحابه غُشى عليهم من طول القيام وشدّة الحر ، وكان ﷺ إذا شعر بتغيير الأحوال ، كهرب البرد ، أو ظهور السحاب : يدخله الهم وال kell ، ويُعرف ذلك في وجهه ، ولا يُسرّى عنه إلا بسكون البرد ، ونزول المطر ، يخشى أن يكون فيه عذاب .
- وكان إذا رأى شيئاً من هذه الآيات هرع إلى المسجد ، فإذا كانت ريح جلس في المسجد يستغفر حتى تسكن ، وإذا كانت خسوفاً أو كسوفاً صلّى حتى تنجلّي ، فقد روى عبد الرحمن بن سَمْرَةَ رضي الله عنه أنه كان يرمي بسهامه ، فلما كُسفت الشمس : ترك سهامه وسعى إلى المسجد ، يريد أن يرى أثر الكسوف على رسول الله ﷺ ، ماذا يصنع ؟ قال : « ... فإذا هو رافع يديه يسبح ويحمد وبهلهل ويكبر ويدعو ، فلم يزل كذلك حتى حُسر عن الشمس ، فقرأ سورتين ، وركع ركعتين » .
- ولا صلّى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الكسوف : وعظهم فقال : « إن

الشمس والقمر آياتان من آيات الله ، لا يُخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله ، وکبروا وهلوا وتصدقوا ، يا أمّة محمد ، والله ما من أحد أغيرٌ من الله أن يزني عبده أو تزني أمته ، يا أمّة محمد ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيرتم كثيراً ، اللهم هل بلغت ؟ » ، ثم قال : « ... إنه ليس شيء تُوعدونه إلا وقد رأيته في صلاتي هذه ، ولقد جيء بالنار حين رأيتمني تأخرت ، مخافة أن يُصيّبني من لفحها ، حتى قلت : يا رب ، وأنا فيهم ؟ ... وجيء بالجنة ، فذلك حين رأيتمني تقدمت ، حتى قمت في مقامي ، فمددت يدي ، وأنا أريد أن أتناول من نَمَرَها لتنظروا إليه ، ثم بدا لي أن لا أفعل » .

• لقد كان حال رسول الله ﷺ مع هذه الآية هو الخوف والوجل ، والصلوة والدعاء ، وقد أراد أن ينقل إلينا هذه المشاعر لنعيشها واقعاً عملياً في سلوكنا ، فنحن أحق بالخوف والرهبة من رسول الله ﷺ ، فقد كان يقول لأصحابه - يُخوّفهم - : « إذا رأيتم شيئاً من هذه الآيات فإنما هو تخويف من الله ، فإذا رأيتموها فصلوا ... » ، ويقول : « ... فإذا رأيتم ذلك فافرعوا إلى المساجد » ، ويقول : « ... ولكن الله يُرسلها يخوف بها عباده ، فإذا رأيتم شيئاً فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره » ، فالتخويف بهذه الآية العظيمة مقصود ليقطة الناس ، حتى يراجعوا أنفسهم ، وينظروا في أحواهم ، ويتذكروا قرب الساعة ، وإنفراط عقد الكون ، فالكسوف والخشوف من علامات الساعة ، وكثريهما دليل دنوها ، وقرب حدوثها ، فاتقوا الله أيها الناس واعلموا أنها تذر من الله ، تُحدِّر ما وراءها من القوة والبطش والجبروت ، مما أخفاه الله عن من الملائكة شيء عظيم ، لا تدركه العقول ، ولا تحيط به الأفهام .

• أعود الله من الشيطان الرجيم : **فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝ وَجَمَعَ الْشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝ يَقُولُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمُفْرُ ۝**

• اللهم إنا نعوذ بك من قسوة القلوب ، وغفلة النفوس ، وسهو العقول ، اللهم إنا نعوذ بك من غنىٰ يطغينا ، وصحبة تلهينا ، وفراغٍ يُشقينا ، ربنا نسألك عفوك ورضاك يا أرحم الراحمين .

=====

• ما بال أقوام من الملاحدة ، ومن ضعفاء الإيمان : يسعون جادين ليفرّغوا هذه الآيات الباهرات من محتواها الروحي والإيماني ، ليُضْعِفُوا تأثير هذا الحدث الكوني العظيم في نفوس الناس ، فيعود أمراً عادياً ، وظاهرة كونية طبيعية ، لا تستدعي - في ظنهم - أكثر من رصد الفلكيين ، والهواة المهتمين ، أما الفزع ، والخوف ، وطول القيام ، وكثرة الدعاء : فهذه - في تصورهم - من مسالك الdrاويش ، الذين يخالفون من الظواهر الطبيعية ، ولا يفهمون نظام حركة الأفلاك ومساراتها .

• إن المسلم ليتعجب من منطق هؤلاء ، يريدون أن يفصلوا بين الخالق والمخلوق ، ويقطعوا الصلة بين الله تعالى وبين الكون ، وكان الكون يسير بغير إرادته سبحانه ! وهو الذي يقول : *وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبَضَتُهُ رَبِّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ* ، فأين تقع هذه الأفلاك التي يفرح بها المبطلون ، وهي داخل قبضة الله أم خارجها ؟ فالله الذي خلق الكون ، وقدر الأقدار هو الذي أمرنا أن نخاف من تبدل الأحوال ، وأن نهرب عند رؤية الآيات الكونية إلى الصلاة والدعاء .

• وهذا رسوله - ﷺ - المبلغ عن ربه : سنٌّ لنا إذا ظهرت آية في الشمس أو القمر أن نصلي عندها صلاة خصوصية ، أيظن المفتونون بعلمهم أن رسول الله ﷺ لا يعرف تفسير هذه الظاهرة الكونية ، التي يعرفها طلاب مدارسنا

اليوم ، وقد عَلِمَ ربه علوم الدنيا ، فقد جاء في الحديث الصحيح ، حين وضع الرب ﷺ كفه بين كتفيه قال : « فعلمت ما في السماء والأرض » ، وفي رواية أخرى : « فتجلى لي ما بين السماء والأرض » ، ومع ذلك فقد كان يخاف ، ويعمل مجتهداً لينقل هذا الخوف إلينا ، فنحن أكثر انتفاعاً بالخوف منه ، فلماذا يريد المبطلون أن يُميّزوا علينا ديننا ، ويفرّغوه من محتواه الإيماني ، والله تعالى يقول عن آياته : ... وَمَا نَرِسْلُ بِالآيَتِ إِلَّا تَخْوِيفًا .

• اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن عين لا تدمع ،
ومن دعوة لا تُرفع .



٧- البكاء في حياة الإنسان

- أيها الإخوة : البكاء سلوك إنساني فريد ، يعبر الإنسان من خلاله عن الحزن ، أو الألم ، أو الخوف ، فقد يكون عن أمر محزن قد فات ، أو أمر قائم مؤلم ، أو أمر قادم يخشى منه .
- وما زال الإنسان يتغنى البكاء منذ أن كان طفلاً صغيراً ، يبكي حاجاته ، سواء لدفع جوعه ، أو علاج مرضه ، أو طلباً لأنسه .
- ثم هو على حاله هذه من البكاء حتى يمُرّ ، فينضج بكاؤه لما هو أهم من حاجاته ومتطلباته ، فإذا شب لم يبك إلا لهم فاته ، أو مصيبة نزلت به ، أو حزن شديد ألم به .
- حتى إذا تجاوز الإنسان فورة الشباب ، وتخطى عواطف الفتولة ، ويبلغ مبلغ الرجال ، وتحَبَّر تجارب الحياة ، وعاين حوادث الزمان ، فإنه حينئذ يملك جانباً كبيراً من عواطفه ، ويتحكم في كثير من مشاعره ، فتنضج حينها مسالك تعبيره ، وترتقي وسائل بيانه ، فلا يكون بكاؤه حينئذ إلا عن أمر عظيم ، وواقع أليم ، يهز الإنسان من الداخل ، فلا يملك عندها مشاعره ، ولا يتحكم في عواطفه ، فتنطلق عيناه بالدموع ، فترسل معها مشاعرًأفضل من البيان ، وتبعث بعواطفَأبلغ من الكلام .
- أيها الإخوة : البكاء سلوك عام ، يشمل كل فئات الناس ، لا يقتصر من ذلك أحد ، الكبير والصغير ، والرجل والمرأة ، والشريف والوضيع ، والعظيم والحقير ، كلٌّ يعبر بيكانه بما يجيشه في صدره ، من المعاني التي تعجز الكلمات والجمل عن التعبير عنها .
- لقد بكى سيد الخلق ، وأعظم الناس : رسول الله ﷺ حين توفي ولده إبراهيم عليه السلام ، مما ملك رسول الله ﷺ عينيه حتى ذرفتا بالدموع ، حزناً على ولده .

- وحين حضر ﷺ وفاة أحد أحفاده ، وقد وضع في حجره ، وهو يعالج لحظات الموت الأخيرة ، ويعاني سكراته العصبية ، عندها بكى رسول الله ﷺ ، فتعجب بعض جلسائه من بكائه ، ظناً منهم أن البكاء لا يليق بمقام رسول الله ﷺ ، فقال له سعد رضي الله عنه : « ما هذا يا رسول الله؟ قال : هذه رحمة يضعها الله في قلوب من يشاء من عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء » .
- وزار النبي ﷺ مرة قبر أمّه فبكى ، وأبكى من حوله من أصحابه ، فقال ﷺ : « استأذنت ربّي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي ، واستأذنت ربّي في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا القبور فإنّها تذكركم الموت » .
- وهكذا يعيش سيدُ الخلق ، وأعظم الناس ﷺ المشاعر البشرية الطبيعية ، والمسالك الإنسانية الفطرية ، فلا يشذ عن الناس في طبائعهم الفطرية ، ولا يختلف عنهم في مسالكهم الإنسانية : قل إنّما أنا بشرٌ مِّثلكمْ .
- وي بعد وفاة رسول الله ﷺ بزمن : قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما : « انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها ، كما كان رسول الله ﷺ يزورها ، فلما انتهينا إليها بكت ، فقال لها : ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ ، فقالت : ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء ، فهيجنthem على البكاء ، فجعلها يبكيان معها » .
- وحتى هذان الشيختان الكبيران ، سيدا كهول أهل الجنة ، بطلا الإسلام العظيمان ، لا يسعهما أمام هذا الموقف الفريد ، والفهم العميق ، من هذه السيدة الجليلة أم أيمن رضي الله عنها ، إلا أن يعبرَا سوياً بالدموع الصادقة ، وبدون مقدمات ، وبغير تكلفات ، عن عظيم الأثر ، وجليل المصاب ، بانقطاع الوحي المبارك عن أهل الأرض ، بوفاة خاتم الأنبياء والمرسلين ، وسيد الأولين والآخرين ﷺ ، الذي آذنت وفاته بانقطاع النبوة إلى الأبد ، وأفول

عصور الأنبياء ، فلا عصمة ولا معصومين ، فما بقي لأهل الأرض بعد النبوة سوى الاجتهاد .

- وهكذا - أيها الإخوة - يعبر البكاء أبلغَ تعبير ، وأفضلَ بيان ، عما يجيش في النفس ، ويحول في الخاطر ، مما تعجز العبارات عن بيانه ، وتقصر الكلمات عن الإفصاح عنه ، من حجم الحزن الذي أصابها ، أو الألم الذي نزل بها ، أو الخوف الذي يتتابها .
- إلا أن أعلى مراتب البكاء ، وأجلَّ مقاماته ، وأرفعَ درجاته ، هو البكاء من خشية الله تعالى ، حينما تزدُر العيون دموعها وجلاً من مقام الربوبية ، وعظمة الألوهية ، وهيبة لجلال الله تعالى ، وقوة سلطانه ، وعظيم سطوه .
- إنها المعاني الجديدة ، والمفاهيم السديدة ، التي ترد على القلب السليم ، فتفتح له نافذة من الإبصار ، وإشراقة من الأنوار ، من خلال إمعان النظر ، وإدامة الفكر في كلام الله تعالى ، وفي آياته المبثوثة في الكون ، وفي الحياة ومتقلباتها ، وفي الإنسان وأطواره .
- فأينما نظر البصير ، وحيثما تدبر العاقل ، فشّة آية من آيات الله تعالى ، تستلزم التفكير وإمعان النظر ، والتدبر وإدامة الفكر ، فكم هي الآيات والأحداث والواقع ، التي تمر على الإنسان الغافل دون نظر ولا تدبر ، ولا فهم ولا تفکر ؟ **وَكَأْيَنِ مِنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعَرِّضُونَ** .
- إن دواعي البكاء في أيامنا هذه كثيرة ، ودوافع الحزن عظيمة ، فلو بكى المسلمون على مصابهم القائمة ، ونكباتهم المتالية ، لفنيت دموعهم ، ولانقطعت أصواتهم ، فما بالنا قد قست قلوبنا ، وتحجرت عيوننا ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ؟

• اللهم إنا نعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن عين لا تدمع ، ومن نفس لا تشبع ،
ومن دعاء لا يسمع .



• سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن أعجب شيء رأته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسكتت وكأنها تتأمل ، ثم قالت : « لما كان ليلة من الليالي قال يا عائشة : ذريني أتعبد الليلة لربِّي ، قلت : والله إني لأحب قربك ، وأحب ما سرك ، قالت : فقام فتطهر ، ثم قام يصلي ، قالت : فلم يزل يبكي حتى بل حجره ، قالت : ثم بكى ، فلم يزل يبكي حتى بل حيته ، قالت : ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض ، فجاء بلال يؤذنه بالصلوة ، فلما رآه يبكي قال : يا رسول الله لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر ؟ قال : أفلأكون عبدا شكوراً ؟ ... » .



٨- عام هجري جديد

- أيها الإخوة : عام هجري يُطوى بكل ما يحمله ، من الأحداث والوقائع : المفرحة والمُؤلمة ، السعيدة والتيسير ، يُطوى بأشهره وأساليبه ، ليُستودع في سجلات التاريخ ، بكل ما فيه من جليل الأحداث ، وعجب الواقائع .
- عام كامل من أيام الله تعالى ، مرّ على الإنسانية المعاصرة ، فكم من شخص ابتلعته الأرض في هذا العام ، فصار في جوفها ، قد أصبح رهينًأ أعماله ، وحيثُنَّ أفعاله ، وكم من مولود قدّفت به الأرحام إلى الحياة في هذا العام ، لا يُدرى ما الله صانع به ، يتّظر قضاءه ، ويرقب قدره .
- وكم من بيوت قامت في هذا العام ، وكم من بيوت أخرى هدمت ، كم من حقوق سُلبت ، وأخرى مُنحت ، كم من مظالم وقعت ، وأخرى رُفعت ، كم من جرائم اقترفت ، وأخرى مُنعت .
- عام كامل من التفاعلات البشرية : الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والعسكرية ، عرفها من عرفها ، وجهلها من جهلها ، إلا أن كل ذلك مدونٌ في كتابِ عند ربِّي : ... لَا يَضُلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى .
- لقد انطوت - أيها الإخوة - صفحات عام كامل ، بخلوها ومرّها ، بأنسها وحزنها ، غرائبها كثيرة ، وأحداثها عجيبة .
- تسارعت فيها الأيام ، وتصرّمت فيها الليالي ، وتلاحقت فيها الأحداث ، حتى إن التابع لها لا يدركها من سرعة وقوعها ، وعجلة أفوتها .
- دول سادت ، وأخرى بادت ، وزعامات قامت ، وأخرى غابت ، وقائع عجيبة ، وأحداث غريبة ، تشير إلى أحوال جديدة ، وأمور عظيمة ، لا يُدرى ما حظُّ المسلمين من خيرها ، وما نصيبيهم من شرّها ؟ غير أن المتأمل البصير يجد

واقع المسلمين - في غالبه - في تقهقر وتراجع ، لا يُنبئ بخير كثير .

- صراع وعراك ، ونزاع وشقاق ، وفتن وابتلاء ، وألام وجراح ، وتشرد وضياع ،
هذا ما يراه المتأمل في واقع الأمة عبر عام مضى .

• إنه واقع عربي خطير ، بكل ما تعنيه الكلمة ، وتدل عليه العبارة ، إنه واقع غير مسبوق ، وحدث غير معهود ، يهزُّ الأمة هزًّا ، فيوقط النائمين ، وينبه الغافلين ، لأحداث قادمة عظيمة ، وأحوال آتية فريدة ، لا يُدرى ما يتظر الناس في عامهم الجديد .

• عام من الأحداث ، تداخلت فيه المواقف ، وتنوعت فيه المشاهد ، فمنها ما هو معروف لا يُستذكر ، ومنها ما هو مستهجن يُذكر ، ومنها ما تداخلت فيه التفاعلات ، وازدحمت فيه المصالح والمفاسد ، فتعرف منها وتنكر ، وتقبل منها وترفض ، كل ذلك يحتاج إلى فقه جديد ، وفهم عميق ، للواقع الجديد ، في ظل مفاهيم الشرع الحنيف ، ونظارات العقل البصير ، وأنوار الفهم السديد .

• أيها الإخوة : ذاك عام هجري قد مضى ، ذهب بوقائعه وأحداثه ، قد انطوت أيامه ، وتصرمت لياليه ، بما فيها من كثير وقليل ، من عظيم وحقر ، قد ختمت صحائفها بطبع الخلود ، وحفظت لتبقى وتذوم ، لا تغير ولا تبدل ، وسوف تبقى على حالها محفوظة مصونة ، حتى يقوم الناس لرب العالمين ، في يوم لا ريب فيه ، فيجتمعون بين يدي الله تعالى لفصل الخطاب ، وعندما تنشر صحائف العباد ، فتكتشف الأسرار المكونة ، وتظهر الحقائق الدفينة ، فمنهم السعيد بصحائفه ، قد سره سعيه ، وأسعده عمله ، ومنهم التعيس بصحائفه ، الشقي بأعماله ، قد خاب سعيه ، وساء عمله ؛ فيا ويل الظالمين ، ويَا خييتهم ، ما أشدَّ سواد ليلهم ، وما أتعس نهارهم ، ... كَانَمَا أَغْشَيْتَ وُجُوهَهُمْ قطعاً مِّنَ الْأَلَيلِ مُظْلِمًا

- يا ويل من لقي الله بدم قد سفكه ، أو مال قد نهبه ، أو عرض قد هتكه ، أو فتنة ابتدعها ، أني لهم أن يوفوا الناس حقوقهم في ذلك اليوم العظيم ، أو يردوا إليهم مظالمهم في ذلك الموقف العصيب ، من أين لهم أن يردوا المظالم والحقوق ؟
- إنما المقاضاة يوم القيمة بالحسنات والسيئات ، قد انتهى العمل بالدرارم والدنانير ، فيأخذ هذا من حسناته ، ويأخذ الآخر من حسناته ، حتى إذا فنيت حسناته : أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ، ثم يكتب على وجهه في النار ، **آلِيَّوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** .
- أيها الإخوة : ما أسرع يقظة الظالمين حين يحضرهم الموت ، وما أقوى انتباهتهم حين يحاصرهم الأجل : ... حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتَ قَالَ إِنِّي تُبَتِّلُ الْأَكْنَانَ ... ، حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتَ قَالَ رَبِّ أَرْجِعُونِ ﴿٦﴾ لَعَلَّنِي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ
- إنها نداءات جوفاء ، وتوسلات يائسة ، وصيحات باشدة ، تردها الحقيقة الكبرى ، والحقيقة العظمى : ... أَوْلَمْ نُعْمَرُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ أَنَذِيرٌ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ .
- إنه مصير الظالمين الغافلين الساهرين ، من شغلوهم الحياة الدنيا بفتنتها ، فاستحوذ عليهم الشيطان ، فأنساهم ذكر الله ، حتى مضى بهم الزمان ، وتعاقبت عليهم الأعوام ، فلا خيراً عملوا ، ولا شراً اجتبوا ، فإذا بهم يقدمون على ربهم **عَكْل** ، مفلسين من الحسنات ، محملين بالسيئات ، قد كبلتهم الشهوات ، وأهلاهم الأمل : **أُوْتَيْكُمْ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَّرٍ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ أَجْنَانٍ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا حَسِيرِينَ** .

- أيها الإخوة : هذا عام قد مضى ، ذهب بما فيه ، لا يَدَ لِنَا في تغييره أو تبديله ، ولكن أين نحن من عام هجري جديد ، قد فتح لنا أبوابه ، وكشف لنا أستاره ، ونشر لنا صحائفه بيضاء نقية ، تنتظر : ماذا نخط فيها من الأعمال ، وماذا ندوّن فيها من الأفعال .
- ينادينا عامنا الجديد ، من داخل نفوسنا : أن هلموا للصالحات ، وكفوا عن السيئات ، واحذروا الفتنة ، قد مضى زمن اللعب واللهو ، وبدأ زمن العمل والجد ، الكثير من العمر قد مضى ، والقليل منه قد بقي ، ألا عاقل ينظر لنفسه ، ألا ليبيّن يُعد لما أمامه ، ألا فطن يعمل ليومه ، فالكل مرهون بعمله ، إن خيراً فخير ، وإن شرًا فشر .
- أيها الإخوة : ما من أحد إلا سيلقى ربه بما قدمت يداه ، فسعيد وشقي ، وفائز وخاسر ، فقدمو - أيها الناس - لأنفسكم ، يقول رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمانه فلا يرى إلا ما قدم من عمله ، وينظر أشمام منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فانقوا النار ولو بشق تمرة » .



ثالثاً : التربية التعبديّة

- ١ - الافتقار إلى العبادة
- ٢ - الصلاة باب الخير
- ٣ - معالم رمضان
- ٤ - شهر القرآن
- ٥ - مشاعر حاج
- ٦ - الوسواس الخناس

١- الافتقار إلى العبادة

- إن أغلى وأجل وأعظم ما يملكون الإنسان : هي نفسه التي بين جنبيه ، يسعى بكل وسيلة إلى حفظها ورعايتها وسعادتها .
- فقد جَبَلَ اللهُ الإنسـانـ على حفـظ ذاتـه ورـعايـتها ، وحـمايـتها مـا يـؤـذـيهـا ، أو يـضرـهاـ بـهـاـ مـنـ الآـفـاتـ والمـهـلكـاتـ والمـفسـدـاتـ .
- فـتـرىـ الـظـامـعـ يـسـعـىـ إـلـىـ المـاءـ ، وـتـرىـ الـجـائـعـ يـهـرـعـ إـلـىـ الطـعـامـ ، وـتـرىـ الـمـرـيـضـ يـبـحـثـ عـنـ العـلاـجـ وـهـكـذاـ ؛ لـيـحـفـظـ نـفـسـهـ مـا يـؤـذـيهـاـ .
- فـإـذـاـ اـرـتـوىـ إـلـىـ إـلـهـةـ الـأـنـسـ ، وـشـبـعـ ، وـصـحـ بـدـنهـ ؛ رـغـبـ فـيـ الـزـيـدـ ؛ فـتـراهـ يـمـيلـ نـحـوـ التـرـفـيـهـ وـالـلـعـبـ وـالـتـسـلـيـةـ ، لـيـدـخـلـ الـأـنـسـ عـلـىـ نـفـسـهـ .
- حـتـىـ إـنـكـ لـتـرـىـ الغـنـيـ المـتـرفـ ، الصـحـيـحـ فـيـ بـدـنهـ ، مـنـ فـتـحتـ عـلـىـ الدـنـيـاـ ، وـسـلـمـتـ لـهـ قـوـاهـ الـبـلـدـيـةـ ؛ تـرـاهـ يـسـعـىـ إـلـىـ مـزـيدـ مـنـ الرـفـاهـيـةـ وـالـأـنـسـ وـالـاسـتـمـاعـ .
- فـتـراهـ فـيـ بـحـثـهـ الـحـيثـ عنـ الرـفـاهـيـةـ وـالـأـنـسـ ، وـالـرـاحـةـ الـنـفـسـيـةـ ؛ كـالـظـامـعـ الـذـيـ يـبـحـثـ عـنـ المـاءـ فـيـ صـحـرـاءـ قـاحـلةـ .
- فـتـراهـ يـنـوـعـ فـيـ الـأـطـعـمـةـ وـالـأـشـرـبةـ ، وـيـجـدـ فـيـ الـمـاـكـحـ وـالـمـلـذـاتـ ، وـيـغـيـرـ فـيـ الـمـوـاضـعـ مـنـ بـلـدـ إـلـىـ بـلـدـ ، وـمـنـ مـكـانـ إـلـىـ آـخـرـ ، وـمـعـ ذـلـكـ لـاـ يـكـادـ يـرـتـويـ ، وـلـاـ تـسـقـرـ نـفـسـهـ ، وـلـاـ يـسـكـنـ قـلـبـهـ .
- يـلـهـثـ وـرـاءـ سـرـابـ لـاـ يـتـهـيـ مـنـ أـوهـامـ السـعـادـةـ وـالـطـمـائـنـيـةـ ، وـآـمـالـ الـرـاحـةـ وـالـاسـتـقـرـارـ ، ثـمـ تـبـقـىـ النـفـسـ بـعـدـ كـلـ هـذـاـ ظـامـئـةـ عـطـشـيـ ، لـاـ تـسـكـنـ لـشـيءـ مـنـ ذـلـكـ .
- فـكـمـ هـمـ الـذـينـ يـلـهـثـونـ وـرـاءـ إـشـبـاعـ شـهـوـاتـهـمـ ، وـيـتـنـقـلـونـ مـنـ مـتـعـةـ إـلـىـ مـتـعـةـ ، وـمـنـ لـذـةـ إـلـىـ آـخـرـ ، وـمـعـ ذـلـكـ لـاـ يـرـتـوـونـ وـلـاـ يـكـنـفـونـ ، وـلـاـ تـسـكـنـ نـفـوسـهـمـ .
- فـتـرىـ أـحـدـهـمـ قـدـ أـتـخـمـ بـالـمـلـذـاتـ ، وـجـابـ الـدـنـيـاـ ذـهـابـاـ وـإـيـابـاـ ، وـلـبـسـ أـفـضـلـ الـثـيـابـ ، وـرـكـبـ أـفـخـرـ الـمـراكـبـ ، وـنـكـحـ أـجـلـ النـسـاءـ .

- ثم هو بعد ذلك يشكو اكتئاباً في نفسه ، وضيقاً في صدره ، ووحشة في روحه ، لا يكاد ينفك عنها ، ولا يجد لها خلاصاً ولا علاجاً .
- فإذا بهذه المللذات المتنوعة ، والشهوات المختلفة التي يتعاطها ، ويتنعم بها : لا تتجاوز أن تكون مسكناتٍ مؤقتة ، تزول سريعاً ، ثم تعود النفس مرة أخرى إلى اضطرابها وحزنها ، متعطشة إلى شيء جديد غير معتاد ، يبعث السعادة والراحة .
- فيبقى الإنسان ظالماً في هذه المتأهة الموحشة ، والصحراء القاحلة ، يتنقل بين الشهوات والمللذات ، ثم لا يهنا ولا يرتوى بشيء .
- أيها الإخوة : إن في النفس خلة لا تسكن ولا تهنا ولا ترتاح : إلا بالعبادة والنسك ؛ بالصلوة والصيام والحج والذكر ، والتَّبَيْلُ لله تعالى .
- إن النفس البشرية في حاجة ملحة إلى أن تسجد لخالق الكون سجوداً طويلاً ، فتستمد منه السكون والانسراح والطمأنينة .
- إنها في حاجة إلى أن ترکع له - سبحانه - رکوع الذل بين يديه ، تسبحه وتعظمه ، وتستمد من رکوعها عزة نفسها ، وشموخ ذاتها .
- إن النفس البشرية في حاجة إلى أن تذکرَه - سبحانه - ذكرًا طويلاً ، تستمد منه صفاء روحها ، ونقاء نفسها .
- إنها في حاجة إلى قراءة كلامه المجيد ، وترديده في الصباح والمساء ، وفيما بينهما ، فتطمئنُ لذكره ، وتأنسُ بآياته .
- إن النفس في حاجة إلى أن تخلو بربها ساعة من الزمان ، فتنتظرَ بين يديه ، وتلوذ بجنابه ، فتحدثه بحاجاتها ، وتفصح عن همومها ، فتلعج وتسأله وتبتهل ، فلا تمل ولا تكل .
- إنها في حاجة إلى أن تستجيب إلى نداءاته سبحانه في السحر : « ألا عبد يسألني »

فأعطيه » ؟

- إن النفس الإنسانية تفتقر إلى القوة الربانية المطلقة : تستند إليها ، وتلوذ بها ، وتلğa إلى جنابها ، إنها في حاجة إلى القوة الكبرى ، لتحيا في كنفها ، وتعيش تحت ظلها .
- إن النفس في حاجة إلى الحماية الإلهية من آفات الحياة ، وأهوال الآخرة .
- إن الإنسان في حاجة إلى ربه ﷺ ليحميه من شر نفسه التي بين جنبيه ، وينخلصه من قبيح طبعها ، ويهذبها من سوء خلقها .
- أيها الإخوة : إن الإلنس والجن لو اجتمعوا على أن يُسعدوا شخصاً بغير عبادة الله تعالى لعجزوا عن ذلك وأخفقوا .
- وهامم أهل الضلال من حاز الدنيا والصحة والقوة والسلطان : يفتقر أحدهم إلى تسبيحة واحدة يسبحها ، لعلها تُسكن خلّة نفسه المحرومة ، وتروي عطش روحه الظامية .
- يعيش أحدهم في الترف والرفاهية والشهرة : ومع ذلك تبقى نفسه مظلمة مستوحشة متذمرة ، لا تهنا بشيء .
- لا يعرف كيف يُسعدها ، ولا يعلم كيف يُريحها ؛ فقد جلب لها كلّ المللّات الحسية المادية ، ومع ذلك لم تسكن ولم تطمئن ولم تستقر .
- في مقابل ذلك : فقير معدم ، قد رضي بالله ربّا وبالإسلام ديناً ، وبحمد ﷺ رسولًا ، قد استقرت نفسه ، واطمأن قلبه ، وأنست روحه .
- إذا جاع صبر ، وإذا شبع شكر ، قد وجد في القرآن والذكر وماء زمزم : ما يغنيه عن كثير الطعام والدواء .
- لقد وجد في العبادة جنة الدنيا ، التي تاه عنها التعساء ، وانشغل عنها السفهاء ، يظنون أنهم على شيء وليسوا على شيء ، إنما هو الوهم والسراب .
- تمر على أحدهم مواسم الخير والبر : فلا يتقدّم إلى الله خطوة واحدة ، وكأن

مواسمَ الخير لا تُنْصَهُ ، ولا تعنيه في شيءٍ .

- إن المسلم العاقل ليتعجب : كيف يعيش أنس في الحياة بلا صلاة ولا صيام ولا ذكر ، كيف تطيب نفوسهم بغير العبادة ، وبغير الأنس بالله تعالى ؟
 - لو لا صلاة الليل ، وصيام النهار ، وقراءة القرآن ، والخلوة بالرحيم الرحمن : لتنمى الصالحون الموت ، وما عاشهوا في الدنيا ساعة واحدة .
 - ماذا يريد الصالحون من دنيا قد ملئت بالظلم والغش والكذب واللغو والافتراء ، لو لا طولُ القيام ، وإدامةُ الصيام ، والنظر في آيات الله تعالى ؟
 - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : **الَّذِينَ إِمَّا مَنُوا وَتَطَمِّنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطَمِّنُ الْقُلُوبُ** .
- =====

- أيها الإخوة : إن العبادة هي جنة الدنيا ، فمن لم يدخلها : فلن يدخل جنة الآخرة ، فاستكثروا من الصلاة والصيام والذكر ، وقراءة القرآن .
- واعلموا أن عزكم ونصركم وفلاحكم ، إنما هو في عبادتكم لربكم ، وذلكم بين يديه ، وافتقاركم إليه ، فما يزداد أحدكم بالركوع والسجود والصيام إلا رفعة عند الله تعالى .
- اللهم اجعل في الصلاة قرةً أعيننا، وفي الصيام راحة نفوسنا ، وفي الذكر جلاء همومنا وغمومنا .
- اللهم إنا نعوذ بك من قسوة قلوبنا ، وظلمة أرواحنا ، وجفافِ أعيينا .
- اللهم بلغنا فيما يرضيك آمالنا ، وأصلح أحوالنا ، وتول أمورنا ، واجعلنا من عبادك الصالحين ، يا رب العالمين .



٢- الصلاة باب الخير

- يخاطئ بعض الناس حين يظن أن أبواب الخير في دين الإسلام قليلة ، لا يلتجها إلا القليل من نوادر الناس ، من حاز مواصفات معينة ، وصفات خاصة .
- فيظن بعضهم أن أبواب الخير حكراً على العلماء دون غيرهم ، يُعلّمون الناس ويعظونهم ، ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، ويقودون الأمة ، فأئمّة لغيرهم بمثيل هذه القدرات ؟
- وربما ظن بعض الناس أن أبواب الخير للأغنياء من الناس دون غيرهم ، يزكون أموالهم ، ويتصدقون بفضولها ، ويتبرعون في وجوه البر ، ويدعمون المشاريع الخيرية ، وأئمّة لغيرهم من بسطاء الناس أن يقوموا بمثل هذا ؟
- وربما ظن بعضهم أن أبواب الخير للأقوياء في أجسادهم ، من حباهم الله بالصحة والقوة الجسدية ، فيصلون الليل ، ويصومون النهار ، ويحجّون البيت ، ويجاهدون في سبيل الله ، وأئمّة لغيرهم بمثيل هذا ؟
- وقد أخطأ هؤلاء جميعاً حين حصرروا فضل الله عَزَّ وَجَلَّ في فئات من المسلمين دون غيرهم ، من فضلهم الله بالعلم ، والمال ، والصحة ، حتى إن بعضهم ليتھسّر على فوات الأجر والثواب ، حين كتب الله عليه : الفقر ، أو المرض ، أو الجهل .
- وما عرف هؤلاء أن الله يراعي أعمال العبد الصالحة أيّاً كانت ، حتى إنه - سبحانه - ليقبل مثاقيل الذر من الأعمال الصالحة ، فتقع عند الله بالمكان العظيم ؛ فإنه ما من حسنة خالصة لله تعالى ، تصدر عن المسلم ، مهما كانت يسيرة : إلا قبلها الله تعالى ، فكانت عنده عظيمة ، وهذا شامل لكل أبواب الخير دون استثناء ، كما قال تعالى : **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ** ، حتى إن الكسرة من الخبز ، واللحبة من التمر ، تحول في كف الرحمن كجبل

أحد .

- والناظر في دين الإسلام يجد أبواب الخير مشرعةً مفتوحةً في كل جزئية وكلية منه ، تستوعب كل المسلمين بلا استثناء ولا تمييز ، كلهم يلتجأ أبواب الخير ، على قدر جهودهم ومقاصدهم .
- ولعل في باب الصلاة ما يوضح المعنى ، ويجلّي الحقيقة ، ويبيّن المقصود ؛ فالصلاحة بباب مفتوح لكل المسلمين : غنيهم وفقيرهم ، مريضهم وجاهلهم ، مقيمهم ومسافرهم .
- كلهم يدخل هذا الباب العظيم ، فيغترف من الرحمة والفضل والثواب بقدر إتقانه واتباعه ، وسلامة مقصده ومراده ، وحسن إقباله وتوجيهه .
- فالصلاحة بأذانها ، ووضوئها ، وقيامها ، وسجودها ، وركوعها : بحر واسع من الفضائل والأنوار والأجر والكرامات ، التي لا متهى لها ولا حد .
- ففي فضل الأذان يقول الرسول ﷺ : « من قال حين يسمع المؤذن : وأناأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، رضيت بالله ربأ ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولًا : غفر الله له ذنبه ». .
- ويقول رسول الله ﷺ عن فضل الوضوء : « ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ، ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله : إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ». .
- ويقول عن تكبير الوضوء للسيئات : « إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن ، فغسل وجهه : خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتملها رجاله مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، حتى يخرج نقياً من الذنوب ، فإذا هو قام فصلى ،

فَحَمْدُ اللَّهِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَمَجْدُهُ بِالذِّي هُوَ أَهْلُهُ، وَفَرَغَ قَلْبُهُ لِلَّهِ تَعَالَى: إِلَّا
انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيْوَمْ وَلَدَتِهِ أُمُّهُ».

- ويقول رسول الله ﷺ في خطوات المشي إلى الصلاة: «من توضاً فأسبغ
الوضوء ، ثم مشى إلى صلاة مكتوبة ، فصلاها مع الإمام : غُفر له ذنبه » .
- ويقول عن الخطى إلى صلاة الجمعة خاصة : «من غسل واغتسل ، وغدا
وابتكر ، ودنا من الإمام ، ولم يلْعُ : كان له بكل خطوة : عمل سنة صيامها
وقيامها » .
- ويقول عن فضل صلاة الجمعة : «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام
نصف الليل ، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله » .
- ويقول رسول الله ﷺ عن ثواب أداء الصلاة : «من توضاً نحو وضوئي هذا
ثم صلى ركعتين ، لا يحيّث فيهما نفسه : غُفر له ما تقدم من ذنبه » .
- ويقول : «عليك بكثرة السجود ؛ فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها
درجة ، وحطَّ عنك بها خطيئة » .
- ويقول ﷺ عن فضل قول آمين في الصلاة : «إذا قال أحدهم آمين ،
وقالت الملائكة في السماء آمين ، فوافقت إحداهما الأخرى : غُفر له ما تقدم
من ذنبه » .
- ويقول عن قول سمع الله لمن حمده : «إذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده ،
فقولوا اللهم ربنا لك الحمد ، فإن من وافق قوله قول الملائكة : غُفر له ما
تقدّم من ذنبه » .
- أيها الإخوة : هذا باب واحد من أبواب الخير التي فتحها الله تعالى لعباده
المؤمنين ، من الأغنياء والفقراء ، من الأصحاء والمرضى ، من الضعفاء

والأقواء ، الكل مدعوٌ ليدخل الجنة من أوسع أبوابها ، فأين المشمرون ، من أصحاب المهم العالية ، والنفوس التواقة ، والأرواح الوثابة ، من يتطلع إلى الأئم ، وينظر إلى السماء ، فلا يعوقه في مسيره إلى الله : انشغال ، ولا مرض ، ولا فقر ، ولا جهل ، قد خلص نفسه من عوائق الدنيا الدينية ، وعلق روحه بالآخرة العلية .

=====

- مرّ رسول الله ﷺ بقبر فقال : « من صاحب هذا القبر ؟ فقالوا : فلان ، فقال : ركعتان أحبُّ إلى هذا من بقية دنياكم » .
- أيها الإخوة : كل منا سوف يندم على ساعتين : ساعة قدم فيها شرًّا ، وساعة أخرى لم يقدم فيها خيراً ، فكلُّ نادم ولا بد ، إما على ذنب صدر منه ، وإما على تقصير وقع فيه ، ولا ينجو من ذلك إلا من اتقى ربه ، واجتهد على نفسه ، وقدم لآخرته .
- واعلموا أن العمر لا يزيد المؤمن إلا خيراً ، ما دام عملاً مجتهداً تقياً ، والرسول ﷺ يقول : « خياركم أطولكم أعماراً ، وأحسنكم أعمالاً » .
- ويقول أيضاً : « خير الناس من طال عمره ، وحسن عمله » .
- فاجتهدوا - أيها الإخوة - على أنفسكم ، وقاوموا أهواءكم ، وقدموا لما أمامكم .
- اللهم أَمِدْ في طاعتك أعمارنا ، واختم بالصالحات آجالنا ، وكن معنا على أعدائنا ، يا رب العالمين .



٣- معالم رمضان

- أيها الإخوة : رمضان شهر من شهور السنة الهجرية ، إلا أنه شهر ليس كالشهور ، وأيامه وليلاته ليست كغيرها من الأيام واللاليالي .
- فنهاره صيام ، وليله قيام ، و ساعاته ذكر ، ونفقة ضعيف ، فالحسنة في رمضان ليست كالحسنة في غيره .
- كما أن السيئة في رمضان - لا سيما في نهاره - أمرها عظيم ، خاصة في البلد الحرام ، بجوار البيت العتيق .
- أيها الإخوة : لرمضان خمسة معالم ، يتميز بها عن الشهور الأخرى ، وينفرد بها .
- أولها : الصيام ، فالمكلفون يمسكون عن المفترات في نهار رمضان ، قد حرم الله عليهم قطرة من الماء ، وحبة من الأرز ، ولقمة من الطعام .
- ينظر الله تعالى إلى العباد في ضبطهم لأنفسهم ، ورعايتهم حرمة نهار رمضان ، يعلم سبحانه منهم التقوى التي تعصّمهم من الزلل ، وتنعمون من تقصد الخطأ .
- حتى إذا أضناهم العطش ، وأرهقهم الجوع ، وأقلقتهم الشهوة ، وأثنت أفواههم ، وهزّلت أجسادهم : أذن الله لهم بالفطر عند الغروب ، فحلّ لهم كل شيء كان حرّم عليهم في النهار .
- فكان فطّرُهم فرحةً لا تعادلها فرحةً من أفراح الدنيا ، يعودون إلى أقواتهم وشرابهم وملذاتهم ، فيصلحون بذلك أجسادهم ، ويجدّدون به نشاطهم أحسن وأفضل ما كانوا عليه .
- وما كان الله ليتحقق عبيده بطول الصيام ، ماذا يريد الله بتعذيبهم ؟ وإنما هي ساعات في اليوم ، وشهر في السنة ، يصلح بها البدن ، وتزكي بها النفس ، ويصفو بها الذهن ، وتشرق بها الروح ، ويتجدد بها النشاط .

- حتى إذا انقطع الصائم عن الدنيا فخلفها وراءه ، ثم أقبل على الآخرة أمامه ، فلقي ربه : فرح عند ذلك بصومه ، الذي حفظه من الرفت والصخب واللغو ، وابتھج بثواب ربه الذي ادخره للصائمين .
- فإذا بكنوز الرحمة ، و خزائن النعم ؛ التي وعدها الله الصائمين : ثُفتح بين يديه ، فإذا فيها من النعيم الكبير ، والجلال العظيم ، الذي ادخره الله للصائمين ما لا يوجد في غيرها من الأعمال ، وصدق الله تعالى إذ يقول في الحديث القديسي : « الصيام لي وأنا أجزي به » .
- وأما المعلم الثاني من معالم رمضان : فهو القيام ، الذي خصه الله تعالى جماعة في ليالي رمضان .
- يقومون لله تعالى قانتين خلف أئمتهم في بيوت الله تعالى ، فيطيلون القيام ، ويکثرون من الركوع والسجود والذكر .
- حتى إذا ختموا صلاتهم من كل ليلة : ألحوا في الدعاء والرجاء والابتهاج بأن يتقبل الله منهم ، وقد علموا أن الله لا يتقبل إلا من المتقين .
- قلوبٌ وجلة ، ونفوسٌ خاتفة ، وعيونٌ دامعة ، ودعاةٌ حار وجل : اللهم تقبل منا ، ولا تردننا خائبين .
- أيها الإخوة : كل من في قلبه بقية خير يصلّي في رمضان ، حتى المقصّر في فروضه يصلّيها في رمضان ، وكذلك المقصّر في نوافل الصلاة يحرص عليها في رمضان ، فينشط الناس للصلوة وطول القيام ، ولا يبقى بعد هؤلاء إلا الشاردُ عن رحمة الله ، المعرض عن الخير .
- حتى إذا تفضّل الله على القائمين في أواخر ليالي رمضان ، فتوّج قيامهم بليلة القدر ، فأنحفهم ببلوغها ، وشرفهم بقيامها ، فهو لاءٌ لهم أسعدهم الناس بربهم ، وأعظمهم أجراً وثواباً ، فقد بلغوا القمة في الثواب ، والغاية في الرضا ، حين

مُنحوًا عبادة ألف شهر .

- وأما المعلم الثالث من معالم شهر رمضان : فهو قراءة القرآن ، حتى إنك لتشعج من أناس لا تقع أعينهم على كتاب الله تعالى إلا في رمضان ، يهجر أحدهم قراءة القرآن طول السنة ، لا يكاد ينظر فيه ، حتى إذا دخل الشهر المبارك : حرص على ختمه ، فعكف عليه يقرؤه بحرص .
- فللقرآن في رمضان - أيها الإخوة - معنى خاص ، ومزيةٌ فريدة ؛ فهو شهر القرآن ، فيه نزل إلى السماء الدنيا في ليلة القدر المباركة ، وفيه أيضاً بدء نزوله على النبي الكريم محمد ﷺ .
- ولهذا كان النبي ﷺ حريصاً على ختمه في رمضان ، يراجعه مع جبريل عليهما السلام ، وعلى هذا درج السلف ، يتفرّغون في رمضان للقرآن فيختمنه ، ويكررون ذلك في هذا الشهر الكريم .
- أيها الإخوة : ليس شيء بين أيدينا غير مخلوق إلا القرآن العظيم ، قد تكلم الله تعالى به ، وأذن لنا بفضله أن نتلوه ونرددّه ، ويسره لنا تيسيراً ، ولو لا فضل الله تعالى بتيسير القرآن ، وتسهيله على الألسنة : ما استطاع أحد أن يقرأ منه حرفاً واحداً .
- في القرآن شفاء القلوب والأبدان ، وراحة النفوس والأجسام ، ونور العقول والأبصار ، ما قرأه قارئ للاهتداء إلا اهتدى ، وما قرأه قارئ للعلم إلا تعلم ، ولا قرأه قارئ للشفاء إلا شفّي بإذن الله .
- لقد عجز الجن والإنس عن أن يأتوا بسورة من مثله - وأنى لهم - فقد حفظه الله غصاً طرياً ندياً صحيحاً كما أنزل أول مرة ، لم يبعث به أحد ، قد عجزوا جميعاً عن ذلك على مر العصور ، وتعاقب الأزمان .
- وأما المعلم الرابع من معالم رمضان : فهو العمرة ، فإن عمرة في رمضان تعدل

حجّةً مع النبي ﷺ ، فمن فاته شرف صحّبته ﷺ فلا يفوته عظيم أجر العمرة في رمضان .

- يستشعر المعتمر كأنّ النبي ﷺ أمامه يأخذ عنه المنسك ، ويترشّف بصحّبته ، فيعيش لحظات من الأنس والاطمئنان والسكون .
- يهلل ويكبر ، ويعلن التوحيد ، متشرّفاً بمقام العبودية للواحد الأحد ، منكسرًا متذللاً بين يدي ربه ﷺ .
- يطوف بالبيت سبعاً ، ويسعى بين الصفا والمروءة ، ينادي ربه من أعماق نفسه وينشدُه : يا رب يا رب .
- حتى إذا ختم عمرته تقدّم برأسه ذليلاً يملأه على اعتاب رحمة الله : يرجو الدخول في رحمته ، ويخاف الطرد عن جنابه .
- وأما المعلم الخامس من معالم شهر رمضان : فهو الاعتكاف ، حتى إذا عزم أحدهم عليه تجبره من كل شيء إلا الله .
- قد اعتصم بحبل الله في بيته ، لا يألو على ولد ولا مال ولا زوجة ولا وظيفة ، قد انقطع بكليته لله تعالى .
- ليس له من الدنيا إلا لقمةٌ يتناولها ، وحاجةٌ يقضيها ، ونومةٌ قصيرةٌ يأخذها ، ثم هو بعد ذلك متبدل حصور .
- قد انشغل عن الدنيا بأجل ما فيها : بالصلوة ، والقرآن ، والذكر ، والدعاء ، حتى إذا جاهد نفسه في ذلك أيامًا ، وكابد نزغات الشيطان ، وهواجسَ النفس ، ورغباتِ البدن ، عندها : تشرق نفسه بالأنوار ، وينشرح صدره بالأنس بالله تعالى ، ويعاين من السعادة الروحية ما لا يعرفه في غير هذا المقام .
- ويقع في قلبه من إلهامات الخير ، وجديد الفهم ، ونور اليقين : ما لم يكن يعرفه من قبل .

- أيها الإخوة : إنها فضائل رمضان ، وأنواره وإشرافاته ، من تعرض لها ، وجاهد نفسه ، ودافع أهواءه : نال حظه الوافر منها ، ومن قصر فإنا يقصر على نفسه ، والله هو الغني الحميد .
- =====

- أيها المسلمون : رمضان شهر خفيف ، يمضي سريعاً ، ولا يكث طويلاً ، لا يكاد يدخل الشهر حتى تطوى أيامه ، وتمضي لياليه ، ولا يستفيق المجبون إلا على ختامه ، فلا تستقلوا ، فلعل بعضنا لا يلقاه أبداً بعد عامه هذا .
 - إن من أحياه الله حتى بلغه هذا الشهر العظيم ، وقد عافاه في بدنـه ، وبارك له في وقته : فقد أمهله الله تعالى ، ينظر كيف يفعل بهذه النعمة الكبرى .
 - إن أناساً منا تتقطع نفوسهم أبداً ، حين لا يجدون وقتاً ولا فرصة للقيام والقراءة والذكر ، ولا يقدرون إلا على الصوم فقط ، قد جاءهم ما يشغلهم .
 - آخرون منعهم المرض أو كبر السن من أن يجتهدوا بما يليق برمضان ، من الصيام والتهجد .
 - آخرون مفرطون ، لا من هؤلاء ولا من هؤلاء ، قد استحوذ عليهم الشيطان ، لا يصومون ولا يصلون ، لا يعني لهم رمضان شيئاً ، قلوبهم قاسية ، ونفوسهم مظلمة ، وصدورهم حرجة ، لا يفهون ولا يعقلون .
 - يقول الرسول ﷺ : « بُعداً مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يَغْفِرْ لَهُ ، إِذَا لَمْ يَغْفِرْ لَهُ فَمَتَى؟ » .
 - نعم - أيها الإخوة - إذا لم يغفر لل العاصي في شهر الرحمة ، والمغفرة ، والعتق من النار : فمتى يغفر له ؟
- ◎◎◎◎◎◎◎◎

٤- شهر القرآن

- لقد اختص شهر رمضان بإنزال الكتب الربانية على الرسل الكرام ، فما من كتاب ولا صحيفة إلا أنزلت فيه ، فهو شهر هداية ، ونور ، وبركة .
- نزل القرآن أول ما نزل في رمضان دفعة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا ، وكان ذلك في ليلة القدر المعظمة : إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٢١﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أُمَّةٍ حَكِيمٌ .
- أُنزله ﷺ : ... هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ... ، ففيه الهدى المنافي للضلال ، والرشد المنافي للغى ، وفيه الطمأنينة المنافية للريب ، فإذا اجتمع للإنسان الهدى ، والرشد ، والطمأنينة ، فقد حاز السعادة من كل أطرافها .
- لقد خاطب الله الإنسان بهذا الكتاب ، وخصّه به دون غيره ، كrama له ، ورفعه لمنزلته : يَأَيُّهَا أَلِإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ، يَأَيُّهَا أَلِإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَذَّحًا فَمُلَقِّيْهِ .
- لقد احتفى القرآن بالإنسان بأعظم احتفاء ، فتحدث عن نشأته الأولى عند خلق آدم ، وأطوار تخلُّق ذريته في الأرحام ، ثم تناوله في عقيدته ، في إيمانه وكفره ، في إذعانه وطغيانه ، في اعترافه ونكرانه .
- وتحدث القرآن عن الإنسان في سلوكه وأخلاقه ، في حسنها وسوئها ، في صدقه وكذبه ، في إقباله وإدباره ، في تواضعه واستكباره ، في لينه وقسوته .
- وتحدث القرآن عن الإنسان في عمقه الروحي ، وباطنه النفسي ، يعرض أسراره ، ويكشف أخباره ؛ فيحدثه عن نفسه ، وينبّهه عن ذاته ، يكاشفه بحقائقه الباطنة ، ويصارحه بدواخله المستوره : إِنَّ اللَّهَ لَا تَخْفِي عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، وَلَقَدْ حَلَقْنَا أَلِإِنْسَنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسِّعُ بِهِ

نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ .

- لقد قدم القرآن للإنسان ثقافة عظيمة جليلة ، شملت الماضي السحيق بأبعاده التاريخية المختلفة ، وشملت الواقع بما يحيط الإنسان من حوله في ملوكوت الله تعالى ، من عوالم وخلوقات ، وشملت أيضاً المستقبل بما يتظر الإنسان في معاده ، من الأحداث والواقع والأحوال .
- لقد ضمَّ القرآن إجابات شافيةٌ كافيةٌ عن أسئلة الإنسان الملحة : من أين جئت ، ولماذا جئت ، وأين أذهب ؟ كل ذلك يجده الإنسان مسطراً في كتاب سهل ميسر ، وعبارة بليغة موجزة : **وَلَقَدْ يَسَّرَنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهُلْ مِنْ مُذَكَّرٍ .**
- لقد استطاع هذا الكتابُ العظيم ، بما يحمله من : القوة المطلقة ، وجمال العبارة ، وروعة البيان ، وسلامة التعبير : أن يسيِّ عقول العرب ، ويذهَبَ بالبابهم ، ويشعَّلَ أذهانهم ، فوقفوا مذهولين لكماله ، مشدوهين بجماله ، قد عجزوا كل العجز عن معارضته أو مجاراته : **فُلِّينِ آجَتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ طَهِيرًا .**
- لقد أخذت قريشٌ بروعة القرآن وحلوته ، حتى إن أحدهم يتخفي في ظلام الليل ، ويستتر بسواده ؛ ليسمعه من أظهر فم تلا القرآن ، من فم محمد ﷺ ، وهو يتلوه في صلاته ، فإذا افْتَضَحَ أمره : عاهد قومه ألا يعود ، مما يلبث طويلاً حتى يرجع مأسوراً إلى موقعه عند بيت رسول الله ﷺ ليسمع من جديد إلى عظمة القرآن وروعته .
- لقد استطاع هذا الكتاب العظيم أن يعيد بناء الإنسان الجاهلي ، بكل ما يحمله هذا الإنسان من النواقص والتشوهات والتخلُّف ، فيصوغه صياغة خاصة ، وينشئه نشأة فريدة ، ليخرج للناس خلقاً آخر ، وكياناً جديداً ، كأنما ولد الساعة : **أَوَمَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ**

كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلْمَتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا

- لقد صنع القرآن محمدًا ﷺ ، وصنع أصحابه رضي الله عنه ، ثم أخرجهم للناس جيلاً لا مثيل له في إيمانه وأخلاقه ، ولا شبيه له في سلوكه وطباعه ، ولا منافس له في أدائه وإنجازه ، ليبقى ذلك الجيل الفريد دلالة صادقة على ع神性 هذا الكتاب ، وقدرته الفائقة على صناعة الإنسان والأجيال ، في كل عصر وزمان ، وفي كل مصر ومكان ، حينما يسلم الإنسان قيادته لهذا الكتاب ، معرضًا عمًا سواه ، فيأخذ منه عقیدته وأخلاقه ، ويبني به نظامه وأحكامه ، يحل حلاله ، ويحرم حرامه ، ويعمل بمحكمه ، ويؤمن بتشابهه ، ويقف عند حدوده .
- وما زال عطاء القرآن في كل زمان واسعاً متداولاً ، يحمل الحياة للقلوب المقبلة ، ويعطي السعادة للنفوس المذعنة ، ولن يدخل القرآن على أحد قبل عليه بصدق وشوق .
- اللهم افتح بالقرآن مغاليق قلوبنا ، وأصلاح به نفوسنا ، وزكّ به أرواحنا يا أرحم الراحمين .

=====

- إن القرآن لا يعمل من ذات نفسه ، من خلال مجرد تلاوته ، أو طباعته ، أو إذاعته ، أو اقتئائه ، وإنما يعمل من خلال الجهد البشري ، من خلال جهد الإنسان وجهاده حين يؤمن به ، ويعمل بمقتضاه .
- يقرؤه مسترشداً به ، مذعنًا لأحكامه ، منقاداً لأوامره ، وهذا هو المقصود من قوله تعالى : **الَّذِينَ ءاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتَلَوَّنُهُ حَقَّ تِلَاقِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ...** .
- إن القرآن يعمل ويؤتي ثماره إذا صادف قلباً حياً ، ونفسًا مقبلة ، وروحًا تواقـة ، فيفتح لها نافذة من الأنوار والمعارف والفهم ، مما لم يكن يعرف ولا

يعلم من قبل .

- وبقدر ما يعطي الإنسان القرآن من الاهتمام والاستعداد والإقبال ؛ فإن القرآن يعطيه من كنوزه وبركاته .
- إن للقرآن نفحاتٍ من الأسرار والمعاني والإشارات : تغلق دونها أبواب القلوب المشغولة ، وتوصد في وجهها مداخل النفوس اللاهية ، فلا تنتفع بالقرآن : **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا** .
- فأقبلوا أيها المسلمون على القرآن في هذا الشهر الكريم ، استعدوا لسماعه ، وتجهزوا لتلاوته ، فارعوا له أسماعكم ، وفتحوا له قلوبكم ، واسأموا الله من فضله .



٥- مشاعر حاج

- يطالعنا موسم الحج بعشره المباركات في كل عام ، يجدد للأمة الإسلامية ما صدأ من دينها ، وما ذُبلَ من إيمانها ؛ فيحيي في الأمة معانٍ جليلة ، ومقاصد سامية ، وقيماً رفيعة .
- مما زال المسلمون في كل موسم يرشفون من معين الحج ومناسكه المباركة روحًا جديداً ، وخلقاً حميداً ، وسلوكاً قوياً ؛ فكم جدد الحج من الإيمان في القلوب ، وكم أيقظ من المشاعر في النفوس ، وكم أحيا من الضمائر في العقول ؟
- لقد كان الحج وما زال رافداً عظيماً للإيمان ، ومعيناً متذفلاً للروح ، وقوة متتجدة للبدن .
- يأتي الرجل من آفاق الأرض ، وقد أسرف على نفسه ، وفرط في جنب ربه ، حتى إذا بلغ المیقات ، فاغتسل وتجرد من المخيط ، ورفع صوته بالتلبية : انتابه شعور جديد ، ودخله إحساس غريب ، وعلّته دهشة الظامي المتطلع إلى ما أمامه .
- حتى إذا شارك الركب يلبي معهم ، وينادي بالتوحيد ، وييجار بالدعاء : غشيتها السكينة والاطمئنان ، ونزلت عليه الخشية والانكسار .
- حتى إذا استقبلته جبال مكة الشامخة ، ووديانها العامرة : خفق قلبه بالرجاء ، وتحرك لسانه بالدعاء : يا رب يسر ، يا رب يسر .
- حتى إذا دنا من البيت العتيق ، وقرب من الحرم الشريف ، وعاين مآذن المسجد الحرام : خفق فؤاده ، واضطربت أطرافه ، واقشعر جلده ، وأخذ يقول : هذا بيت الله ، اللهم اجعلني ضيفاً مقبولاً عند بابك ، اللهم لا تطردني عن جنابك .

- وما هي إلا لحظاتٌ يسيرةً حتى رأى الكعبة المشرفة ، بجلالها العظيم ، وجمالها الباهر ، وزيتها الكاملة ، والناس يحوطونها من كل جانب ، ويكتفونها من كل جهة : يطوفون حولها ، ويصلون تجاهها ، ويدعون قبّلها ، وينظرون بهاها .
- فإذا به لم يتمالك نفسه حين رأى هذا المشهد الفريد ، وهذا الجموع الكريم ، فلم يحكم مشاعره ، ولم يضبط أحاسيسه من شدة الفرح ، حتى عبر عن ذلك بالبكاء ، الذي أخذه دون اختياره ، فإذا بالدموع تناسب على وجتيه ، لا يملك إيقافها ، فاختلطت في نفسه مشاعر الفرحة بالدموع ، وتدخلت عنده روعة اللقاء بالبكاء ، إنها لحظاتٌ نادرة ، ومشاعرٌ فريدة ، لا يعرفها على حقيقتها إلا من عاش لحظاتها ، وتنفس نسماتها ، وذاق حلاوتها .
- فما لبث الرجل بعد عمرته إلا أيامًا قليلة حتى اجتمع مع الحجيج على صعيد عرفات ، خلق كثير من كل لون و الجنس ، وأناس جاءوا من كل حدب وصوب ، يجربون الداعي ، ويلبون النداء : *وَأَدْنِ فِي الْنَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجَّ عَمِيقٍ* .
- جمع مهيب ، ومؤمر كبير ، وخلق كثير ، كل جاء بمحاجاته ، وهمومه ، وشكواه : يئثها عند أعتاب ربه الكريم ، يناجونه بأصوات مبحوحة ، ويدعونه بقلوب مكسورة ، فلا تختلط عليه الأصوات - سبحانه - ولا تلتبس عنده اللغات .
- حتى إذا دنت الشمس من الغروب في هذا اليوم العظيم : نزل الجبار إلى السماء الدنيا في هذه العشية المباركة ، ودنا من عباده ، يقول رسول الله ﷺ : « إنه يدنو عشية عرفة ، فيياهي الملائكة بأهل الموقف فيقول : انظروا إلى عبادي أتونني شعثاً غبراً ، ما أراد هؤلاء ؟ » .

- فإذا بهذا المسرف على نفسه ، المقصر في جنب ربه : تدخله رعدة شديدة من هول الموقف ، ورعبه المقام ، تهزه هزاً من الداخل ، وتناديه : لقد آن أوان التوبة ، فإلى متى الغفلة والتسويف ؟ فما يمتلك الرجل نفسه حتى يعاهد ربه ~~عَلَيْكَ~~ ، ويُعلنها توبه نصوحًا ، لا رجعة بعدها ولا نكوص .
 - اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم .
- =====

- إنها مشاعر جميلة ، ومواقف جليلة ، تحرك المسلم من الداخل ؛ فتوقعه النائم ، وتنبه الغافل ، فكم من مسرف هداه الله في الحج ، فأصلاح حاله بعد طول غفلة وسهو ، فتنبه لما أمامه ، فمازال الحج - في كل عصر وزمان - وسيلة للصلاح والإصلاح ، يغسل الذنوب ، ويحيي القلوب ، ويزكي الأرواح .
- فاحرصوا أيها الحجاج على أداء المناسك ، و تعرضوا للنفحات الإلهية ، والمنح الربانية ، وادعوا الله وحده مخلصين له الدين ، فإن السعيد الحصيف من اغتنم أيامه و ساعاته ، والتعيس من فرط وسوف ، وتنبئ على الله الأماني .
- اللهم يسر للحجاج حجتهم ، وبلغهم سؤلهم ، واخلف عليهم ما أنفقوا ، وبارك لهم فيما أبقو ، يا رب العالمين .



٦- الوسواس الخناس

- يجُّ العالم من حولنا بالكائنات والخلوقات المتنوعة ، مما نراه ونشاهده ، وما لا نراه ولا نشاهده ، عوالم ضخمة : عجيبة وغريبة ، من خلوقات الله تعالى ، تزخر بها الدنيا من حولنا ، نحس ببعضها ، ونعاينها بحواسنا ، إلا أنَّ الكثير الأغلب ، لا سبيل لنا إليه ، ولا وسيلة لنا بالوعي به ، ولا قدرة لنا لإدراك كنهه .
- وما يزال الإنسان منذ أول الزمان ، وهو يبحث فيما حوله ، وينتقب عماً غاب عنه ؛ فيكتشف من العوالم الجديدة - القريبة والبعيدة - ما يدل دلالة واضحة بيته ، لا شك فيها ، على عظمة الخالق المبدع ﷺ ، وسعة علمه ، وكريم لطفه .
- كما يدل - في الجانب الآخر - على محدودية قدرات الإنسان ، وقصور إمكاناته ، وفرط عجزه ، أمام عظمة الكون وجلاله ، وسعة ما فيه من الخلوقات الكثيرة ، والعوالم الكبيرة .
- فكم هي عوالم الدنيا ، التي خالطها الإنسان ، وعاينها بحواسه ، وعاش كثيراً من جوانبها ؟ ومع ذلك لم يعرف حقيقتها بصورة كاملة ، ولم يقف على كنهها في كل جوانبها ؛ فقد فهم الإنسان أشياء وحقائق ، إلا أنَّ ما غاب عنه ، وما خفي عليه ، أكثر بكثير مما عرفه وأدركه وفهمه .
- حتى إنَّ الإنسان - من شدة قصوره ، وعظيم عجزه - تخفي عليه معالم نفسه التي بين جنبيه ؛ فيعجز عن فهم نفسه ، ويقصر عن معرفة ذاته ؛ فما تزال النفس البشرية ، عالماً من الغموض ، ومحزنة من الألغاز ، التي نعيشها ونجيئها ، ونتفاعل معها ، ومع ذلك لا نفهمها حق فهمها ، ولا نعرف حقيقتها حق المعرفة .
- أيها الإخوة : لئن كانت النفس البشرية عالماً من العجائب ، وساحة من

الغرائب ؛ فإن من أغرب ما فيها ، ومن أغرب ما اشتملت عليه : هذه الخطرات ، والأفكار ، والأصوات ، التي تقع في نفوسنا ، بصورة متتابعة ومترالية ، لا تقطع ، ولا تقف ، ولا تنهي .

- لا تكاد تمر على أحدها ساعة من الزمان ، إلا ويقع في نفسه من الصور والكلام والمفاهيم والأفكار ، ما لا يستطيع ردّه أو إيقافه .
- سيل جارفٌ هادرٌ من الخيالات والأوهام والخطرات ، تمر بالنفس ، وتطيف بها ، في كل يوم وساعة ، حتى في النام ، الذي هو مظنةُ السكون والمدوء ؛ فإذا بالنفس تعجُّ بهذه الأفكار والخطرات ، التي تحول وتصول داخل الإنسان ، حتى تشوش الذهن ، وتشغل العقل .
- وكثيراً ما يجهد العقلاً في رد هذه الأوهام ، وصرف الاهتمام عنها ، وكف النفس عن اجتارها ، فيضعف - عند ذلك - تأثيرها في نفوسهم ، ويقل صداتها في عقولهم ، إلا أن كثيراً ما يغرق فيها سفهاء الناس ، من ضعاف العقول ، وقليلي الخبرة ، فيستجيبون لها ، ويتبعونها منقادين لها ، فتسوّقهم إلى المهالك النفسية ، وتوقعهم في المزالق الاجتماعية ، والقبائح السلوكية .
- ولقد اتفق العلماء على تسمية هذه الخواطر الرديئة ، والأفكار الموحشة ، والصورات المزعجة ، التي ترد على النفس دون إرادتها ، وبغير رغبتها : اتفقوا على تسميتها باللوسوسة .
- كما نبهوا إلى أن مصدرها الشياطين ، الذين يخالطون الناس في كل شأن من شؤونهم ، ويشاركونهم في كل أنشطتهم الحياتية ، لا يتركونهم أبداً ، في ساعة من ليل أو نهار ، نائمين أو يقظين .
- فما من إنسان إلا ويلازمه قرين من الجن ، لا يغيب عنه أبداً ، فما يزال يخالطه في كل شأن من شؤون حياته ؛ يحضره في طعامه وشرابه وجماعه ، وهو

معه في سفره وإقامته ، وفي يقظته ومنامه ، لا يتركه حتى الممات .

- بل ربما تعرض له عند موته ، في ساعة الاحتضار ، يخالجه بين سكرات الموت ، فيعرض عليه الملل الباطلة ، والنحل الفاسدة ؛ ليختتم له بالتعasse والضلال ، فيثبت الله أهل السعادة على الحق والهدى ، ثم يترك الآخرين لسلط الشياطين .
- أيها الإخوة : إن الوساوس أمر عام ، وواقع شامل ، يشمل جميع الناس ، بما فيهم الأنبياء والصالحون ، إلا أن الله يرده عن أوليائه المتقيين ، فلا يسلط عليهم .
- والمسلم الفطن يميز بين ما يقع في نفسه من وساوس الشيطان ، وبين إهارات الملك ، وذلك بمحك الخير والشر ؛ فالوسوسة الشيطانية لا تخرج عن مضمون الشر والعبث والفساد ، والإلهام الملائكي لا يخرج عن مضمون الخير والإحسان والصلاح .
- وإن أشد الوساوس ما كان متعلقاً بأصل الإيمان والعقيدة ، فقد عانى الصحابة - رضيوا الله عنهم - من هذا النوع من الوساوس أشد المعاناة ؛ حتى شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : « إننا نجد في أنفسنا ما يتواظم أحدهنا أن يتكلم به ، قال : وقد وجدتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : ذلك صريح الإيمان » ؛ يعني كراهة هذه الوسوسة ، والسعى في ردها : هي صريح الإيمان ، وعلامة من علامات صلاح القلب ، وسلامة النفس ؛ فإن الشيطان حين يئس من إضلال الصحابة عن الهدى : اكتفى بالوساوسر المزعجة ، والأفكار الموحشة ، يقلق بها الصالحين ، ويزعج بها الأولياء المتقيين ، ومن تراه يستطيع أن ينجو من مثل هذه الأوهام بعد الصحابة ؟
- ولهذا ، لما كان هذا أمراً عاماً ، يغلب الناس ، فيعجزون عن إيقافه : تجاوز الله

عنه بفضله ورحمته ، بشرط أن يكرهه المسلم حين يقع في نفسه ، ولا يستجيب له ، ولا يُحدّث به أحداً ، فإن التزم هذا فهو معذور ، لا إثم عليه .

- إلا أن أنواعاً أخرى من الوساوس والشكوك ، والأفكار الرديئة ، يصل الشيطان من خلالها إلى هدفه ، ويبلغ مبتغاه من ابن آدم ، وذلك حين يستجيب الإنسان لها ، فيطأوغ الشيطان ، وينفذ أمره ، ويعمل بمقتضى وسالته ، وقل من ينجو من هذه .
- ومن ذلك التحرش بين الناس ، وسوء الظن فيهم ، والتحاسد والتباغض فيما بينهم ، وإثارة العداوات والتنافس البغيض ، ونحو ذلك من القبائح ، التي يقع فيها الكثير ، بفعل خطرات الشيطان .
- والناس يتفاوتون في حجم استجابتهم لوساوس الشيطان ، فبقدر رسوخ إيمانهم ، وعمق فقههم : تكون قوة ردّهم لوساوسيه وأوهامه ، فمنهم الصامد للشيطان ، لا تضره وسالته ، ومنهم المهزوم ، ومنهم بين هذا وهذا ، يصرع مرة ويتصدر أخرى .
- أَعُوذ بالله من الشيطان الرجيم : **وَقُلْ رَبِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَتِ الشَّيَاطِينَ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّي أَنْ تَحْضُرُونِ** .

=====

- إن من أعجب ميادين سلط الشيطان على الصالحين - حين عجز عن إغوائهم وإضلalهم - الدخول عليهم بالوسوسة والشك من باب إتقان الطهارة ، وصحة الصلاة .
- حتى إن أحدهم ليمكث الساعات الطويلة ، يتظاهر ويتوضاً ، فما يزال في تردد وشك ، حتى لربما يتنهى الماء ، أو تفوته الصلاة .

- يأتيه الشيطان بوسوسته من باب الحرص والتقوى ، فيعذبه بذلك ، حتى يُوقعه في كبيرة خروج وقت الصلاة .
- وما يزال الشيطان يتسلط على بعضهم ، في وضوئه وطهارته ، حتى يصبح أضحوكة للعامة والصبيان ، يتندرون بخفة عقله ، وسخافته سلوكه .
- فإذا جاء إلى صلاته وقف يتrepid في التكبير والقراءة والاستعاذه ، حتى ربما تفوته الركعة ، وهو ما يزال متربداً في مقامه .
- ثم ما من شيء من أمر الدنيا ، من قريب أو بعيد ، إلا جاء به الوسواس في الصلاة : اذكر كذا ، اذكر كذا ، لأنشياء لم يكن يذكرها من قبل .
- وربما أوهنه بانتقاض وضوئه ؛ فإن للشيطان قوةً عجيبة ، يستطيع بها تحريك دبر الإنسان ، فيوهُمُه كأنها ريح خرجت منه .
- فترى قليل الفقه ، إذا أحسَّ بشيءٍ من ذلك : ترك الصلاة وذهب لل موضوع ، مما يزال بين وضوء وصلاة ، حتى يخرج الوقت .
- لقد كان الرسول ﷺ يتوضأ بالمدّ ، وهو بقدر كأس الماء ، ويغسل بالصاع ، وهو بقدر الجالون تقريباً ، وينهى عن الإسراف والشك والتردد .
- ويأمر بالاستعاذه من الشيطان عند دخول الخلاء ، وعند الصلاة ، والنفث ثلاثةً عن اليسار ، يردد بذلك وسوسه الشيطان .
- أيها الإخوة : ما من أحد إلا وقد وضع الشيطان خرطومه على قلبه ، فإن غَفَلَ : قوي وسلط عليه ، وإن ذكر الله : ضعف وخنس ، وهو يجري من أحدهنا مجرى الدم ، فلا ينجو من أذاه إلا من حفظه الله تعالى بفضلـه ، فاسأـلوا الله الحفظ والحماية من كـيده .

• واعلموا أن قبول المسلم واسترساله مع وساوس الشيطان : معصية تحتاج إلى توبة ، والعبرة كل العبرة في خبر أبيينا آدم - ﷺ - حين قبل وسوسته ، فحصل من ذلك ما تعلمون .



رابعاً : التربية الأخلاقية

- ١- صناعة الإنسان الجديد
- ٢- خلق الحياة
- ٣- المسلمين في أعقاب الزمان
- ٤- أهواء النفس الإنسانية
- ٥- فساد الإنترنت

١- صناعة الإنسان الجديد

- لقد جاء دين الإسلام لينشئ الإنسان نشأة جديدة ، ويصبّعه صبغة ربانية خاصة ، ويبنيه بناء شامخاً ، على قواعد الحق ، وأسس الصواب .
- لقد جاء هذا الدين ليطلق الإنسان من آصاره وأغالله ؛ لينطلق نحو آفاق جديدة من السمو الإنساني ، يتدرج في مراتب الكمالات ، ويترقى في درجات الطاعات .
- لقد رفع هذا الدين العظيمُ مقام الإنسان من حضيض الذل والعار ، إلى مقام الشرف والعفاف .
- لقد رفعه من ذل العبودية لغير الله تعالى ، إلى مقام العبودية الخالصة لله تعالى وحده .
- رفعه من درك العاصي والمنكرات ، إلى مراتب الفضائل والصالحات .
- لقد جاء هذا الدين ليخلص الإنسان من عوالق الدنيا الدينية ، ليربطه بوسائل الآخرة العلية .
- قد جاءكم منَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ رُسُلَّمٍ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .
- فأية نعمة أفضل وأعظم من هداية الله تعالى للإنسان نحو سبيل المدى والرشاد ، الذي يصلح به حاله ، ويستقيم به أمره ، وتزدهر به حياته .
- فمن ذا يعصي الإنسان من الله ، إن أراد الله أن يتركه و شأنه بلا هداية ولا إرشاد ، ولكنها رحمته التي وسعت كل شيء : فَلَمَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ ذُوْنِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا .

- إن نعمة الهدى إلى الحق : أجل نعمة يتحصلُّها الإنسان في هذه الدنيا ، لا تضاهيها نعمة مهما عظمت : **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلَيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ .**
- أيها الإخوة : لقد نزل هذا الدين حين نزل على أقوام قد غرقوا في بحور الضلال ، وبلغوا شاؤاً عظيماً في دروب الفساد ، حتى مقتهم الله بقبيل أفعالهم .
- يعبدون الأوثان ، ويأكلون الربا ، ويعاقرون الخمر ، ويقتلون النفس ، ويقطعون الأرحام ، وكانوا - كما وصف الله - في ضلال مبين ، ظلمات بعضها فوق بعض ، لا عقل لهم ولا بصيرة ، ولا فهم لهم ولا دراية ، كحال الأنعام العجماء ، لا تعقل ولا تهتدى .
- حتى إذا جاء هذا الدين - بما يحمله من النور والهدى والتزكية - صبغهم بصبغته الربانية الجديدة ، وخصهم بهدايته الإيمانية العظيمة .
- فتشربوا من معين التوحيد ، وارتوا من نهر الإيمان ، وخاضوا بحر العبودية ، حتى أصبحوا شيئاً آخر .
- فإذا بالمشرك يتقلل إلى التوحيد ، وإذا بالفاجر يصبح صالحاً ، حتى إن المحرم المارد ليرق بهذا الدين ، ويلين كالنعجة الصغيرة في يد راعيها .
- لقد عجب التاريخ : كيف يتقلل العتاة المردة من عمق الضلال والتعasse ، والعنف والقسوة ، إلى قمة الهدى والسعادة ، والرقة والخشية ؟
- لقد تعجب الناقدون : أي سر هذا الذي أودعه الله في هذا الدين ؟ فما أن يسلم أحدهم حتى يصبح كياناً آخر ، قد نشأ نشأة جديدة ، على غير ما كان عليه .
- تختلف في حسه الموازين ، وتبدل في عقله المفاهيم ، ليصبح إنساناً جديداً ،

وشخصاً آخر .

- ما بين أحدهم - بكل ما يحمله من ماضٍ قديم - وبين ولادته الجديدة إلا كلمة التوحيد الخالصة : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، يتنتقل بها إلى أفق جديد ، وساحة أرحب ، وفضاء أوسع .
- فهذا عمر بن الخطاب رض ، من نصرة الكفر وأهله إلى نصرة الإيمان وأهله ، وهذا خالد بن الوليد رض ، من قيادة جند الكفر إلى قيادة جند الإيمان ، وهذا عمرو بن العاص رض ، من المسرعة في الكفر إلى المسرعة في الإيمان ، لقد ولدوا من جديد من رحم الإسلام العظيم .
- لقد صنعهم هذا الدين صناعته الخاصة ، وبناهم بناء الحكم ؛ ليثبت للبشرية أنه يتعامل مع الإنسان - أيًا كان هذا الإنسان - ولو في أرداً أحواله ، وأنجح أطواره .
- يأخذه بمنهجه الفريد ، وينبهه من جديد ، روحًا وجسداً ، نفساً وعقلاً ، فإذا به إنسانٌ غيرُ الإنسان الأول ، في فهمه ونظره ، وفي سلوكه وخلقه .
- فماذا كان عبد الله بن مسعود رض قبل صبغة الإيمان ؟ لا يعدو أن يكون راعيَ غنم في أودية مكة ، فإذا به بعد الإسلام إمامُ الدنيا ، علماً وعملاً .
- وهذا أبو هريرة رض ، فقير معلم من دوس ، لا يجد - في بعض أيامه - ما يأكله من رديء الطعام ، فإذا به بعد أن ذاق حلاوة الإيمان ، يصبح راوية الإسلام الأول بلا منازع .
- لقد تعامل هذا الدين مع أحط الناس طبقة ، وأقبحهم خلقاً ، وأسفههم عقلاً ، فأنشأهم من جديد ، نشأة فريدة عجيبة ، يتنتقل بها الإنسان من الكفر ليكون نجماً في سماء الدنيا ، وقمراً يضيء للآخرين : أَوْمَنَ كَانَ مَيْتَا فَأَحْيَنَنَّهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ

• لقد أنشأهم هذا الدين ليس فقط ليكونوا أسواء صالحين ، ولكن ليكونوا أئمة مهتدين ، وقادة فاتحين ، وأعلاماً بارزين ، من الحضيض إلى القمة ، ومن القاع إلى الأفق .

• وصدق الله العظيم إذ يقول للصحابة مرتنا عليهم : **وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ**
مُسْتَضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَحَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَإَا وَنَكُمْ وَأَيَّدْكُمْ
بِنَصْرِهِ وَرَزَقْكُمْ مِنَ الْطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشَكُّرُونَ .

=====

• أيها الإخوة : إذا كان هذا هو فعل هذا الدين مع أهله ، يرفعهم ويعزهم وينصرهم ، فما بال هذا الدين لم ي عمل معنا نحن في هذا العصر ، ونحن ندين الله به ، فلم ننصر ، ولم نؤيد ؟

• لماذا لم ننتفع به كما انتفع به سلفنا الصالح ؟ ما بالنا نولد بؤساء ، ونجينا تعساء ، وغوت أذلاء ؟

• ما بنا : قد استهونا الشياطين ، وأفسدتنا الشهوات ، وعيشت بنا الأهواء ، حتى تسلط علينا الأذال ، ولعب بمقدراتنا الشذاذ ؟

• لقد فقدنا - أيها الإخوة - السر الذي يعمل به هذا الدين ويشمر ، السر الذي عرفه السلف وجهلناه ، وأخذوا به وأهملناه .

• إنه السر المعروف ، والجواهر المشهود ، إنه أصل الأسس ، وأصل الأصول ، وقاعدة القواعد ، التي بها يعمل هذا الدين ، ولا يعمل بغيرها .

• إنه الإخلاص والمتابعة ؛ الإخلاص لله تعالى وحده ، والمتابعة لرسول الله ﷺ ، بهما تفوق السلف وراج أمرهم ، وزادت دنياهم ، وعمرت آخرًاهم .

• إن صناعة الإنسان الجديد لا تتم بنجاح إلا بهذا السر : الإخلاص والمتابعة .

- فأما الإخلاصُ : فلا يريد المسلمُ بعمله الصالحِ إِلَّا اللَّهُ جَلَّ وَعَلا وَحْدَهُ ، فهو
- **نَبِيُّهُ** - غَايَةُ مطلوبِ المُسْلِمِ ، ونهايَةُ آمالِهِ ، وآخرُ مراداتهِ .
- فالمسلمُ الحقُّ : يجهدُ ويُجاهِدُ ، ويُكافِدُ ويُكافِحُ ، ليبلغَ مقامَ الإخلاصِ اللَّهِ
تعالَى ، لا يَكُلُّ ولا يَمِلُّ مِن السيرِ إِلَى اللَّهِ ، ولا يَنْهَمُ ولا يَتَشَنَّى ، أُمَّامُ عوائِقِ
النَّفْسِ ، وعقباتِ الطَّرِيقِ .
- وأما المتابعةُ لنَهْجِ رَسُولِ اللَّهِ **ﷺ** ؛ فقد سطَرَهَا القرآنُ الْكَرِيمُ في آياتِهِ البَيِّنَاتِ ،
ورسمَهَا رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ** في سنتهِ المباركةَ ؛ فالقرآنُ والسنَّةُ : نَهْجُ الأُمَّةِ
الواضحُ ، وطريقُها البَيِّنُ ، لَا يُعرَضُ عَنْهُ إِلَّا ضَالٌّ هَالِكٌ ، وَلَا يَغْفُلُ عَنْهُ إِلَّا
غَيْرُ مُفْرَطٍ .
- فلننتظرُ - أيها الإخوةُ - في أنفسنا وفي أحوالنا ، ولتساءلُ : كم حظينا من هذا
السرُّ ، الذي تفوقَ به السلفُ ؟ كم نصيَّبنا من الإخلاصِ اللَّهِ تعالَى ، وكم
حجمُ حظينا من المتابعةِ لرسُولِ اللَّهِ **ﷺ** ؟



٢- خلق الحياء

- يتنازع الناس في مراتب الأخلاق ودرجاتها : أيها أفضلي وأعلى ، وأيتها أهم وأولى ، فمن قائلٍ : الصدقُ أفضلي ، ومن قائلٍ الأمانةُ أهم ، ومن قائلٍ الشجاعةُ أحسن .
- إلا أن المتأمل البصير يجد في خلق الحياء ما يجمع كلَّ هذه الأخلاقِ ويحييها ؛ فصاحب الحياء صادق في قوله وعمله ؛ لأنَّه يستحبُّي أنْ يؤثِّرَ عنه كذب ، وهو حريص على الأمانة ؛ لأنَّه يستحبُّي أنْ يُوصَف بالخيانة ، وهو أيضًا شجاع في مواقفه ، لأنَّه يستحبُّي أن يتلبَّس بصفة الجبن ، وهذا قال رسول الله ﷺ : « الحياء خيرٌ كُلُّه » ، وقال أيضًا : « لا يأتك من الحياة إلَّا الخير » ، وما قال أحدهم في مجلس عمر بن عبد العزيز : « الحياة من الدين » ، فقال عمر : بل هو الدين كُلُّه » .
- وهكذا - أيها الإخوة - يدفع الحياءُ صاحبه إلى تمثيل الأخلاق الحسنة ، ويكتفُ عن الأخلاق الرديئة ، مخافة أن تلحظه المذمةُ في خلقه ، فيُعابُ بذلك ولو لمرة واحدة ؛ فقد كان بعضهم في شدة وضيق من العيش ، ومع ذلك لا يتأخر عن البذل والعطاء والكرم ، حتى لا يُنسب إلى البخل أو الشح ، ولو مرة واحدة في حياته .
- لقد منعَ الحياةُ صاحبَه من انتهاك المحرمات ، وجلمه عن الولوج في الموبقات ، فهو مكتوف عن الباطل ، مضبوط بأدب الشرع ، قد ردعه الحياة عن كل قبيح ، وكفَّه عن كل رذيل ؛ وهذا فإن من لاحظ جانب العباد استحبَّيا منهم ، ومن لاحظ جانب الله استحبَّيا منه ، ومن لاحظ الجانبين معاً : أعطى كلَّ واحدٍ منهم حقه ، فكان في أكمل صورة ، وأفضل حال ، ومن طرح الحياة ، وأعرض عنها ، وتخفف منه : وقع في القبائح والسيئات ، وتجراً على المعاصي

والمنكرات ؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ : « إن الله يعذك إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياة » ، وقال أيضاً : « من لا حياة له : لا دين له » .

• وقال أيضاً ﷺ : « الحياة من الإيمان ، والإيمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء في النار » .

• وقال أيضاً : « ما كان الفحش في شيء إلا شانه ، ولا كان الحياة في شيء إلا زانه » .

• أيها الإخوة : نحن في حاجة إلى قليل من الحياة نشره في مجتمعنا ، في : مجالسنا ، وفي طرقاتنا ، وفي معاملاتنا ، وفي بيئتنا ، وفي وسائل إعلامنا ، لقد غلب علينا الفحش ، ولوثنا البذاء ؛ فالجرأةُ والواقحة ، والسخريةُ والاستهزاء ، والتعدى على الحرمات : قبائحٌ خلقيّةٌ تلفُّ المجتمع من كل صوب ، وتحيطُ به من كل جانب ، تدكُّه دكاً في قيمه ، وتحاصره في مبادئه ، وتندِّر بخطر عظيم ، وشر مستطير ، يهدد المجتمع في أصوله وأسسِه ، وقواعدِه ومنطلقاتِه .

• إن المجتمع حين يفقد الحياة ، يكون قد هتك ستراً بينه وبين الله تعالى ، فيكون بذلك قد عرض نفسه لغضبة ربانية ، وأخذة إلهية ، فهو إلى الزوال أقرب منه إلى البقاء .

• ولقد تجراً أقوام في التاريخ السابق ، فهتكوا ستراً كان بينهم وبين الله تعالى ، فما أمهلوا طويلاً حتى أخذوا بقوة ، وانتزعوا بعنف ، مما بقي منهم إلا أطلال جرداً ثم ذُكر بهم ، وتحذر ما صنعوا ، فذهبوا بقضائهم وقضيضم ، وكأنهم ما كانوا ، وكأنهم ما عاشوا ، وكأن الحياة ما عُمرت بهم قط : فَتِلْكَ بَيْوَتُهُمْ خَاوِيَّةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ .

• ولقد حكى لنا مولانا رحمه الله عن أمم سابقة فقال : فَكُلَّا أَخَدْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَدَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ .

- إن سنن الله لا تتغير ولا تتبدل في المتجرين ، المنتهكين لستر الله عليهم ، المجاهرين بالفسق ، المتطاولين بالباطل ، المعاندين للحق ، من يعلن الصورة الفاضحة ، ويكتب العبارة الساقطة ، وينشر الكلمة البذيئة ، ويبث المعلومة الكاذبة ، مستخفين بنظر الله وعلمه ، وعظمته وجلاله : **إِذْ يَتَّلَقُ الْمُتَّلَقِيَانِ عَنِ الْأَيْمَنِ وَعَنِ الشَّمَائِلِ قَعِيدٌ** IV مَا يَأْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ .
 - إن الحياة - أيها الإخوة - شعبة من شعب الإيمان ، قد ارتبط به برباط وثيق ، إذا ذهب أحدهما : ذهب الآخر ، وفي الحديث قال رسول الله ﷺ : « الحياة والإيمان قرنا جيئاً ، فإذا رفع أحدهما : رفع الآخر ».
 - أيها الإخوة : إن من يبنتا أناساً فقدوا الحياة والإيمان ، يُصبحون ويُمسون في سخط الله وغضبه ، لا يستحيون من الله ، ولا يستحيون من خلقه ، الكبيرة من الذنوب أهون على أحدهم من شرب الماء ، بيسأله أحدهم في معصية الله تعالى ، فإذا أصبح تفاصيرها في المجالس ، وربما كتبها ونشرها ، ورسول الله ﷺ يقول محذراً من فعل هؤلاء : « كل أمتي معافى إلا المجاهرين ، الذي يعمل العمل بالليل ، فيبشره ربه ، ثم يصبح فيقول : يا فلان إني عملت البارحة كذا وكذا ، فيكشف ستر الله ﷺ » ، وأصبح من هذا من يعمل المعصية جهاراً نهاراً والناس ينظرون ، وأصبح منه وأرذل من يجلس لهؤلاء المجاهرين ، بعينه وسمعه وقلبه ، فيفرح بهم ، وينشرح صدره لهم ، وربما هتف بهم ، ودافع عنهم ، فيnal إثماً كإثمهم ، وجرماً كجرائمهم ، نعوذ بالله من الخذلان .
- =====

- الحياة خاصية إنسانية ، وصفة بشرية ، وخلق انفرد به بنو آدم ، فلا دخل للحيوان به ، فلا هو من طبيعته ، ولا هو من صفاته ؛ ولهذا لما شاهد رسول الله ﷺ رجلاً يغتسل دون ستر ، وقد بدت عورته : صعد المنبر فقال : « إن

الله يَعْلَمُ حَيْيٌ سَيِّرُ ، يَحْبُّ الْحَيَاةَ وَالسُّتُّرَ ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلِيُسْتَرَ » .

- ولما بلغه مجاهرة بعض الناس بالعلاقات الزوجية الخاصة : وعظهم فقال : « هل تدرؤن ما مَكِّلٌ من فعل ذلك ؟ إن مثلَ من فعل ذلك مَكِّلٌ شَيْطَانٌ وشَيْطَانٌ ، لَقِيَ أحدهما صاحبه بالسكة ، فقضى حاجته منها والناس ينظرون إليه ». • أيها الإخوة : إن الرجل منا في حاجة إلى الاتصاف بخلق الحياة ؛ ليحفظ نفسه عما يشينها ، ويحمي كرامته مما يخليشها ، ويرأب بشخصيته بما يهينها . • وإن الشاب فيما في حاجة إلى خلق الحياة ، ليحافظ به نفسه من الفواحش ، ويكتفُّها عن القبائح ، وينهاها عن الرذائل . • وكذلك المرأة فيما في حاجة إلى الحياة ملحمة ليحفظها من الانتهاك ، ويحمي أنوثتها من الاعتداء ، فالحياة أصل أصيل في تركيبة المرأة النفسية ، لا يُتصور انفكاكُها عنه ، ولا نبذها له ، إلا حين تتنكر لطبعها الأصيل ، وتعادي فطرتها السوية . • وحتى الطفل الصغير فهو في حاجة إلى أن يتربى على خلق الحياة ، ليصبح جزءاً أصيلاً في تكوينه الشخصي ، والحياة في الطفل يكفي المربين نصف جهد التربية ، وهو دليل على نجابتِه وذكائه ، وإشارة واضحة إلى وفور عقله ، وسلامة نضجه . • ونحن جميعاً في حاجة إلى الحياة مع الله تعالى ، فآلاوه عظيمة ، وقصصينا كبيرة ، والنبي ﷺ يقول : « استحيوا من الله حق الحياة ». • ولو لا الحياة في الإنسان لما أكرم أحداً ضيفاً ، ولا وفى بعهد ، ولا أدى أمانة ، ولا ستر عورة ، ولا امتنع عن فاحشة ، وهذا فإن من تجرد عن الحياة ، وانفك عنه : لم يبق معه من حقيقة الإنسانية الشريفة إلا صورتها في اللحم والدم .



٣- المسلمين في أعقاب الزمان

- لقد مر على الحياة الإنسانية خلق كثير ، أثاروا الأرض وعمروها ، غدوا وراحوا في أرجائها ، عاشوا زمناً ثم مضوا إلى الآخرة .
- ولقد درج على الأرض أنبياء وصالحون ، وكفار ومنافقون ، فلم تضق الأرض بأحد من الناس ، ولم تبخل عليهم برزق ، يأكلون ويشربون ويتمتعون .
- فكانت الأرض وما تزال - بفضل الله تعالى - مستقرأً ومتعالاً للإنسان ، يسير في مناكبها ، ويأكل من قوتها ، ويشرب من مائها ، ويلبس من نتاجها .
- فالكل يتنعم بخيرات الأرض ونعمتها ، بما بثه الله فيها من البركات : الصالح والفاسد ، والمؤمن والكافر ، وإنما يفترق الناس بما وقر في قلوبهم من الإيمان أو الكفر ، وبنوع أعمالهم : الصالح منها والفاسد .
- فهذا يأكل حلالاً يسبح في بطنه ، ويحمد الله تعالى عليه : فيغفر الله له بذلك ، ويرضى عنه .
- والآخر يأكل حراماً ، فينقلب عليه ناراً ، ويكون زاده إلى النار ، فلا حلالاً أكل ، ولا ربياً شكر .
- أيها الإخوة : لقد أخطأ آدم طه ، حين أكل من الشجرة الممنوعة ، وما حرم الله عليه إلا شجرة واحدة ، ومع ذلك أخطأ وأكل منها ، فكيف بذريته من بعده ، وقد حرم الله عليهم أشياء كثيرة ، ومنعهم من أمور عديدة ؟ فماذا تراهم يصنعون ؟
- لقد أكلوا الriba ، واستطابوا الميّة والختنir ، وشربوا الخمر ، وتعاطوا الفواحش ، وسفكوا الدماء المحرمة ، وهتكوا الحرمات المقدسة ، وما تركوا

باب شر إلا ولجوه ، ولا تركوا باب خير إلى أوصدوه .

- لقد طغوا وبغوا ، وتجاوزوا الحدود في كل اتجاه ، حتى ظن الظان أنه لم يعد في الأرض صالحون ، يأخذون بأمر الله ، ويتهونون عند حدوده .
- فإذا بلغت البشرية هذا المدى من الفساد والطغيان : أرسل الله عليهم عذابه وسخطه ، حتى يُطهّر الأرض من رجسهم وفسادهم .
- فكان هذا حال البشرية منذ أول الدهر حين تفرط في جنب الله تعالى ، وتخرج عن سلطانه : **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَيْنَةُ الْمُجْرِمِينَ** .
- ثم تعاقبت الأزمنة والعصور ، حتى جئنا نحن المسلمين في أعقاب الزمان ، حين لم يبق من الدنيا إلا شيخوختها ، قد مضى أكثرها ، وما بقي منها إلا القليل .
- جئنا إلى الدنيا وقد سبقتنا الموعاظ وال عبر ، وضررت لنا الأمثال بالسابقين ، وسجلت لنا الحكمة في أحسن بيان ، وأفضل قول .
- فكانت الحجة علينا بالقرآن باللغة ، وبالسنة النبوية شاهدة ، فلا حجة لأحد بعد الفرقان والبيان .
- فاتعظ أولنا من الصحابة والتابعين ، وانقادوا للكتاب يعملون به ، وأذعنوا للسنة يأخذون بها .
- فأنجز الله لهم ما وعدهم من النصر والتمكين ، فظهر الله بهم الأرض من رجس الفاسقين والكافرين ، وأورثهم أرضهم وديارهم ، فكانوا هم السادة والقادة .
- ثم تعاقبت الأجيال من بعدهم يتقدمون تارة ، ويتأخرنون تارة أخرى ، بقدر أخذهم وتفریطهم في حبل الله المtin ، وفيما آتاهم من النور المبين .

- حتى إذا مضى شباب الأمة ، وذهبت عافيتها ، وتطاول عليها الزمان : جئنا نحن في أعقاب القرون ، بكل نواصينا وعيوبنا : نقول ما لا نفعل ، ونفعل ما لا نؤمر ، متربدين مضطربين ، لا نكاد نحسن شيئاً إلا التقليد والمحاكاة ، في عصر لا مكان فيه للمقلدين والمحاكيين .
- لقد تطاول أعداؤنا علينا ، حتى ما نكاد نتصرف باستقلالية في شيء من شؤوننا الخاصة أو العامة ، قد تحكموا في مقدراتنا ، وأحكموا خناقنا .
- لقد غزانا أعداؤنا من كل اتجاه ، وحاصرتنا من كل جانب ، فأصبحنا كالقصبة بين جموع الأكلة ، يتتدرون علينا من كل ناحية وصوب .
- لقد فقدنا هويتنا وشخصيتنا حين فرطنا في كتابنا ، فلم يعد لل المسلمين المعاصرين معلمٌ من دينهم يتميزون بها ، ويلتفون حولها .
- حتى إنك لتدخل كثيراً من عواصم المسلمين : لا تميزها عن بلاد الكافرين إلا بآذن مساجدها .
- وإذا نظرت في كثير من شباب المسلمين : تعجبت من الأهواء المستحکمة ، والشهوات المتقدة ، والعيون الرائفة ، والأشكال الغربية .
- ملابسُهُم ضيقَةً ومقطعةً ، ورؤوسُهُم ثائرةً ومصففةً ، قد نخر كثير منهم الخمر والمخدرات ، وفتنهم وسائل الاتصال والإعلام .
- وأما الفتيات فقد نزع غالبهن الحجاب في أكثر الأنصار ، ومن بقين على حجابهن ، فيبن مقتنعة به ، وبين متمللة منه ، تتضرر إحداهن الساعَة المناسبة لنزع جلبابها ، لتلقىه بعيداً عنها ؛ ثم تعيش حياتها حرّة حسب زعمها .
- لقد ملئت بلاد المسلمين ووسائل إعلامهم بالمتبرجات الفاتنات ، من الراقصات والغنيات والممثلات : المائلات الميلات ، وكان أمّة الإسلام ليس عندها ما تقدمه للعالم إلا هذا الفجور .

- من كان يصدق قبل مائة عام أن حال الأمة الأخلاقي يتدهور إلى هذه الحَمَّة المتننة الوضيعة؟
 - من كان يصدق أن المنافقين الأذلاء يصبحون رؤوس الناس ، يأمرون ويوجّهون ويترأسون .
 - إن حال الأمة اليوم هو نتاجُ سنوات سابقة ، من التفريط والتقصير والإهمال ، أدت إلى هذا الحال البائس الأليم .
 - وما لم يتتبّه العقلاه لحال الأمة ، ويتيقظوا لواقعها : فإن مزيداً من الانحلال والتدهور هو مصيرها المحتوم ، وحينها يصعب الإصلاح ، وتعقد أسبابه ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوّة إلا به .
- =====

- إن بداية إصلاح أمتنا لا تأتي من الآخرين ، ولا تنطلق من غيرنا ، وإنما تبدأ من أنفسنا ، وتنطلق من ذاتنا ، وتبعث من شخصياتنا ؛ فكل منا ينظر في نفسه ، ويراجع ذاته ، ويتأمل تقصيره وتفريطه ، ثم يبدأ منطلاقاً من نفسه ، لا يتظر أحداً يسبقه إلى الخير ؛ فينطلق بعزيمة الرجال ، وصدق الوعود ، نحو دينه ، فياخذُه بقوّة : عقيدة وسلوكاً ، فهماً وعملاً ، لا يفرق بين النظرية والتطبيق .
- شعاره قول الله تعالى : * أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْيِرَادَةِ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتَنَلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ .
- خائف من قوله تعالى : يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمْتُمُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾ كَبُرُّ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ .
- قد وضع نصب عينيه حديثَ رسول الله ﷺ : «يُجاء بِرَجُلٍ فِي طَرْحٍ فِي النَّارِ، فِي طَحْنٍ فِي هَا كَطْحَنَ الْحَمَّارِ بِرَحَاهُ، فَيُطَيِّفُ بِهِ أَهْلَ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: أَيِّ فَلَانَ،

أَلست كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ : إِنِّي كُنْتَ أَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ
وَلَا أَفْعُلُه ، وَأَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَفْعُلُه ». .

- أَيُّهَا الإِخْرَوَةُ : لَا يَقْسِنُ أَحَدُنَا نَفْسَهُ بِمَنْ حَوْلَهُ ، فَكُلُّ مُقْصِرٍ ، وَإِنَّمَا يَقْسِنُ نَفْسَهُ
وَيَعْرُضُهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ فَلِيَنْظُرْ فِي
حَالِ السَّلْفِ . .
- إِنْ أَحَدُنَا حِينَ يَعْرُضُ نَفْسَهُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَيَنْظُرُ فِي حَالِ سَلْفِ الْأُمَّةِ ؛
فَإِنَّهُ يَحْتَقِرُ نَفْسَهُ وَيَزْدَرِيهَا ، وَلَا يَرَاهَا شَيْئًا ، وَلَكِنَّهُ حِينَ يَعْرُضُ نَفْسَهُ عَلَى مَنْ
حَوْلَهُ ، مَنْ شَابَهَ فِي التَّقْصِيرِ وَالتَّنْفِرِيَطِ ، فَرَبِّمَا رَأَيْتَهُ مَزْهُوًّا بِنَفْسِهِ ، مَعْجَبًا
بِذَاتِهِ ، مُحْتَقِرًا لِغَيْرِهِ ، فَكُمْ شَاهَدْنَا فِي وَاقْعَدِنَا فِي فَجَارِ الْجَمَعَةِ ، مَنْ لَا يَتَوَرَّعُ
عَنِ الْحَرَامِ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَزْعُمُ بِكُلِّ جَرَاءَةٍ أَنَّهُ مَعَ اللَّهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ مَعَهُ !! وَلَا
حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . .



٤- أهواء النفس الإنسانية

- النفس الإنسانية دروب ومتاهات ، ومداخل ومزالق ، تحار فيها العقول ، ويتوه في شأنها المتأمل ، فيشعر بها مرة مقبلة ، ويحس بها مرة مدبرة ، فهي بين جنبيه ، ومع ذلك فقد استعصت على الانقياد ، وأبى الانصياع ، فلا تلين في يد صاحبها ، ولا تطوعه نحو المسالك الحميدة ، وترفض الرقى معه في المراتب الرفيعة ، وتائب عليه إلا الهبوط في المهاوي ، والسقوط في المهالك ، والتزول إلى الدركات ، فهي كالعدو المحبوب ، والرفيق الحسود ، والزميل الحقود ، لا فكاك من ملازمتهم وصحبهم .
- إن النفس البشرية عدو لدود عنيد ، يعيش في داخلنا ، ويعيش في طبيعتنا ، إلا أن أحدنا لا يدرى : أنفسه تتحكم فيه ، أم هو الذي يتحكم فيها ، هل يطاعوها أم تطاعونه ؟ فقد يعيش أحدهم دهره محكوماً برغبات نفسه ، غارقاً في أهواءها وملذاتها ، منصاعاً لمراداتها ومحبباتها ، فلا يكتشف أمر نفسه ، ولا يعرف حقيقة ذاته ، إلا حين تصادمه الحقائق الواقعية المؤلمة ، والمواقف الاجتماعية القاسية ، بما يُجلّي غبش عينه ، وينير ظلمة روحه ، فيكتشف عندها خفة عقله ، ضعف فهمه ، ويعرف أنه كان فريسة لنفسه الأمارنة بالسوء :
** وَمَا أَبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَا مَارَأَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ .*
- أيها الإخوة : لقد توالت الآثار الشرعية ، وترادفت الأخبار الواقعية على أن من سائر أهواه نفسه ، وانقاد لرغباتها ، وأعرض عن داعي العقل ، وصم عن نداء الشرع : فإن مصيره إلى العطب ، و نهايته إلى الفشل ؟ فكم هم المهاكون في دروب الحياة ، المنقطعون عن إكمال المسير ؟ قد قذفهم أهواه نفوسهم صرعى على جنبات الطريق ، يُحاصرهم الندم واليأس والأسى ، فهذا السارق قد

قطعت يده ، وهذا القاتل قد اقتضى منه ، وهذا الشارب المجلود ، وهذا المرتشي المسجون ، وهذا الغضوب قد هدم بيته بلسانه ؛ كلّ قد وقع في شر نفسه ، وشراك هواه ، فما جنوا إلا قبائح أيديهم ، وحصائد أستتهم .

- لقد تحكمت فيهم أهواء نفوسهم ، في لحظات الضعف البشري ، فانقضت عليهم بمخالبها ، وأحكمت فيهم برائتها ، تجرّهم جراً إلى مصارعهم ، وتسوقهم سوقاً إلى مهالكهم .
- أين نظرات العقول المستنيرة ، وكوابح النفس الحكيمية ، لقد غاب كل ذلك في لحظة غضب ، ورغبة انتقام ، فأعقبها همٌ وندم وانكسار ، مما أسعد الشيطان بهؤلاء الحمقى المتهورين ، والسفهاء المتغطسين ، يظن أحدهم أنه على شيء ، وهو لا يعدو أن يكون ألعوبة في يد شيطانه ، يبعث به كيف يشاء ، ويسوقه حيث أراد .
- خرج شاب مغرور بسيارته يلاحق جمعاً من الفتیات في صحبة أخيهم ، فتوقف الأخ في الطريق للتفاهم مع هذا الشاب ، فما كان من هذا الشاب المغرور إلا أن تناول سكيناً كانت معه ، فغرسها في بطن الأخ المسكين ، بلا مقدمات ولا ذنب ، فما لقيَ بعدها خيراً : ندم وحزن وأسى ، ثم القصاص .
- وأخرُ أمعن مع هوى نفسه ، وركن للدنيا ؛ فقبل الرشاوى ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وتمادي بلا رادع ، قد تقوى بمكانته الاجتماعية ، ومنصبه الإداري ، فما لبث طويلاً حتى افُضح أمره ، وانكشف للناس سره ، فانقلب عليه رؤساؤه أعداء ، والمظلومون غرماء ، فكان السجنُ مصيره ، والغرامةُ سبيله .
- وثالثٌ طغى وتجبر ، وأكثر من المظالم : يسفك الدماء ، ويبيطش بالشرفاء ، لا يبالي بشرعية ولا نظام ، ولا دين ولا قانون ، قد انطلقت نفسه في هواها بلا ضابط ولا رادع ، تقوده إلى المهالك ، وتسوقه إلى المعاطب ، حتى إذا بلغ قمة

طغيانه ، ووصل نهاية عصيانه ، وظنَّ أنه على الناس حاكم ، وعلى الدنيا قادر : قضمِّه الجبار بقوته ، وأخذه بقدرته ، فعاد صریعاً بلا حراك ، وجسداً بلا قوى ، جثة هامدة ، لو أقيمت في الطريق نهشتها الكلاب ، ولو أقيمت في البحر أكلتها الأسماك ، أين القوة والسلطان ؟ وأين الجبروت والطغيان ؟ لقد انتهت سكرة الغافلين ، وجاءت يقظة النائمين : **فَالْيَوْمَ نُنَجِّيُكُمْ بِمَا دَنَّتُمْ إِلَيْنَا لِتَكُونُوا لِمَنْ خَلَقْنَا إِيمَانًا وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ إِيمَانِنَا لَغَافِلُونَ**.

- إنهم صرعى النفوسِ المريضة ، والأهواء السقيمة ، أما كان لهم من عقولٍ يدركون بها ، أو آذان يسمعون بها ، أو أبصار ينظرون بها ، لقد فسدت عقولهم ، وصُمِّت آذانهم ، وعميت أبصارهم ، فلا يعقلون ، ولا يسمعون ، ولا يصرون : ... **أُولَئِكَ كَلَّا لَنَعْمِلُ بِهِمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**.

=====

- لقد حكى لنا رسول الله ﷺ خبر الثلاثة من بني إسرائيل : الأقرع ، والأبرص ، والأعمى ، الذين ابتلاهم الله ليختبرهم ، فأرسل لهم ملائكة يحقق لهم - بإذن الله - رغباتهم وأماهم ، فعاد الأبرص بجلد حسن ، وإبل كثير ، وكسا الأقرع شعراً حسناً ، ويقرأ كثيراً ، وعاد الأعمى مبصرًا ، له غنم كثير .

- ثم جاء يوم ابتلاتهم واختبارهم ، وقد توسعَت أرزاهم ، وكثُرت أنعامهم ، فجاء الملكُ الأبرصَ في هيئته التي كان عليها من البرص والفقير ، يسأله بعيراً يسافر عليه ، فأبى ، فذكره بنعمَّة الله عليه ، فأنكر وجحد ، وزعم أنه ورث ماله كابرًا عن كابر ، فدعاه عليه أن يعود كما كان .

- ثم أتى الأقرع في صورته التي كان عليها ، يسأله الصدقَة والمَعونة ، فأبى عليه ، ورد عليه كما رد الأبرص ، فدعاه عليه أن يرجع كما كان .

- وأما الأعمى فقد كان حسن الرد ، طيب القلب ، مقرأً بنعمَّة الله عليه ، قال :

« قد كنت أعمى فرد الله بصري ، وفقيراً فقد أغناني ، فخذ ما شئت » ، فقال له الملك عندها : « أمسك مالك ، فإنما ابْتُلِيتُم ، فقد رضي الله عنك ، وسخط على صاحبيك ». .

• أيها الإخوة : إن في مجتمعنا أشخاصاً يحملون نفوساً زكية طاهرة ، يقومون بالحقوق ، ويقفون عند الحدود ، يخافون الله ويخشونه ، قد ألمت نفوسهم بلجام التقوى ، فلا تضرهم الأهواء ، ولا تعثّ بهم الشهوات ، قد عصيمهم الله بالإيمان ، وملا قلوبهم باليقين ، على شاكلة هذا الأعمى في طيب نفسه ، وحسن خلقه وتقواه .

• ولكن كم هم الذين يعيشون بيننا ، ويعيشون معنا ، نخالطهم الليل والنهار ، وهم على شاكلة هذين الجاحدين للنعم : الأقرع والأبرص ، لا يبالون بالحقوق ، ولا يوفون بالعهود ، نفوس طاغية ، وقلوب قاسية ، لو تمكّن أحدهم من رقاب الناس ، لأمعن فيهم بالفساد ، ولأذاقهم سوء العذاب ؛ فكم رأينا في المجتمع من أناس ظاهرون الوداعة والسكون ، وربما ظهر على بعضهم شيءٌ من التدين ، حتى إذا فتن أحدهم في موقف ابتلاء واختبار : خرجت من بين أصلعه نفسٌ سوداءً مظلمة ، حقيرةً متنة ، طاغية متجرّبة ، قد كانت مستورّةً وراء الثياب والجلد ، حتى إذا حرّكت وأثيرت : خرجت كالمارد الطاغي ، تنسف وتحرق كلّ شيءٍ من حولها ، فيقف العاقل مذهولاً مشدوهاً : أين كانت هذه النفسُ مختبئه ؟

• اللهم طهّر قلوبنا من الغل والقسوة والطغيان ، وأبدلها رقة ولطفاً وإحساناً ، واجعلنا لأوليائك راحمين ، ولأعدائك غائظين ، وهب لنا اللهم غنىً لا يطغينا ، وصحة لا تلهينا ، واغتنا عن أغنيته عنا ، يا رب العالمين .



٥- فساد الانترنـت

- لقد عاشت أمتنا الإسلامية دهراً من الزمان تعطي ولا تأخذ ، وتوثر ولا تتأثر ، يدھا هي العليا ، وعطاؤھا هو الأکبر ، و فعلھا هو الأقوى ، فھدى الله بها خلقاً كثيراً ، أخرجھم من الظلمات إلى النور ، ومن الضلال إلى الھدى ، ومن العمایة إلى البصیرة .
- حتى إذا طال على أمتنا الأمد ، فقسـت القلوب ، وتحجرت العيون ، واستحکمت الغفلة : سلبـهم الله سلطـانـهم ، وأفـقدـهم مـكانـهم ، فـارتـدوا عـلـى أـعـقـابـهم هـمـجاً لـا يـفـقـھـون ، ورـعـاعـاً لـا يـدـرـکـون ، تـقـاذـفـھـم شـعـوبـ الـأـرـضـ ، وـتـقـاسـمـھـم قـوـىـ الشـرـ ، قد فـقـدـوا هـيـبـتـھـمـ في قـلـوبـ النـاسـ ، وـخـسـرـوا مـكـانـھـمـ بـيـنـ الـأـمـمـ ، كـاـنـھـمـ قـطـيعـ غـنـمـ أـضـاعـ رـاعـيـھـ ، فـي لـيـلـةـ عـاصـفـةـ مـطـيرـةـ شـاتـيـةـ .
- وما هو إـلاـ زـمـنـ يـسـيرـ حتـىـ عـلـاـ مـكـانـ الـأـمـةـ الـإـسـلـامـيـةـ الـمـنـهـارـةـ مـنـ لـاـ خـلـاقـ لـهـ وـلـاـ دـيـنـ مـنـ شـعـوبـ الـأـرـضـ ، مـنـ يـهـودـ وـنـصـارـىـ وـوـثـنـيـنـ ، تـولـوا زـمـامـ الـإـنـسـانـيـةـ ، وـامـتـطـوا قـيـادـ الـبـشـرـيـةـ ، فـي زـمـنـ غـفـلـةـ الـمـسـلـمـيـنـ عـنـ دـوـرـھـمـ الـقـيـادـيـ ، وـمـكـانـھـمـ الطـبـيـعـيـ .
- فـمـاـ لـبـثـ الـمـبـطـلـونـ طـوـيـلـاًـ حتـىـ فـتـحـ اللهـ عـلـيـھـمـ كـنـوزـ الـأـرـضـ ، وـأـمـدـھـمـ بـعـارـفـ الـكـوـنـ ، وـعـلـمـھـمـ أـسـبـابـ التـقـدـمـ ، فـفـتـنـوا النـاسـ بـشـورـاتـھـمـ الـصـنـاعـيـةـ ، وـمـنـتـجـاتـھـمـ الـتـقـنـيـةـ ، وـمـعـارـفـھـمـ الـعـلـمـيـةـ : إـنـجـازـاتـ مـتـلـاحـقـةـ ، وـإـبـدـاعـاتـ مـتـتـالـيـةـ . تـبـهـرـ الـعـقـولـ ، وـتـذـهـبـ بـالـأـلـبـابـ .
- فـوـقـتـ أمـتـناـ إـسـلـامـيـةـ مـذـهـولـةـ أـمـامـ هـذـاـ السـيـلـ الـجـارـفـ مـنـ مـنـتجـاتـ الـغـربـ وـالـشـرـقـ الـخـضـارـيـةـ ، وـقـدـ عـجـزـتـ عـنـ مجـارـاتـھـمـ فيـ تـطـوـرـھـمـ ، فـضـلـاًـ عـنـ أـنـ تـخـوـضـ فيـ مـنـافـسـتـھـمـ .
- لقد انطلـقـ الـغـربـ بـعـيـداًـ عـنـاـ فيـ طـرـيقـ التـقـدـمـ التـقـنـيـ ، وـقـبـعـنـاـ فيـ حـمـةـ التـخـلـفـ

والتبغية ، لا نكاد نحسن شيئاً ، لا من أمر ديننا ، ولا من أمر دنيانا ، فما بقي لأمتنا إلا فناتٌ من الدنيا ، وقليل من الدين .

- مما لبثنا طويلاً حتى جاءنا من الغرب ما لا قبل لنا به من ثورات التقدم التقني ، إنها ثورة الاتصالات : الإنترنٌت (الشبكة العنكبوتية) ، التي تخترق المكان ، وتسابق الزمان ، لا تعرف الحدود ، ولا تحترم الخصوص ، قد تجاوزت بتفوقها التقني كلَّ ذلك ، حتى إنها لتبلغ من الإنسان مبلغ مقعده الذي يجلس عليه ، وسريره الذي ينام عليه ، بل تبلغ مبلغ ثوبه الذي يلقي جسده .
- كمرات تراقبه أين ما كان ، ولو اقتطع تسمعه حيث ما ذهب ، ولصوص تسرق معلوماته من مخبئها ، فلا مكان بعد اليوم للخصوصية الشخصية .
- لقد عشنا زمناً تتحكم فيما نسمع ، وفيما نشاهد ونقرأ ، أما بعد الإنترنٌت والجوال فقد أصبح التحكم في وسائل الاتصال شبة معروم ، ولعله في القريب يكون معروضاً بالكلية .
- إنها فنطة عظيمة - أيها الإخوة - أن يعجز أحدهنا في التحكم فيما يسمع ويرى ، وأشدُّ منه أن يستسلم لمن يتحكم فيه ، فيتخذه وملوّماته الشخصية مادة إعلامية يبعث بها ، ويتجاذر بها ، فيفقد الإنسان مع هذه التقنية المتفوقة خصوصيته الخاصة .
- لقد استغل المبطلون شبكات الإنترنٌت ليصلوا بثقافتهم إلى ما لم يصلوا إليه في الماضي ، ويبلغوا بإنتاجهم ما لم يكن لهم بلوغه في السابق ، فإن ما يُضخ من الفساد عبر الإنترنٌت شيء مهول لا يكاد يصدق .
- لقد وصلوا بثقافتهم الساقطة إلى ألعاب أطفالنا في أيديهم ، يباشرونهم بالبث من الفضاء .

- ووصلوا ببئهم المباشر إلى شبابنا يلاحقونهم بالفساد من خلال جوالاتهم .
- حتى المخدّرات في البيوت من الفتيات الأبكار ، والنساء الغافلات غُزين بما يدغدغ العواطف ، ويثير الشهوات ، فانكشف كل شيء ، حتى ما عاد في حياتنا سرّ نتكثّم عليه .
- لقد عرف الصغار ما يعرفه الكبار ، واطلع الشباب والفتيات على ما يوقد الشهوات ، وأما الرجال والنساء ، فقد غرق كثير منهم في فتن الصور ومقاطع الفيديو .
- يعيش الرجل منا بريئاً طوال حياته ، حتى إذا تعرض لشيء من هذه المناظر الفتّانة عبر الإنترت تحول إلى شخص آخر : مراهق في الخمسين من عمره ، مستهتر بالقيم والأخلاق .
- لقد علت الشكوى المؤلمة من العديد من البيوت ، تحيير العلاء ، امرأة تقول : اكتشفت أن زوجي يدخل إلى الواقع الإباحية ، فماذا أصنع ؟ وآخر يقول : زوجتي تراسل أحد أصدقائي عبر الإنترنت ، فماذا أفعل ؟ وآخر يقول : ولدي مفتون بمقاطع الفيديو عبر الإنترنت ، فكيف أواجهه ؟
- لقد عشنا زمناً في هذه البلاد يستتر بعض الناس فيها بالصور الخليعة ، ويهربونها تهريباً عبر نقاط التفتيش الصارمة ، وأما اليوم فقد أصبحت متاحة متوافرة لمن أرادها ومن لم يردها ، في ظل هذه التقنية المذهلة .
- ورغم ما تحمله هذه التقنية المتفوقة من إيجابيات الثقافية والعلمية والدعوية الكثيرة ، فقد فتح علينا الإنترت باباً عظيماً من الفساد ، حين غاب عن إدارته الصالحون ، وتولى توجيهه المبطلون المفسدون .
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ الْسَّمَعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادُ كُلُّ أُوتَيْكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا** .

- أيها الإخوة : الذي يظهر أن الحاجة إلى هذه الوسائل سوف تزيد في المستقبل ، وتطورها لن يقف عند حد ، ودرجة الرقابة عليها سوف تضعف ، وربما تنتهي ، وليس من حل إلا في ثلاثة أمور :
- الأمر الأول : قيام مؤسسات عالمية نظيفة ترعى هذه التقنية ، وتتوفرها للناس بغير فساد .
- الأمر الثاني : وضع ميثاق عالمي أخلاقي ، يتباين الأحرار في هذا العالم ، للكف عن هذا الفساد ومحاربته ، ففي العالم المعاصر شرفاء لا يرضون بهذا الفساد .
- وأما الأمر الثالث : فيخصنا جميعاً ، وهو إحياء الرقابة الذاتية من داخل الفوس ، بحيث يصبح المسلم رقيباً على نفسه ، وهذا لا يحصل إلا من خلال التربية الإيمانية الحادة ، التي تحيا بها القلوب ، وتصحو بها الضمائر ، ويتيقظ بها الشعور .



خامساً : التربية الاجتماعية

- ١- التربية الإسلامية الشاملة
- ٢- كيف قدم المسلمون المعاصرون دينهم للعالم ؟
- ٣- مطالب المتزوجين و حاجاتهم

١- التربية الإسلامية الشاملة

- يتفق رجال التربية والتعليم على أن مهمة إعداد الإنسان مهمة صعبة وشاقة ، وتحتاج إلى جهود كبيرة ، ومعاناة طوية ، تشتراك فيها مؤسسات المجتمع : الأسرة ، والمدرسة ، والمسجد ، ووسائل الإعلام وغيرها من مؤسسات المجتمع التي تعنى بالإنسان .
- وذلك لأن الشخصية الإنسانية متشعبه الجوانب ، كثيرة الحاجات ، متنوعة المدخل ؛ فيحتاج كل جانب من جوانب الشخصية الإنسانية إلى رعاية ، حتى يبلغ كماله الذي قدره الله له .
- كما أن كل جانب من جوانب الشخصية الإنسانية له طبيعته وحاجاته ، التي لا بد منها لتحقيق النمو الشامل السوي .
- فالجانب الإيماني من الشخصية الإنسانية ، والجانب الأخلاقي ، والاجتماعي ، والنفسي ، والعقلي ، والجسماني ، كل جانب من هذه الجوانب في حاجة إلى الرعاية التربوية الشاملة والكاملة ، ليبلغ مداه وكماله ونضجه الذي قدره الله تعالى له .
- وبقدر ما يقتصر منهج التربية في الإعداد الشامل للإنسان ، وبقدر ما يخفق في مهمته التربوية : يعكس ذلك نقصاً في الشخصية ، وضموراً في نموها ، مما يُتّبع عنه اختلال عام في شخصية الإنسان .
- ولكنكم أن تخيلوا - أيها الإخوة - شخصاً اعتنى به من الناحية العقلية ، إلا أنه أهمل من الناحية الأخلاقية ، فترأه شخصاً ماكراً ، يحمل طبع الثعالب في تعامله مع الناس .
- وأخر اعتنى به من الناحية الجسمية حتى قويت أركانه ، واشتدت أطرافه ، وانفتحت عضلاته ، ولكنه أهمل من الناحية العقلية ، فهو بذلك لا يعدو أن يكون ثوراً عاتياً في صورة إنسان .

- ولكم - أيها الإخوة - أن تخيلوا اضطراب هذه الشخصيات الإنسانية ، حين تنمو من جانب ، وتضرر من جانب آخر ، أي سلوكٌ شاذٌ يمكن أن تنتهيَّ هذه الشخصيات المضطربة في أو ساطها الاجتماعية ؟ كيف سوف تعامل مع من حولها في الأسرة ، والعمل ، والمجتمع ؟
- إن منهج التربية الإسلامية جاء ليرعى الإنسان من جميع جوانب شخصيته ؛ بحيث ينمو نمواً متوازناً متكاملاً .
- يعطي كلَّ جانب من جوانب الشخصية الإنسانية حظه من التربية والتهذيب ؛ ليكون عند كلِّ واحد منا الحدُّ الأدنى على الأقل من جوانب التربية الإسلامية الشاملة ، مما يجعله سوياً في المجتمع ، مقبولاً عند الله تعالى .
- ففي الجانب الإيماني ، لا بد أن يكون عند كلِّ واحد من أصول الإيمان ، التي اشترطها الله للقبول عنده ، التي تحفظ المسلم ضمن دائرة التوحيد ، وما زاد على ذلك من مفاهيم العقيدة والإيمان : فهو أجر وثواب ، ومراتب من الخير ، ومنازل من الفضل .
- وفي الجانب الأخلاقي أيضاً ، لا بد أن يكون عند المسلم الحدُّ الأدنى على الأقل من الأخلاق التي بها يكُفُّ شره عن الناس ؛ بحيث لا يصل إلى أحد بضرر أو بأذى ، وما زاد على ذلك من : الإحسان ، والإكرام ، والإيشار : فهو فضل وثواب ، يرتفع به المسلم عند الله تعالى مراتب ومنازل .
- وفي الجانب النفسي ، لا بد أن يكون عند المسلم على الأقل الحدُّ الأدنى من الصحة النفسية ، التي يكون بها سوياً متزناً في المجتمع ، مستقراً غير مضطرب ، يحسن تعامله ، ويضبط انفعالاته ، ويحكم تصرفاته .
- وفي الجانب الجسمي ، لا بد أن يكون عند المسلم الحدُّ الأدنى على الأقل من الصحة الجسمية ، والسلامة البدنية ، التي تؤهله للقيام بالواجبات الشرعية ؛ كالعبادات المفروضة ، والعمل والإنتاج والكسب .

- أيها الإخوة : إن حصول المسلم على الحد الأدنى في كل جوانب الشخصية :
 - يعد أول مراتب الولاية عند الله تعالى .
- فهو الذي عَبَرَ عنه القرآن الكريم بالمقتصد ، الذي قام بالواجبات ، وامتنع عن المحرمات ، إلا أنه لم يسارع في النوافل والمستحبات .
- ولا شك أن من أتى بالواجبات المفروضة ، وامتنع عن المحرمات الممنوعة :
 - فهو وليٌّ من أولياء الله تعالى ، حتى وإن قصر في المستحبات والنوافل ، ووقع في شيء من المكرهات .
- جاء رجل فقال للنبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خمس صلوات في اليوم والليلة ، قال : هل عليٌّ غيرهن ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع ، قال : وذكر له رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صيام شهر رمضان ، قال : هل عليٌّ غيره ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع ، قال : وذكر له رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصدقة ، قال : هل عليٌّ غيرها ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع ، فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه ، قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أفلح إن صدق » .
- ولكن السؤال الذي يطرح نفسه علينا ، ويطرح على الجواب : هل المسلمين اليوم ، في عصرهم هذا قد أتوا في واقع حياتهم بالحد الأدنى من جوانب الشخصية ؟
- هل عند المسلمين اليوم أصل الإيمان الذي يعصّمهم من الوقوع في الشركيات ، والبدع الغليظة ، ومظاهر الردة .
- كم أولئك الذين يعيشون في العالم الإسلامي ، يدعون ويسألون غير الله تعالى ، قد تعلقت قلوبهم بالمشاهد والأضرحة والمزارات ؟
- كم أولئك الذين لا يرون لله حقاً في أن يحكم الحياة كلها بكتابه وسنة نبيه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، من العلمانيين ، والاشتراكيين ، والليبراليين ؟

- وكم أولئك الذين يحملون من الأخلاق الإسلامية ، التي تعصمهم من أن يؤذوا الآخرين ، أو يضرروا بهم ، فضلاً عن أن يحسنوا إليهم ويبرُّوهم ؟
- أيها الإخوة : إن المسلمين في حاجة إلى أن يرتقوا إلى مراتب الوجوب والفروض ، قبل أن يفكروا في مراتب المكرهات والمستحبات .
- إن الشخصية المسلمة اليوم تعيش حالة من الاختلال والاضطراب ، التي تنذر بخطر الاستعمال والاضمحلال .
- أمة أخرجها الله تعالى لتشهد على الناس ، وتقيم عليهم الحجة ، فإذا بها تتعر في القيام بأبسط القيم الإسلامية وأسهلها .
- فلتنتظر في أحوالنا : كم نسبة الصادقين في مقابل الكاذبين ، وكم نسبة الأماناء في مقابل الخائنين ؟
- لو أن صرافاً آلياً أخرج بالخطأ خمسة آلاف ريال ، فكم أولئك الذين سوف يعيدون المبلغ إلى البنك ، وكم أولئك الذين سوف يأخذونه فيأكلونه ؟
- أعود بالله من الشيطان الرجيم : *ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ أَفْضَلُ الْكَبِيرِ* .

=====

- لقد ضرب لنا أصحاب النبي ﷺ المثل الأعلى في تكامل بناء شخصياتهم ، فقد كانت جملتهم ضمن المساحة الإسلامية التي أذن الله بها بين الحد الأعلى والأدنى .
- فهذا أبو بكر رضي الله عنه ، قد ضرب لنا المثل الأعلى في التربية الإيمانية ، فلا يسبقه أحد غير الأنبياء ، في حين لم يكن كذلك في القوى البدنية ، حتى إن إزاره

يتفلّت عليه من شدة نحولته ، إلا أنه مع ذلك كانت له من القوى البدنية ما
يستطيع به أن يقوم في صلاته ، ويسعى على رزق أولاده ، ويجاحد في سبيل
الله تعالى .

- قارنو - أيها الإخوة - شخصية أبي بكر رض ، مع شخصية سلمة بن الأكوع رض ،
الذي لم يبلغ ما بلغ أبو بكر من الإيمان ، إلا أنه اكتسب قوى جسمية خارقة ،
حتى غزا غزوة كاملة وحده !!
- أيها الإخوة : إن منهج التربية الإسلامية لا يجعل من الناس ملائكة لا
ينخطئون ، ولكنه - في الوقت نفسه - لا يرضى لهم أبداً أن ينحطوا قابعين في
أسفل سافلين ، فالمسلم يخطئ ويستغفر ، ويذنب ويؤوب ، ولكنه لا يصر ولا
يستكبر .
- تخيلوا - أيها الإخوة - لو أن كلَّ مسلم في المجتمع التزم بالحدُّ الأدنى على
الأقل من الأخلاق الإسلامية ؛ فكفَّ كلُّ واحد شره عن الآخرين : لكم أن
تخيلوا أي مجتمع مثالٍ يكون هذا المجتمع ؟



٤- كيف قدم المسلمون المعاصرون دينهم للعالم؟

- تخيم ظلالُ الْبَؤْسِ وَالشَّقَاءُ عَلَى عَالَمِنَا الْمُعَاصِرِ ، وَتَكْسُوُهُ لِبَاسُ الْخُوفِ وَالْجُوعِ ، وَتَقِيِّدُهُ بِأَغْلَالِ الظُّلْمِ وَالْطُّغْيَانِ ، وَتَسْوُقُهُ نَحْوَ الشَّقَاءِ وَالْخَرْمَانِ ؛ فَإِنَّمَا جَالَ الْبَصَرُ ، وَوَقَعَتِ الْعَيْنُ ، وَتَأْمَلَ النَّاظَرُ : هَالَّتِهِ مَشَاهِدُ الْعَالَمِ الْبَائِسِ ، الْغَارِقُ فِي : الْكُفْرِ ، وَالْفَقْرِ ، وَالظُّلْمِ ، وَكَانَ الْبَشَرِيَّةُ مَا أَتَحْفَتَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَرْسِلِينَ ، وَلَا أَكْرَمْتَ بِالْكِتَبِ وَالرَّسَالَاتِ ، وَكَانُوكُمْ يَحْيَوْنَ زَمْنَ فَتْرَةٍ ، لَا كَتَبَ فِيهَا وَلَا نُبُوَّاتٍ ، قَدْ فَقَدُوا أَسْبَابَ الْهُدَى ، وَعَمِّهُمْ ظَلَامُ الْغَوَايَةِ : عَقُولَ تَائِهَةٍ ، وَأَفْهَامَ زَائِفَةٍ ، وَنُفُوسَ حَائِرَةٍ ، يَظْنُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ، وَمَا دَرُوا أَنَّ الْأَنْعَامَ أَهْدَى مِنْهُمْ سِبِيلًا .
- ولئن كانت البشرية المعاصرة قد فقدت كتبها المنزلة : فأين هي من رسالة محمد ﷺ ، ما فقد منها حرفاً واحداً ، قد بدت يانعة مشرقة كما أنزلت أول مرة ، تحمل معها أسباب الهدى ، واستقرار النفس ، وسكون الضمير .
- تعطي الحياة للقلوب الميتة ، وتنوح الطهارة للنفوس الملوثة ، وتنير الطريق للعقول التائهة : وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَيْكَنْ جَعْلَنَّهُ نُورًا هُدًى بِمِنْ دُشَّأَهُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهَدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦﴾ صِرَاطٌ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ .
- إنها الهدى الخالصة ، والنورُ التام ، واليقين الكامل ، الذي تضمّنته رسالة محمد ﷺ ، فما بال البشرية المعاصرة تُعرض عن هذه الرسالة ، التي أتحفها الله بها كرماً منه وفضلاً؟ وما بالها تجافي صاحبها - ﷺ - وُتُسِيءُ إلى سمعته وشخصه ، وهو المبعوث رحمة لها وللعالمين؟ لماذا تنفر البشرية المعاصرة من دين الإسلام ، وتُتَهَمُهُ بالدموية والقسوة والعنف؟

- أليس سبب ذلك هو واقع المسلمين المعاصر ، الذي يمارس أشد أساليب الصد عن سبيل الله ، ويسوق الناس بعيدا عنه ، فماذا قدم المسلمون للبشرية النائمة ، من أسباب الهدایة والنور ؟
- ماذا قدم أهل البدع للحائرین في هذا العالم ؟ ألم يصدوهم عن سبيل الله بالخرافات والألاعيب والترهات ، مما تتجه العقول ، وترفضه النفوس ؟ فإن ما يُنقل عن بعض المبتدعة من الأقوال والمعتقدات والسلوكيات : هو شيء مثير ، يندى له الجبين خجلا .
- قوم قد عكفوا على القبور ، يعتقدون أن العالم يدار من الأضرحة ، وآخرون يتبعّدون بضرب أبدانهم بالسلاسل والسيوف ، يُصبحون ويمسون بالتلاعن والسباب ، وجماعات دينهم الرقص والقفز والتصفيق ، كما تصنع القردة في أفواصها .
- أما ينجذل هؤلاء من نظر العالم إليهم ؟ بأية حجة تراهم يسوّغون أفعالهم القبيحة حين يُسألون ؟ أي عقل يقبل مثل هذه السخافات ؟
- سُئل أحد المبتدعة : لماذا تُسليون دماءكم يوم عاشوراء ؟ فقال : لقد أمطرت السماء ثلاثة أيام دماً يوم قتل الحسين ، أفلا يستحق منا قطرة من دمائنا ؟ فانظروا - أيها المسلمون - إلى الحجة الفاسدة ، التي هي أقبح من الفعل نفسه .
- أبئثل هذه الخرافات تقدّم أنفسنا إلى البشرية الحائرة في عالم اليوم ؟ أي مجنوون في هذا العالم يرضي أن يدخل ديناً ليشقق جلده ، ويُسيل دمه ، أو أن يعكّف على قبر ، أو أن يرقص ويقفز ؟ إن عند النصارى واليهود والوثنيين من جنون التعبّد ما يُغنجيهم عن عبادات مبتدعة المسلمين ، فليسوا في حاجة إلى مزيد إضلال ، فقد كفانا إبليس هذه المؤونة .
- إن البشرية اليوم في حاجة ملحة إلى أن تسمع قول الله تعالى : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ

بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
 وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ، إنها في حاجة إلى أن تسمع وتعي قوله تعالى : ... وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ، إنها في حاجة إلى أن تفقه قوله سبحانه : ... قَدْ جَاءَكُم مِّنْ أَنَّ اللَّهَ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾
 يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ وَسُبُّلَ السَّلَامِ وَيَخْرُجُهُم مِّنَ الظُّلْمَادِ إِلَى
 الْأُورِبِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ .

- إن البشرية في حاجة إلى التعرف على شخص محمد ﷺ، ليعيشوا بخيالهم في كنف هذه الرحمة الربانية المهداء ، يوم وقف عند الكعبة عام فتح مكة ، ليقضي قضاءه في مجرمي الحرب ، من صناديد الكفر والطغيان والظلم ، فیعلنها عفواً شاملًا ، ورحمةً عامة : « اذهبوا ، أنتم الطلقاء ».
- ثم يأتي هؤلاء الطلقاء ، من أسلم البارحة ، فيعطيهم كلًّا واحد منهم مائة من الإبل ، وواديًّا من الغنم ، ثم يبقى هو - ﷺ - وخلص أصحابه من المهاجرين والأنصار في شظفٍ من العيش ، يأكلون الرديء من التمر ، ويرتدون الخشن من الشياط .
- إن الأعرابي الغريب يدخل مجلس رسول الله ﷺ، فلا يُمِيزُهُ من بين أصحابه ، ولا يعرفه بهالة الملك ، قد اختلط بهم ، وامتنج معهم في هيئة واحد ، يجلس حيث انتهى به المجلس ، فلا يرتفع بمحلسه عنهم ، ولا يرضى أن يقوموا له إذا دخل ، ولا يسروا خلفه إذا انصرف .
- فإذا فرحوا فرح معهم ، وإذا حزّنوا حزن معهم ، يضحك ما يضحكون ، ويعجب مما يعجبون ، إذا جاعوا جاع معهم ، فلا يأكل حتى يشعوا ، ولا يشرب حتى يرتوا .
- أيها الإخوة : إن البشرية المعاصرة في حاجة إلى من يُسكن روعها ، ويُريح

نفسها ، ويطمئنُ ضميرها ، لا أن يزيدَها أثقالاً إلى أثقالها ، وهموماً إلى همومها ، فقد ملّ الناس القسوة والعنف والجفوة ، فقد كثرت بينهم المظالم ، وعمّ فيهم الفساد والقتل ، فهم يتطلّعون إلى عقيدة تقنع العقول ، وإيمانٍ يُريح النفوس ، وشريعة تحفظ الحقوق ، وليس أحد يملك هذا الخير والحق والنور إلا المسلمين وحدهم ، فقد حفظ الله لهم دينهم بكماله وجماله ، فهل أدرك المسلمون هذه النعمة ، وهل عرّفوا الكنز الذي عندهم ؟ أم أنهم انشغلوا بما ظهروا عنه من الممنوعات ، وتركوا ما أمروا به من الواجبات ؟ والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

=====

- أسئلة ملحّة تطرح نفسها علينا بقوة ، تحتاج معها إلى أن نراجع أنفسنا : هل المسلمون اليوم هم السبب في ضلال البشرية المعاصرة ؟ ماذا خسر العالم المعاصر بانحطاطنا ؟ بأية صورة قدّمنا إسلامنا للعالم ؟
- كيف قدّم الزعماء السياسيون إسلامهم لنظرائهم من قادة العالم المتحضر ؟ وبأية صورة ظهروا أمامهم ؟ وبأي أسلوب خاطبوهم ؟ هل شعروا أنهم يمثلون من وراءهم من المسلمين ، وأنهم إنما يعبرون عن دينهم وعقيدتهم ، فكيف تراهم عبروا عنها ؟
- وكيف قدّم القادة الإعلاميون إسلامهم إلى العالم عبر الفضائيات ؟ هل حملوا همَّ هذا الدين ، ليصلوا به إلى الحائرين في هذا العالم ، يبلغونهم رسالة الله تعالى ، ويقيّمون عليهم الحجة ؟ وهل مضمون الرسالة الإعلامية التي يقدمونها للعالم يعبر عن دين الأمة وعقيدتها وأخلاقها ، أم أنها تحمل مضموناً مغايراً لقيم الإسلام ومبادئه ؟
- وكيف قدّم المبعوثون أنفسهم للعالم المتحضر ؟ هل هم بالفعل رُسلٌ هداية

ونور ، يترجمون بسلوكهم وأخلاقهم قيم الإسلام وآدابه ، ويعبرون بجدهم وتفوقهم وانضباطهم عن حضارة الإسلام ورقيه ؟ أية ذكرى تركوها وراءهم في بلاد الغرب ؟

- ثمَّ كيف عَبَرَ السُّوَاحُ المسلمون عن دين الإسلام ، وهم يجوبون العالم للترفيه في الإجازات الصيفية ؟ أية صورة طبعُوها عن دينهم في أذهان الأجانب ؟ هل كانوا في تعاملهم مثالاً للأمانة والتزاهة والتقوى ، لا يغشُون ولا يخادعون ولا يكذبون ، يعكسون بسلوكهم تعاليم الإسلام وأخلاقه ؟
- أيها الإخوة : إن الإجابة عن هذه الأسئلة معروفةٌ لدينا ، ولكنَّ الويلَّ لمن كان مناً مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير ، لقد ابتعثنا الله هداة للخير ، وحماة للحق ، وشهداء على الناس ، وأمرَنا أن نطبقَ ديننا في واقع حياتنا ، وأن نعبر بسلوكنا عن عظمة ديننا ، وأن نحذر من فتنة الناس عن الحق : يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرُّ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ .



٣- مطالب المتزوجين و حاجاتهم

- إن أغلظ وأقوى وأشدّ ميثاق يمكن أن يُعقد بين اثنين هو ميثاق النكاح ، الذي يتزوج به الزوجان امتزاجاً كاملاً ، ويتدخلان فيما بينهما ، كأنهما جسدٌ واحدٌ .
- فيستبيح كل منهما من صاحبه ما لا يستبيحه من أي شخص آخر ، مهما كانت صفتُه الخلقية ، ومكانته الاجتماعية ، وقرباته النسبية .
- فيكون من هذا الامتزاج والتدخل : الرحمة والمودة بين الزوجين ، مما يضفي عليهما السعادة والانشراح ، وينعكس عليهمَا أنساً وراحة واستقراراً .
- وقد ثبت لدى المختصين من التربويين والنفسين والاجتماعيين : أن العلاقة الزوجية الناجحة ، التي يراعي فيها كلُّ من الزوجين صاحبه ، ويقوم كلُّ منهما بواجباته تجاه الآخر ، مراعياً حقوقه ومشاعره وحاجاته : هي - في الحقيقة - أوسع أبواب السعادة التي ينشدها الإنسان ، وأفضلُ ما يتطلع إليه ، وأسمى ما يرجوه ويتمناه ، بعد الإيمان بالله تعالى .
- فالعلاقة الزوجية أساس ضروري لصحة الإنسان النفسية ؛ التي لا يستغني أحد عنها لتحقيق استقراره النفسي ، وازانه الاجتماعي ، وسلامته الشخصية .
- فحجم كبير من الاضطرابات : النفسية والاجتماعية والسلوكية ، يرجع إلى فقدان العلاقات الزوجية الحميمة ، واضطراب الحياة الأسرية ، واحتلال أساليب التواصل العائلي .
- وهذا - في مجتمعه - ينعكس سلباً على حياة الإنسان العامة ، وسلوكه الاجتماعي ، وازانه النفسي ، وإشباعه العاطفي .
- وينعكس أيضاً على علاقاته الاجتماعية المختلفة ، ونشاطه في عمله ، وإنقائه لهنته ، وحسن أدائه في صنعته ، بحيث تتعكس تعاسته الزوجية على جميع جوانب حياته ، فتطبعها بطبع اليأس والحزن والإحباط .

- فإن من الصعوبة بمكان أن يُخفِي الإنسان مشاعر الإحباط الأسرية التي يعيشها عن واقع حياته العملية ، حتى تجدها واضحة على محياء ، ظاهرة بينة على ملامحه ، متجسدة في سلوكه وأخلاقه ، لا يستطيع إخفاءها ، فالكآبة والهم والغم : معالم لا تكاد تنفصل عن تعساء الحياة الزوجية .
- وكثيراً ما يتتبه عقلاً المجتمع هؤلاء التعساء ، فيكتشفونهم من ملامح وجوههم ، ومن فلتات ألسنتهم ، ومن طريقة تفكيرهم ، وأساليب تعاملهم .
- فكم خرّجت لنا الأسر المضطربة من : المكتئبين ، واليائسين ، والمحبطين ، الذين كرهوا الزواج والأسرة والإنجاب ؟ وتمنوا أنهم ما تزوجوا ، ولا عرفوا هذه التجربة الفاشلة ؛ فقد ربط بعضهم تعاسته وضياعه وأزمته بالزواج ، يتمنى لو عاش عَزِيزاً طول حياته ، وما عرف الزواج قط .
- فكم شاهدنا وسمعنا في المجتمع من الرجال والنساء من يصرح بآلامه وأحزانه من شريكه ، متمنياً لو أنه مات ، وما عرفه ولا رأه قط .
- لقد امتلأت نفوسهم بالضجر والهم واليأس ، حتى فاض ذلك على شخصياتهم ، من شدة ما يجده أحدهم في نفسه من الألم والحزن والتعاسة .
- ولو سألت أحدهم أن يعبر لك عن السعادة : لعجز أن يعبر لك عنها ولو بكلمة واحدة ، من فرط ما يجده في نفسه من الآلام والأحزان .
- نعم - أيها الإخوة - هو صادق في كلامه ، فكيف له أن يعبر عن شعور لم يعرفه قط ، ولم يشعر به من قبل ، حتى إن السعادة في حسنه : كلمة لا معنى لها ولا مفهوم ؛ فقد أسودت الدنيا في عيون هؤلاء وأمثالهم ، من فقدوا السعادة الزوجية في بيوتهم .
- أيها الإخوة : إن أسمى ما يطلب الرجل في المرأة ، ويرجوه ويتمناه : هو جمالها وطاعتتها ورضاحتها .

- فإذا نظر إليها سرّه منظرُها ، حتى تعينه بجمالها وزيتها على غض بصره ، وتحصين فرجه ؟
- وإذا أمرها بأمر ، مما تستطيعه وتقدر عليه : أطاعته في ذلك ولم تخالفه ، ولم تتكبر عليه ، ولم تنصب نفسها ندأله .
- ثم هي بعد ذلك راضية عن حياتها معه ، ومقتنعة بحالها في كنفه ، لا ترضى عنه بدليلاً .
- وهذه المطالب الثلاثة هي أسمى ما ينشده الرجال في النساء ، وأعز ما يحرضون عليه ، ويبيحشون عنه في الزوجات .
- إلا أن الواقع يشهد جمّعاً كبيراً من النساء : منفّراتٍ في أشكالهن وهيئاتهن ، لا يُراعين حاجات أزواجهن من الزينة والجمال ، وحسن الهيئة .
- وأخرياتٌ ليس لهن هم إلا أن يثبتن ذواتهن بالمخالفة والعناد والتكبر ، فلا ترى إحداهن لزوجها حقاً في الطاعة ، فهي كالند له ، تعارضه إذا اقترح ، وتخالفه إذا قرر ، لا تكاد تتفق معه على شيء .
- وجمع آخر من النساء لا تكاد تفك عن الشكوى من حياتها ، وضيق عيشها ، وتعاسة حظها ، لا تكف عن التسخّط والتذمر من حالها .
- وهذه الأصناف الثلاثة من النساء هن أشد ما يكون على الرجال ، حتى إن أحدهم ليتحين الفرصة المناسبة للخلاص منها ، بطلاق أو زواج جديد .
- فإذا أعرض الرجل عنها ، أو عزم على طلاقها : تنبّهت حينئذٍ لخطئها ، وعادت إلى صوابها ، ورغبت في العودة ، ولكن بعد أن يكون الأمر قد انقضى .
- وأما في جانب النساء : فإن أسمى ما ينشدن في الرجال ، ويطلبونه فيهم هو : الكرم في النفقة ، والتلطف في العشرة ، والإشباع العاطفي .

- فإن من سعادة المرأة التوسيعة عليها في نفقتها ؛ من خلال المسكن الواسع ، واللباس الحسن ، والطعام الوافر ، والزينة المتنوعة .
 - وإن من سعادتها أيضاً : التلطف في معاملتها ، وتجنب القسوة عليها ، سواء باللسان أو اليد ، بحيث تشعر المرأة بالأمان في كنف زوجها ، والسلامة في عيشها .
 - وأما الإشباع العاطفي ، واللمسة الحانية ، فهي مطالب نسائية لا تقل شأنًا عن المطالب الأخرى ، التي ينشدتها النساء ، ويرغبن فيها .
 - ومع هذا فإن الواقع الاجتماعي يشهد جمًعاً كبيراً من الرجال يخلون بواجب النفقة على الزوجات ، ويضيقون عليهن ، في طعامهن ، ولباسهن ، ومساكنهن .
 - بل ربما نازع أحدهم زوجته في حرّ مالها ، مما أنعم الله به عليها من وظيفتها ، أو إرثها ، لا يرى لها حقاً في التصرف في مالها .
 - وربما أساء إليها في معاملتها ، فهو سريع الغضب ، بذيء اللسان ، طوييل اليد ، لا يتورع عن الشتم والضرب بغير حق .
 - ومن الرجال من لا يرى للمرأة حقاً عاطفياً ، فهي لا تعدو في نظره أكثر من مستودع لملائكة ، ومنبت لولده ، وخدم بيته ، لا حق لها في الاستمتاع ، ولا نصيب لها من العواطف .
 - إن هذه المسالك الهمجية من بعض الرجال هي من أشد ما يؤذي المرأة نفسياً وجسمياً وعاطفياً .
 - أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ : ... وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .
-

- يظن بعضهم أن الحبَّ بين الزوجين هو الدافعُ الأساسُ والأهم لقيام كل من الزوجين بواجباته تجاه الآخر ، وهذا في الحقيقة ليس ب صحيحٍ من كل وجه ؛ فإن الحبَّ بين الزوجين - رغم أهميته - لا يعدو أن يكون عنصراً من عناصر السعادة الزوجية ، وليس هو العنصر الأساس ؛ فقد تقوم الحياة الزوجية وتنجح وتستمر بغير الحب ؟ فكم أولئك الأزواج الذين فقدوا الحبَّ فيما بينهم ، ومع ذلك قام كلٌّ منهم بواجباته الشرعية تجاه الآخر ؟ وإنما الضروري للحياة الزوجية ، والأساس لها ، الذي لا يتصور الاستغناء عنه بحال : هي التقوى ، التي تعصم صاحبها من الإخلال بالحقوق ، وتحثه على القيام بالواجبات .
- لقد شهد الواقع الاجتماعي بيوتاً انعدم فيها الحب بين الزوجين ، ومع ذلك تُعد بيوتاً ناجحة ، كلٌّ منها قد بلجمه الشرع ، فقام تجاه صاحبه بالواجب المفروض عليه .
- إن الميثاق الغليظ الذي استباح به كلٌّ من الزوجين صاحبه ، هو الرابطة الوثيقة بين الزوجين لبقاء الحياة الزوجية ولو بغير الحب ، مادامت التقوى تعمُّر القلوب ، وتضبط السلوك .
- فليلتمس كلٌّ من الزوجين رضا ربِّه في الإحسان إلى صاحبه ، وإعطائه حقوقه ، وليرُعرض عن تقصيره وأخطائه وزلاته ؛ فإن الله سوف يعوضه الغنى والرضا والأنس .



سادساً : التربية العقلية

- ١- الشباب بين الشهوات والشهبات
- ٢- الحوار في حياة الإنسان
- ٣- الليبرالية البغيضة

١- الشباب بين الشهوات والشبهات

- منذ عقود مضت وجع كبير من فضلاء الأمة الإسلامية يتنددون من جنبات العالم الإسلامي للحد من ضياع الشباب ، ووقعهم في مهاوي الرذائل والضلالات والفتن ، يصيرون بالأمة والمجتمعات الإسلامية ، شفقة ورحمة بها ، من آلام وأحزان لا طاقة لها بها .
- لقد علا المنابر جمع كبير من العلماء الفضلاء ، يحذرون وينذرون وينبهون من غزو فكري وأخلاقي يستهدف الأمة الإسلامية في شبابها ، ويلاحقهم في عقائدهم ومفاهيمهم .
- إلا أن آذان المجتمعات الإسلامية لم تكن صاغية للخطاب المشفق ، ولم تكن مدركة ولا واعية للخطر الداهم القادم من بعيد .
- ولقد قوبلت صيحات العلماء بالاستهزاء والسخرية والاستهجان ، وربما بالإسكات والتغريم والإبعاد .
- لقد ظن المجتمع الإسلامي أنه معصوم من الضلال والفساد ، وأن كيد الأعداء مهما بلغ فلن يؤثر فيه ، فكان ذلك وهماً توهّمه الناس ، وظنناً ظنوه لا حقيقة له .
- فما لبثت الأمة الإسلامية طويلاً حتى أخذت جدران المجتمع المسلم تتصدع ، وبدأت مبانيه تتفكّك ، بل وتهار بكمالها ، أمّا غزو عالمي شامل ، لا قبل لالأمة بمثله .
- وإذا بمحضوننا - التي كنا نظُنُّها منيعة - تنهار من دخلها ، أمّا ضربات الغزاة الملحدين ، والحاقدين المخربين ، وال مجرمين المفسدين .
- لقد اكتشفنا - بعد فوات الأوان - أن بناءنا هش رقيق ، لين ضعيف ، لا يصمد للتغيرات العاتية القوية ، ولا يقوى على الهجمات العنيفة .

- لقد فوجئنا بجمع من رجالنا ، قد تنكروا لدينهم ومجتمعهم ، يعملون في الباطن لغير صالح دينهم وأمتهم ، قد تستروا بالتفاق ، يقولون غير ما يُيظنو ، ويتنادون بغير ما يعتقدون ، همّهم إبعاد الأمة عن دينها ، زعماً منهم أن هذا في صالحها .
- كما فوجئنا أيضاً بجمع من نسائنا وفتياتنا ، من ظنتا بهن الخير ، واعتقدنا فيهن الصلاح ، ما إن تعرضن لشيء من الغزو الثقافي القادم من الغرب ، حتى انقلبن رأساً على عقب .
- فمن منادية بالتحرر والانعتاق ، ومن منادية بالمساواة والاستقلال ، ليس لهن هم إلا أن يقدن السيارة ، وبينن المناصب ، ويختلطن بالأجانب ، ويسرن في الطرق بغير حجاب ، لا يستأذنُ أباً ، ولا أخاً ، ولا زوجاً ، ولا عمّاً ، تريد إداهن أن تكون رجلاً .
- وأما الشباب فجمع كبير منهم أصبحوا غيظاً للمجتمع ، يعاكسونه في اتجاهاته ، ويعاندونه في اختياراته ، لقد انصبغو بصيغة التمرد على الأسرة والمدرسة والمجتمع ، يتقنون كل قبيحة ورذيلة ، إلا الدين والأخلاق والبناء .
- لقد فوجئنا ببعض شبابنا لا يكادون يحسنون شيئاً مما ينفع في الدنيا والآخرة ، اللهم إلا لبس الملابس الساقطة ، والقصّات الشاذة ، والرقص الخليع على الأرصفة والطرق .
- لا يصلون ولا يصومون ، ولا يتوبون ولا يستغفرون ، أوقاتهم ضائعة ، وعقولهم فارغة ، وقواهم خائرة ، صور وأعداد بلا حقيقة ولا معنى .
- لقد ملئت بأمثالهم السجون والإصلاحيات ، يتهمون بالأعراض ، ويتغاضون عن المخدرات ، ويسرقون الأموال ، فلا يتورّعون عن قبيحة ولا رذيلة ، قد تجرّأوا على كل ذلك .

- وأما الفتيات فقد غرق كثير منها في مشاعر جنسية عارمة ، وشهوات غالبة ، وأهواء مستحكمة ، قد ملكت إحداها شهوتها المتوقدة ، تقاد تقول للشباب خذوني .
- تبرج فاضح ، وتهتك صارخ ، تسير إحداها كاسية عارية ، قد نزعت جلباب الحباء عن سلوكيها ، وتنظر نزع جلباب القماش عن بدنها .
- وأما من لم تجد منها موضعًا عند الشباب ، ولا سوقًا رائجة بين الرجال : توجهت بالشذوذ الجنسي نحو بنات جنسها ، فتعاطى مسالك الذكور وأخلاقهم ، فلا تخطئها العين في المدارس والجامعات .
- حتى كثرت الشكوى من فتيات مسترجلات ، من يُسمون بالجنس الثالث ، يتهدكن أعراض الآخريات ، بالاحتضان والقبل في مرافق النساء ، وربما تجاوزن ذلك لما هو أقبح وأشنع .
- ثم فوجئنا بالطامة الكبرى ، والرزية العظمى : شباب مسلم يكفر ويفجر ، ويقتل ويدمر ، الروح أرخص شيء في حسه ، فلا قيمة للحياة عنده .
- يتحمّلون الفرصة ليقضوا على المجتمع ، يفجرون ويقتلون ، يظنون أنهم - بعملهم هذا - يصلحون ما فسد من الحياة ، ويقيمون ما اعوج من المجتمع .
- وهنا فقط ، وعند هذا الحد بدأ المجتمع يصحو من غفلته ، ويتيقظ من رقتده ، ينظر بجد للخطر الداهم ، ويتبنّه باهتمام لأزمات الشباب وضلالاتهم وأنحرافاتهم .
- أيها الإخوة : لقد تهانوا كثيراً بانحرافات الشباب الخلقيّة والسلوكيّة ، حتى جاءنا منهم ما أيقظنا ، وأقلق مصاجعنا .
- لقد ظتنا أن الانحرافات الخلقيّة هي آخر ما يمكن أن يقع من الشباب ، حتى استيقظنا على التفجير والتدمير .

- أيها الإخوة : إن الانحراف هو الانحراف ، سواء أكان في الأخلاق والسلوك ، أم كان في الفكر والمعتقد ؛ فإن العلاقة في غاية القوة بين الشهوات والشبهات .
 - بل إن الشبهات بناتُ الشهوات ، ولا يقوى على ترك الشبهات إلا من ترك الشهوات .
 - فمن انهزم أمام الشهوات : لا بد أن ينهزم أمام الشبهات ، فلا يبعد للمنهزم أن تتلبس به شبهةٌ من شبهة الضلال ، فيرتكسُ فيها .
 - فالغارق في الشهوة الجنسية ، المتلبسُ بها ، قد يستبيحها بشبهة الصداقة والزماللة مع الجنس الآخر .
 - والغارق في شهوة المال ، قد يستبيح الحرام بشبهة العمولة أو الفوائد ونحوها .
 - والشاب العاطل الفقير ، الذي لا يجد ما يكفيه ، قد يستبيح الانتقام من المجتمع بتكفيره وتفجيره ، بشبهة إحقاق الحق ، ورد الظلم .
 - وهكذا - أيها الإخوة - ترکب الشبهاتُ الخطيرة على الشهوات المثيرة ، فتتقلب الشهواتُ إلى شبهات ، والأهواء إلى معتقدات ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .
- =====

- أيها الإخوة : إن الشباب طاقة لا تقبل الهدر ، فإذاً أن توجهه إلى الخير والبناء ، وإنما أن تستهلك في الشر والدمار .
- إن الشباب في حاجة إلى من يأخذ بأيديهم من أول الطريق ، من بدايات المسير ، لا أن يُتركوا وشأنهم فيضلو ، ثم نأتي متأخرین لإصلاحهم ، وترميم بنائهم .
- إن الشباب في حاجة إلى المحاضن الصالحة في البيت والمدرسة والمجتمع ، فينشأون صالحين محبين ل مجتمعهم ، حريصين على أوطانهم .

- إنهم في حاجة إلى القدوة الصالحة في الآباء والمعلمين وفي عموم المربيين ، يرون فيهم التطبيق العملي للمبادئ الطيبة التي يتنادى بها المجتمع .
- أيها الإخوة : ماذا يظن الناس من شاب أهمله المجتمع ، فلم يلتفت إليه ، ولم يلب حاجاته ، ولم يحقق آماله ، ماذا تراه يصنع ؟
- وماذا يظن المجتمع من شاب أحطنه بالشهوات والفتنة من كل جانب ، ماذا تراه يعمل ؟
- وماذا يظن المجتمع من شاب مظلوم مضطهد ، لم ينصفه المجتمع ، قد تعرض لمن يشوش أفكاره ، ويخرب آرائه ، ماذا تراه يفعل ؟
- إننا أيها الإخوة - بصورة مباشرة أو غير مباشرة - نصنع المجرم بأنفسنا ، وننهي له ظرف الإجرام والانحراف ، فإذا وقع في الجريمة تباكيانا عليه ، وهرعنا لإصلاحه .
- إن الحقيقة التي لا بد أن تستقر في نفوسنا : أن الشباب لا يصطنعون الأزمات من عند أنفسهم ، ولا يتتكلّفون الوقوع فيها ، وإنما يعكسون قيم المجتمع من حولهم ، فهم لا يزيدون عن أن يكونوا مرآةً للمجتمع الذي يعيشون فيه ، يعكسون واقعه في سلوكهم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .
- اللهم لا تفجعنا في أولادنا ، اللهم اجعلهم قرة عين لنا ، اللهم اكفهم شر الأشرار وكيد الفجّار ، يا أرحم الراحمين ، ويا أكرم الأكرمين .



٢- الحوار في حياة الإنسان

- استثنى المولى عز وجل الإنسان بالتكاليف الشرعية دون سائر المخلوقات الأخرى ؛ وذلك لما جباه به - عز وجله - من القدرات الذهنية ، والملكات العقلية ، من : الفهم ، والإدراك ، والنظر ، والاستيعاب ، والتحليل ونحوها ، مما أكرم الله به الإنسان ، وفضله على سائر الحيوان .
- فلو لا نعمة العقل لسقط التكليف عن الإنسان ، ولكان عضواً من أعضاء المملكة الحيوانية الكبيرة .
- ولقد كان من نتائج عقل الإنسان : النظر والتأمل ، والتفكير والتدبر ، الذي أهل الإنسان للفهم الصحيح ، وساعدته على اتخاذ القرارات الصائبة ، تجاه المواقف الحياتية والمصيرية المختلفة .
- فالإنسان يصل إلى قراراته الموقفة بعد أخذته بمقدمات كثيرة ، ومعلومات متعددة : تؤهله لاتخاذ القرارات الصائبة والصحيحة .
- فالإنسان لا يهتدي إلى المسلك الصحيح عن طريق الغرائز كحال الحيوان ، وإنما يهتدي إلى الحق بنور البصيرة ، والفهم والنظر والتدبر .
- فالمصير : قرار يتخذه الإنسان لنفسه ، وبناءً على هذا القرار يكون جزاؤه في الآخرة بالخير والنعيم ، أو بالشر والجحيم .
- ولما كان الإنسان في حاجة إلى وسائل تعينه على اتخاذ القرارات الصائبة ، وتجنب القرارات الخاطئة :
 - أunan الله الإنسان بأسلوب الحوار ؛ ليكون وسليلاً الفعالاً للنظر الصحيح ، والفهم الدقيق ، ومن ثم اتخاذ القرار المناسب .
 - فكم هي الحجب التي تحول بين الإنسان وبين الفهم الصحيح للحقائق ؟

فيأتي أسلوب الحوار ؛ لينقض هذه الحجب ، ويجلِّي الحق ، ويُظْهِر البَيْنَةَ ،
فإذا تبيَّنت الحقائق لمزيد الحق : أخذ بها .

- فكم من ضال أبصر الحق ب موقف حوار هادئ هادف ، رصين منضبط ؟
فأعرض عن الباطل الذي كان عليه ، وأخذ بالحق الذي استبان له ، فإن على
الحق نوراً وبهاء ، يصعب على العقلاه تركه إذا ظهر لهم جلياً واضحاً .
- فكم أولئك الذين آمنوا بالحق حين تبَيَّن لهم ، فأخذوا به ، وتحملوا مشاق
قراراتهم ، لقد أسرهم نور الحق ، وبهاء مظهره .
- ولقد كلف الله الدعاة من الرسل والأنبياء والصالحين : أن يأخذوا بأسلوب
الحوار في دعوة الناس إلى الحق والهدى ، لعلهم يستبصرون النور ، ويعاينون
الحقيقة ، فياخذون بها .
- فمن اهتدى من الناس كان الحوار وسيلته إلى الحق ، ومن ثم إلى رحمة الله
ورضوانه ، ومن أعرض عن الهدى كان الحوار حجة الله عليه يوم القيمة ،
فلا حجة له عند الله بعد البيان .
- والناظر في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ : يجد أن أسلوب الحوار نهج
أصيل في منهج الدعوة الإسلامية ، سواء كان ذلك مع المخالفين في الأصول
أو الفروع ، في الكليات أو الجزئيات ، الكل يحاورُ ويجادلُ بالتي هي أحسن ،
فبالحوار تنجلي الشبهة ، وتتضخَّح المَحْجَةُ ، ويُظْهِرُ الحق .
- ولقد سجل القرآن الكريم جمِّعاً كبيراً منحوارات بين ربَّكَنَهُ وبعض
خلقه ، وبين الأنبياء وأقوامهم ، وبين الناس فيما بينهم ، حتى غداً الحوار
جزءاً أصيلاً في دعوة الإسلام .
- ولقد حفلت سنة رسول الله ﷺ بالكثير من مواقف الحوار ، وضع من خلالها
الرسول الأعظم ﷺ النموذج الأمثل لأسلوب الحوار ، سواء كان مع الصديق

أو العدو ، مع الأهل أو الولد ، مع الرجل أو المرأة ، مع الصغير أو الكبير ، فكانت ثمرة حواراته عليه السلام هي الأبلغ في هداية الناس ، وهي الأفضل للدعوة والإصلاح .

- وأما من أشهر سيفه للتزال ، وأطلق لسانه العنان ، ولم يراع أدب الحوار ، وأصول المعاشرة ؛ فإن المسلم المعتز بدينه : لا تعوزه القوة الرادعة ، ولا تنقصه اليد الباطشة ، التي توقف المبطل الأثيم عند حده ، فلا يتمنى في باطله ؛ فإن من الجرمين من يكره الحوار ، فلا يريد سماع الحجاج ، ولا يعبأ بالمعاشرة ، ولا يهتم إلى البيان ، وإنما يفهم لغة القوة والبطش والتحدي .
- فهذا نبي الله نوح عليه السلام ، حين أعياه قومه ، فأكثروا عليه بسوء الأدب ، وقبح القول : وقف في وجوههم ، يتحداهم ويصيح فيهم : ... يَقُولُ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامٍ وَتَذَكِّرِي بِعَايَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَاجْهَعُوا أَمْرَكُمْ وَشَرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيْكُمْ وَلَا تُتَظَرُونَ .
- ولما أساء فرعون أدب الحوار مع نبي الله موسى عليه السلام ، حين قال له : ... إِنِّي لاإُظْنَكَ يَنْمُوسَى مَسْحُورًا : رد عليه موسى عليه السلام بما يقمعه ، ويعرفه حجمه فقال : ... لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَارٌ وَإِنِّي لاإُظْنَكَ يَنْفِرُ عَوْنَتْ مَثْبُورًا ، أي هالك ضال ، ناقص العقل ، ضعيف الفهم .
- ولما أكثر المشركون على رسول الله عليه السلام استهزاءً وسخرية وتهكمًا ، وهو يطوف بالبيت : وقف عليهم فقال : « يا عشر قريش أما والذي نفسي بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذبح ». • ولما قدم عروة بن مسعود الثقيفي ليفاوضن رسول الله عليه السلام في صلح الحديبية ، فخرج عن الأدب ، فأخذ يطعن في رجولة وثبات أصحاب النبي عليه السلام ، وأنهم

سوف يفرون عنه عند المعركة ، فرد عليه عندها أبو بكر رض بكلمة قوية
جارحة فقال : « امتص بظر اللات ، أخن نفر عنه وندعه ؟ ». .

• وهكذا أهل الحق يردون على أهل الباطل إذا خرجوا عن أدب الحوار ،
وشروط الماناظرة . .

• أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : **وَلَا تُجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا إِنَّا مَأْمُونُ بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِنَّهُمْ بِإِلَهٍ مُّسْلِمُونَ .**

=====

• الحوار فن من فنون العلاقات العامة ، التي يحتاج إليها المسلم ، ويمارسها في
علاقاته الاجتماعية المختلفة . .

• فأينما نظرت في حياة الإنسان وجدته : محاوراً أو مجادلاً أو مفاوضاً ؛ فإما أن
يتم ذلك بأدب ، أو بسوء أدب . .

• فالمسلم في مجتمعه لا ينقطع عن الحوار مع : أبيه ، أو أخيه ، أو زوجته ، أو
ولده ، أو جاره ، أو صديقه ، أو خادمه . .

• كلٌ يحاور ويناقش ويجادل ، ولكن السؤال المهم : كم أولئك الذين ينجذبون
محاوراتهم بأدب وذوق ، كما أمر الله تعالى وسن رسوله الكريم ص ؟

• لقد امتلأت بيوتنا و مجالسنا وأنديتنا ومحاكمنا : بالصراف ، والسباب ، والعارك ،
حتى اختلط الحق بالباطل ، والصواب بالخطأ ، فتفرق الأحباب ، وتقطعت
الأرحام ، وعاد الصديق عدواً . .

• يخرج المتجادلون من مجالسهم كما دخلوا ، فلا تدرى على ماذا تجادلوا ،
وبماذا خرجوا ؟ إنما هي أصوات عالية متعارضة ، وصرخات قوية متناقضة ،

لقد ملكهم الغضب ، وأحاط بهم التوتر ، وحضرهم الشيطان .

- أيها الإخوة : إن هدف الحوار في الإسلام هو الوصول إلى الحق ، ومعرفة الصواب ، فما قيمة الطاقة المهدمة ، والوقت المبذول ، والجهد المقدم ، الذي يبذله المتحاورون إذا لم يقصدوا بلوغ الحق ، ولم يريدوه ، فما قيمة الحوار حينئذ ؟
- وأما وسيلة الحوار فهي العلم الصحيح ؛ فإن الجهل لا يبني شيئاً ، وكم من جاهل تناهى بالحق : فضل وأضل .
- وأما أسلوب الحوار فهو الأدب ، الذي تزيّن به دعابة الحق ، من الرسل والأنبياء والصالحين .
- فكم من الحجج التي تزيّنت بالأدب : فغزت القلوب في أعماقها ، وكم من الحجج التي خلت من الأدب : فمجتها النفوس ، ورفضتها العقول .
- وأية قيمة - أيها الإخوة - تبقى لحوار خلا من : الحق ، والعلم ، والأدب ؟ فالأفضل لهذا الحوار ألا يكون .



٣- الليبرالية البغية

- منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر ، التي حصلت في أمريكا : والعالم بأسره يعجُّ في حراك فكري وثقافي حول الإسلام : معتقداته ، ومفاهيمه ، وتوجيهاته .
- فما زال العالم يدرس ويناقش : علاقة الإسلام باضطراب العالم المعاصر ، فيدرس علاقة الإسلام بالسياسة والدولة ، وعلاقته بالإرهاب والتطرف والغلو .
- ولم يكن هذا الصراع الثقافي بعيداً عن عالمنا الإسلامي والعربي ، فقد شهدت الساحة الإسلامية والعربية حجماً كبيراً من هذا الصراع والنقاش الحضاري الواسع .
- شارك فيه صالحون ومبطلون ، صادقون ومغرضون ، كل يغترف من حشوة قلبه ، وينخرج من باطن صدره ، ويعبّر بأريحية عما في نفسه .
- فلم يعد في المجتمع المسلم اليوم حرج في أن يعبر الإنسان بصرامة تامة عن مشاعره وأفكاره ومبادئه ، سواء وافق المجتمع أو خالفه ، سايره أو عارضه ، حتى وإن أتى بما يخالف الثوابت الدينية ، أو يعارض الأصول الشرعية .
- فلم يعد غريباً في مجتمع اليوم أن يصرح بعضهم بانتسابه إلى نحلة ، أو مذهب ، أو اتجاه يعارض الإسلام من أساسه ، ويخالفه في أصوله ومنطلقاته .
- فتري بعضهم يستقصي الدين وأهله ، ويسيء من الأمة وإنجازاتها ، ويتعريض باللمس والهمز لتاريخ الأمة العريق ، وتراثها العلمي والحضاري .
- لقد انطلقو في غيرِهم مجاهرين بالباطل ، حين أمنوا سطوة السلطان ، وحنقَ المجتمع ، تحت ستار الحرية ، ونبذ الإرهاب .

- لقد استغلوا الحراك العالمي حول الإسلام ، فأخذوا يبثون سموهم الفكريَّة والعقديَّة عبر وسائل الإعلام ، بأنواعها المختلفة .
- فأخذوا يصرحون بما لم يجزئوا عليه من قبل ، حتى تnadوا ببدعة الليبرالية ، لتكون نهج حياتنا ، ونظام مجتمعنا ، وبديلاً جديداً عن إسلامنا .
- فقد أخذ بعضهم يبشر بها ، ويهْنئ المجتمع بقدومها ، باعتبارها خلاص الأمة من أزماتها الحضارية ، وطريقها الوحيد نحو النهضة والتقدم والرقي .
- وربما رفع بعضهم عقيرته بوجوب الجهاد في سبيلها ، والصبر على ذلك ، حتى تعمُّ بفضائلها العالم الإسلامي .
- فما هذه الليبرالية التي تستحق من الأمة كل هذا الجهد والفداء في سبيلها ؟ لتكون بديلاً عن الإسلام ، الذي أتَاهُ الله علينا ، يوم نزلت الآيةُ الخاتمة في يوم عرفة ، في حجة الوداع : ... آتَيْتُكُمْ أَكْمَلَتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْهَمْتُ عَلَيْكُمْ بِعَمَّى وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا
- أيها الإخوة : إن الليبرالية في المفهوم الغربي ، الذي نشأت فيه وترعرعت : تعني الحرية المطلقة غير المحدودة ، التي لا يقيدها شيء ، أياً كان .
- يعني أن الإنسان الليبرالي حرٌّ في تصرفاته ومعتقداته وتصوراته ، لا يحدُّه شيء في انتلاقته الواسعة ، إلا بداية حريات الآخرين .
- فهو - بناء على هذا المفهوم الواسع - حرٌّ ، لا يقيده شيءٌ من دين أو عقيدة أو سلوك ، فهو سيد نفسه ، لا يخضع لشيءٍ خارج ذاته ، مهما كان هذا الشيء مقدساً أو عظيماً .
- بل هو في الحقيقة إلهٌ ، قد نصب نفسه ، لا يخضع لشيءٍ ؛ إذ إن من خصوصيات الإله أنه لا يُسأل عما يفعل .

- فمن ظن أنه حرّ طليق من كل قيد ، غير مسئول عن شيء ، من أقواله ، أو أفعاله ، فهذا لا يعدو أن يكون حقيرًا ذليلاً ، قد نصب نفسه إلهاً ، يعبد نفسه .
- وهذا المفهوم البغيض عن الحرية ، يتعارض بصورة صارخة مع العبودية ومقتضياتها ، التي خلق الإنسان من أجلها ، والتي تعني الخضوع والتذلل والاستسلام لمراد الله وسلطانه جلّ وعلا .
- فالعبودية تقتضي بالضرورة الطاعة المطلقة لمراد الله تعالى في شريعته المتزّلة ، والالتزام بها ، ظاهراً وباطناً ، والعمل بمقتضاها ، وتنفيذ موجهاها .
- ولهذا كثيراً ما تأتي الشريعة خالفةً لهوى الإنسان ، معاكسةً لرغباته وشهواته ؛ إذ الشريعة ما جاءت إلا لتحكم الإنسان بما يحقق مصلحته ، ولم تأتِ لتوافق هواه ورغباته .
- فكل ما في الحياة من الأشياء والمعتقدات والسلوكيات تخضع للأحكام الخمسة التكليفية : المباح ، والحرام ، والمكره ، والواجب ، والمندوب ، فلا يشذ عن هذه الأحكام الخمسة شيءٌ من شؤون الحياة ، صغيراً كان أو كبيراً ، حقيراً أو جليلاً .
- ومن هنا نتساءل : أين تقع الليبرالية المزعومة ، التي يدعو إليها المرجفون من هذه الأحكام الخمسة ؟
- إن من أصول معتقد أهل السنة والجماعة : أن الألوهية واحدة لا تتعدد ، ولا تتكرر ، وهي ألوهية الله تعالى ، وأما العبودية فهي صفة لازمة لكل ما سوى الله تعالى .
- فمن ظن أن من حقه أن يخرج عن العبودية قيداً أ neckline واحدة ، بسلوك أو عقيدة أو رأي أو تصور : فهذا ليس بمسلم مهما ادعى ، ومهما تنادي أو صاح .

- فكيف - بالله عليكم - من يظن أن الحياة كلها يصح أن تقوم على غير الدين ، باعتبار الدين أمراً شخصياً فردياً ، لا علاقة له بالحياة .

• أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ : إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْئًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَسِّبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢١﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا تُحْزِنْ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ قُلْ إِنَّمَا هَدَنِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاقِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٤﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ .

- إن الدعوة إلى الليبرالية في بلاد المسلمين تهدف إلى قضايا كثيرة من أهمها :
- أولاً : تحجيم دور الدين في حياة المسلمين ، وحصره في دور العبادة ، وجعله علاقة باردة وشخصية بين الإنسان وربه .
- ثانياً : إلغاء دور الدين ، باعتباره سلطة تحكم الناس وتؤدي بهم ، فلا يبقى للدين قوّة في واقع الحياة .
- ثالثاً : بث مفهوم الحرية المطلقة في المجتمع ؛ بحيث يقول ويسلك من شاء ما شاء ، دون قيد أو شرط أو ملامة ، فينطلق يتنادى بمعتقدات باطلة ، أو يسلك في المجتمع سلوكاً شاذًا ، أو ربما تطاول بالنيل من مقدسات المسلمين .
- رابعاً : عدم الرجوع إلى العلماء لفهم الدين ، فهذا في تصورهم مسلك كهنوتى ، وإنما الدين - في نظرهم - يفسّره كل إنسان حسب فهمه وتصوره ورأيه .
- خامساً : رفض خصوصية الأمة الإسلامية ، باعتبار ذلك عنصرية وانعزالية عن المجتمع الدولي .

- أيها الإخوة : إن هذه الفئة البغيضة التي تعيش بيننا ، وتكلم بأسنتنا ، وتلبس لباسنا ، وتزعم أنها تدين بديننا : تحتاج منا أولاً إلى وعظ وإرشاد ، وبيان ما هي عليه من خطر وفساد .
- وتحتاج أيضاً من المجتمع إلى الوعي بخاطرهم ، ونبذ آرائهم ، وهجرهم في الله تعالى ، لا سيما المعاندين منهم ، من يأبى الكف عن الباطل ، ويرفض الرجوع إلى الحق .
- ثم تحتاج بعد ذلك إلى عصا السلطان وسيفه ، لمن يُجاهر بالفساد ، ويعلن الضلال ، ويتطاول بالباطل ، حين لا يستحيي من الله ، ولا يستحيي من الناس .
- اللهم اهد ضال المسلمين ، اللهم ردّهم إلى دينك ردّاً جيلاً ، اللهم اكشف عوار المفسدين الفاسدين ، وردّ كيدهم في نحرهم ، واحفظ بلادنا وبلاط المسلمين من شرورهم يا رب العالمين .



سابعاً : التربية الجهادية

- ١- نصوص في التربية الجهادية
- ٢- في ظلال الهجرة النبوية
- ٣- الإمام الكبير علي بن أبي طالب
- ٤- مأساة غزة المتكررة
- ٥- الطريق إلى غزة
- ٦- دروس من حروب غزة

١- نصوص في التربية الجهادية

- لم يكن الجهاد قد أذن فيه بمكة في بداية الدعوة الإسلامية ، وإنما هي الدعوة بالحكمة ، والجدال والتي هي أحسن ، والصبر على الأذى والتضييق ، حتى يأتي الله من عنده بالفرج والمخرج .
- حتى إذا وصلت الدعوة الإسلامية في مكة إلى طريق مسدود ، حين أغلقت المنافذ ، وأوصدت الأبواب ، وضاقت السبل : أذن الله تعالى بالهجرة إلى المدينة المنورة ، لبداية عهد جديد .
- عهد الجهاد والاستشهاد ، عهد الرباط في سبيل الله ، عهد الجهاد بالأموال والأنفس في سبيل الله تعالى .
- أَذِنْ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُواٰ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ .
- كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شُرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ .
- آنفُرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .
- يَتَأْيِهَا الَّذِينَ إِمَّا مُؤْمِنُوا إِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ .
- وَأَعِدُّوا لَهُم مَا مَّا أَسْتَطَعْتُم مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّكُمْ
- وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ
- * إِنَّ اللَّهَ أَشَرَّى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالُهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ
- * فَلَيُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلُ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ أَوْ يَغْلِبُ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا

- **إِنَّ اللَّهَ تُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّا كَانُوهُمْ بُتَّيْنٌ مَرْصُوصٌ .**
- وقال رسول الله ﷺ عن فضل الجهاد : « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض » .
- وقال ﷺ : « أفضل الناس مؤمنٌ يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله » .
- وقال أيضاً ﷺ : « يأتي على الناس زمان يكون خير الناس فيه منزلةً رجلٍ آخذ بعنان فرسه في سبيل الله » .
- وقال أيضاً ﷺ : « ذِرْوَةُ سَنَامِ الْإِسْلَامِ الْجَهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَا يَنَالُهُ إِلَّا أَفْضَلُهُمْ » .
- وقال ﷺ : « من قاتل في سبيل الله فَوَاق ناقة - أي قدر حلب ناقة - حرم الله وجهه على النار » .
- وقال ﷺ : « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » .
- وقال ﷺ : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات مرابطاً جرى عليه عمله وأُجرى عليه رزقه وأمين الفتان » ؛ يعني فتنة القبر .
- وقال ﷺ : « لغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها » .
- وقال ﷺ عن الجراح والآلام في سبيل الله : « ما من مكلوم يُكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيمة وكلمه يَدْمِي ، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك » .
- وقال ﷺ : « إن لكل أمة سياحة ، وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ، وإن لكل أمّة رهابية ، ورهابية أمتي الرباط في تحور العدو » .
- وقال أيضاً ﷺ : « إن الجنة تحت ظلال السيفوف » .

- وقال ﷺ في المتخاذلين عن الجهاد : « من مات ولم يغُز ، ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق » .
- وقال ﷺ : « من لم يغز أو يجهز غازياً ، أو يختلف غازياً في أهله بخır : أصابه الله بقارعة قبل يوم القيمة » .
- وقال أيضاً ﷺ : « من لقي الله بغير أثر من جهاد : لقى الله وفيه ظلمة » ؛ أي نقص .
- وقال ﷺ : « أيكم خلفَ الخارجَ في أهله وما له بخır : كان له مثلُ نصف أجر الخارج » .
- أيها الإخوة : هذه النصوص الكثيرة ، من الكتاب العزيز ، ومن السنة المطهرة : واضحة المعاني ، وواضحة الدلالة ، بأن الجهاد في سبيل الله جزءٌ أصيلٌ من ديننا العظيم ، لا يُلغيه قانونُ تصدره حُكْمَة ، أو تشريع يضعه برلمان ، أو فتوى يُفتي بها عالم .
- فالجهاد في سبيل الله جزءٌ لا يتجزأ من دين الإسلام ، أيدَّته النصوص الشرعية الحكمة ، وبُيئته الكتب العلمية الشارحة ، وتحدث عنه السلف والخلف ، موضِّحين وشارحين ، بما لا مزيد عليه .
- وسوف يبقى الجهاد في سبيل الله تعالى سنةً ماضيةً إلى قيام الساعة ، تستنشق الأمة من خلاله كرامتها ، وتتنفس عن طريقه عزّتها ، وتردُّ به الباغين عن حياضها ، وتشعر المربصين بهيبيتها ، وترتفع الأمة بالجهاد منازلٍ عاليةً رفيعةً في الدنيا والآخرة .
- فيتَحَذَّرُ الله تعالى بفضلِه من هذه الأمة شهداءً ليُكَرَّمُوهُم بمحبته ، ويُبَقَّى بمحكمته البالغة آخرين ليرفعهم في الدنيا ؛ فالشهيد عند ربه كريم ، والباقي في الدنيا عزيز .

- وهكذا المجاهدون في سبيل الله ، في كل عصر ومصر ، بين شهيد كريم ، وبين منتصر عزيز .
 - وسوف يبقى الجهاد دائمًا وأبدًا : كرامةً وعزَّةً لأمة الإسلام ، وذلًاً و هواناً لأهل البغي والفساد .
 - وسوف يبقى سيفاً مسلطاً في وجوه الكافرين والمنافقين ، ورحاً مشهوراً في نحور الظالمين والمعتدين ، كلما أرادوا إذلال الأمة ، أو إهانتها ، أو انتقاصها : أشهر المسلمين رمح الجهاد في نحورهم ، وأظهروا سيف الردع في وجوههم .
 - إن الجهاد - أيها الإخوة - هو تعبير الأمة عن غضبها لله تعالى ، حين تُنتهكُ الحرمات ، وتُستذلُّ الكرامات ، حين يتعدى الأعداء حدودهم ، فيتسلطون ويتجبرون ويفسدون ، فعندما يكون الجهاد والاستشهاد في سبيل الله أسمى ما يرجوه المؤمن ، وأعلى ما يطلب .
 - فإذا لم تغضب الأمة حين : تُحتلُّ وتحاصرُ وتُذلُّ وتُجوَّعُ وتُقصَفُ ، فمتى تراها تغضب وتنتصر ؟
- =====

- يقول الرسول ﷺ : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » .
- فالمسلم الذي يجاهد بنفسه فهذا بأعلى المراتب وأجلّها ، وليس شيء أغلى على الإنسان من نفسه التي بين جنبيه ، كما يصنع المسلمون الصامدون في هذه الأيام في بلاد الشام : في سوريا وفلسطين .
- وال المسلم الذي يجاهد بماله في سبيل الله فهو مجاهد ، إلا أنه دون الأول ، وليس شيء أعز من المال على الإنسان بعد نفسه ، وما زالت الأمة الإسلامية بخير في كل عصر ، تجاهد بالمال ، تتبرع به لوجه الله تعالى ، تدعم مجاهداً ، و تعالج جريحاً ، وترعى شريداً ، وتفكرُ أسيراً .

- وأما المرتبة الثالثة فهي للمجاهدين بأسفهم ؛ فيشتراك فيه الداعون المبتهلون إلى الله ، والإعلاميون الصادقون المخلصون ، والمتكلمون بالحق ، المنادون بالعدل .
- فما زالت الكلمة الصادقة المنطقية ، والعبارة الصريحة المكتوبة ، والصورة المعبرة المقولة ، ما زالت تعمل عملها في إيقاظ الأمة ، وتوجيه اهتماماتها ، وترشيد اتجاهاتها .
- وأما القاعدون عن الجهاد بأنفسهم ، والمتقاعسون عن الجهاد بأموالهم ، والمخذلون بأقوالهم وأقلامهم : فهو لاء بأقبح المنازل ، فإما ساكتٌ عن الحق آثم ، أو متكلِّم بالباطل مجرم ، أو متآمر مظاهر للمعتدين منافق .
- اللهم تولْ أمننا ، واحفظ أمننا ، واخذل عدوَّنا ، اللهم أنزل نصرك على من نصروا دينك ، وأيدوا شريعتك ، وحروا حماك ، واخذل من خذل دينك ، وأعرض عن شريعتك ، ورفض هداك ، يا رب العالمين .



٢- في ظلال الهجرة النبوية

- تعاودنا ذكرى الهجرة النبوية الشريفة في كل عام ، تُطل علينا من فوقنا ، وتهتف بنا لنرتقي إلى مقامها السامي بين نجوم السماء ، في مقام عالٍ شريف ، لا يصلح للغافلين ولا المتخاذلين ، من ركن إلى الدنيا ، ورضي بمحطامها ، وأعرض عن الآخرة ونعمتها .
- إن الهجرة بما تحمله من معاني العزة والإباء ، والتضحية والفاء : تبث في الأمة روحًا جديداً ، وتحيي فيها نفسها وثابة مشرقة ، ترفعها عن الدنایا وسفاسف الأخلاق ، وترقى بها إلى مدارج العارفين ، من عرف الحقيقة فالترمها ، وأيقن بال المصير المحتوم فسلك سبيل الهدى ، وكابد معاناة الطريق بنفس راضية مطمئنة ، لا تلتفت إلى الوراء ، ولا تتطلع إلا إلى السماء ، قد تنجذب فيها الإيمان بالقضاء والقدر ، فلا يكون في كونه - ﷺ - إلا ما أراد ، فمن هذا الذي ينماز الع رب في سلطانه ، ومن هذا الذي يشاركه في إرادته ؟
- لقد أراد الله تعالى للهجرة النبوية الحمدية أن تنبع رغم كل الصعاب والعوائق ، ليس ذلك من أجل أن يتحقق الله تعالى مراده في نجاة نبيه من القتل فحسب ، ولكن لما هو أبعد من هذا وأوسع ، إنها الرحمة التي أراد الله أن تعم الخلق ، وتسوّع الناس أجمعين ، إنها الرحمة الكبيرة التي خبأها الله للعالمين ، وأرادها أن تتحقق على يد سيد المرسلين ﷺ ، إنها الرحمة التي شملت الوجود بأكمله ، ولفت العالم بأسره .
- إن الغاية العظمى من الهجرة وهدفها الأسمى هي الرحمة ، التي تحققت بانطلاق الرسالة الحمدية الخاتمة من الضيق المحلي إلى الأفق الأرحب ، من الأهل والعشيرة إلى كلّ أسود وأبيض وأحمر من الناس ، فلم تعد الدعوة بعد الهجرة المباركة محلّية الاتجاه ، أو محدودة الأمل ، فقد انطلق بها صاحب الرسالة ﷺ

نحو العالم أجمع ، ليشملهم جميعاً بالرحمة الربانية ، ويحوطهم بالرعاية الإلهية :
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ .

- إن الهجرة ثورةٌ على هزائم النفس وشهواتها ، وغضبةٌ للدين الحق ، وارتفاعٌ بالذات عن أصلها الطيني القاصر ، وحدودها الوطنية الهاشة : لتحلق بروحها في ساحةٍ أوسع ، وفضاءٍ أرحب لا حدود له .
- كما أن الهجرة - أيها الإخوة - ثورةٌ على الواقع المهزيل ، والمجتمع الظالم ، الذي يُضيقُ أفق الحرية على الناس ، حتى يمنعهم من قول : لا إله إلا الله ، فليس للحر مكان في مجتمع الظلم والطغيان ، حين ينزل به من عالياته ، ويحيط به من مقامه ، ليردّه على أعقابه ، ويعيده مرّة أخرى إلى سجنه ، بعد أن ذاق حلاوة الإيمان ، وبرد اليقين برسالة سيد المرسلين ﷺ .
- إن الهجرة في حقيقتها إعلان عامٌ مدوٌّ لتحرير الإنسان من رق العبودية لغير الله تعالى إلى العبودية الخالصة له سبحانه ، فلا أصنام ولا أنداد ولا أرباب ، فالكل بعد الهجرة لا يعود أن يكون عبداً لله تعالى ، حتى صاحب الرسالة ﷺ ، السيد العظيم ، صاحب الحوض والشفاعة والمقام المحمود ، فهو سيد العباد ، قد تَمَّ العبودية الحقة في أجمل وأبهى صورها .
- لقد آذنت الهجرة بقيام المجتمع الرباني في دار الهجرة : المدينة المنورة ، لتكون منطلق الدعوة الإسلامية نحو أطراف الجزيرة العربية ، ومن ثمَّ نحو العالم بأسره ، فحمل الدعوة رجال خُلُص ، حملوا همَّ لهذا الدين ، يسابقون الزمان ، ويتخطون المكان ليصلوا بالهدى إلى الحائرين في العالم البائس ، ينقذونهم - بإذن الله تعالى - من الظلمات إلى النور ، وينحرجونهم - بفضل الله تعالى - من جور الأنظمة والأديان إلى عدل الإسلام ورحمته .
- أيها الإخوة : إن التضحية أصل أصيل في مفهوم الهجرة ، فليست الهجرة مجردة

سفر أو رحلة أو انتقال ، بل هي معاناة ومشقة وآلام ، يقدمها المهاجر في سبيل الله تعالى ، يبتغي بذلك رضا الله ورسوله ؟ فقد انسلح المهاجرون من كل أملائهم : الدور والنقود والمتاع ، حتى إن أحدهم يصل إلى المدينة مجرداً من كل شيء ، وأعجب من هذا أن يمنع المهاجر من أهله وولده ، فلا ينجو إلا بنفسه .

• إن الحب الصادق لله ورسوله كان ولا يزال زاد المهاجر في مسيره ، يستمد منه قوة يواجه بها العقبات ، وينتفع بها من الصعب ، فهذا بلال رض تحت سياط العذاب ينادي : « أحد أحد » ، وهذا خبيب بن عدي رض يفضل الموت مصلوباً ولا يرضى أن يُشاك رسول الله صل بشوكه وهو في أهله .

• أيها الإخوة : لقد أعقب الهجرة طور جديد ، انتقلت به الدعوة الإسلامية إلى مرحلة المجتمع المسلم والدولة الإسلامية ، فكان المسجد قلب المجتمع النابض ، هو أول الإنجازات النبوية في المدينة ، وكانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار رابطة المجتمع الاقتصادية والأخلاقية ، وكانت بنود المعاهدة مع يهود المدينة أساس الدولة السياسي ، فأصبح المسلمون بعد الهجرة أمةً واحدة ، ذات كيان واعتبار ، فأخذ الوحي المبارك يتتابع بالتشريعات والأحكام التفصيلية على مجتمع العبودية ، يُشرع العبادات ، وينظم العلاقات ، ويضبط السلوك ، حتى غدا المجتمع الجديد نموذجاً رائعاً ، ودولة فريدة ، تحرر فيها الضعفاء ، وتحجّم فيها الأقوياء ، حتى النساء والعبيد والأطفال ، قد وجد كلّ منهم مكاناً له في قلب المجتمع ، فلا فضل لأحد على أحد ، كلّ قد عرف واجباته فالالتزام بها ، وعرف حقوقه فأخذ بها .

• ولم تكن قبائل الجزيرة العربية بمنأى عن أخبار الدولة الإسلامية الوليدة ، وما يجري فيها من مسالك أخلاقية حميدة ، ومعانٍ روحية فريدة ، وانتصارات حربية عديدة ، حتى فشا في الناس خبرُها ، فأخذوا بشوق يتطلّعون إلى نهاية

صراعها مع قريش ، فما هي إلا بضع سنوات معدودة بعد الهجرة حتى فُتحت مكة ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، واستقر رأي الحائرين والمترددرين ، واطمأنوا للدين الجديد ، فما لبث الناس بعد هذا الفتح أكثر من عشر سنوات حتى تربع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رض على أكبر دولة في العالم دون منازع .

• إنه الإنجاز الحضاري الأكبر والأعظم الذي تحقق بالهجرة النبوية ، فما كان للجماعة المستضعفة أن تتحقق هذا الإنجاز الكبير لو لا قرارُ الهجرة ، وللمتأمل أن ينظر : ماذا لو لم تنجح الهجرة ، أو أن صاحب الرسالة - صلوات الله عليه - قُتل بالفعل ، وتحقق للمشركين هدفهم القبيح ، مما حجم الخسارة الإنسانية ، والبؤس البشري بفقد الرسالة المحمدية وضياعها ؟

=====

• لقد انطلق المسلمون بعد الهجرة يؤسسون لدولتهم الفتية ، على نور من الوحي المبارك ، ورعاية من الرسول الكريم صلوات الله عليه ، يقعّدون القواعد ، ويضعون الأسس ، ويبنون المؤسسات لدولة الإيان والحضارة والتقدم ، دولة الحرية والعدل والمساواة ، كل ذلك في وسط عربي جاهلي ، ضمن جزيرة العرب ، التي لم تعرف النور منذ قرونٍ متزاولة ، إنما هم شرذم من الناس والقبائل ، قد أنهكتهم العصبيات ، وأهلكهم التناحر ، يعيشون على دين ساداتهم من الأغنياء والوجهاء ، حتى إذا أشرق عليهم نور الإسلام بعد الهجرة : صحا الناس من رقدتهم ، واستيقظوا من غفلتهم ، وعلموا أنهم ما خلقوا هملاً ، ولا وُجدوا عبثاً ، فأخذوا الدين بقوة ، علمًا وعملاً ، عقيدة وسلوكاً ، فكان ذلك الجيل الفريد من الصحابة النجباء ، الذين نزعوا عن أنفسهم ثوب الشرك ، ورداء الجاهلية ، ولبسوا مكانهما ثوب العز ، ورداء الكرامة بدين الإسلام ، فازدهرت بهم الدنيا ، وأشرقت بهم المعمورة ، ثم

تعاقبت بعد ذلك أجيال ، يرثون هذا الخير عن أسلافهم ، حتى جئنا نحن في
أعقارب الزمان لنحمل تركة هذا الدين بأيدي ضعيفة هزيلة ملوثة ، لم ترق بعد
لمستوى هذا الدين ، في علاته كرامته وشموخه : فإذا بنا نتعثر في خطانا ،
وتنمايل في مسirنا ، ونتعطل في طريقنا ، فما عدنا نعرف الاتجاه الصحيح ،
ولا نميز النهج القوي : أفكار مغلوطة ، وأخلاق مرذولة ، وواقع حضاري
متخلف ، وكأننا عدنا من حيث بدأنا ، فهل ترقى الأمة في ذكرى الهجرة
لمستوى الهجرة ومعاناتها وتضحياتها ، تستلهم منها زاداً للمسير ، ونوراً
للطريق ، على خطى محمد سيد المرسلين ؟



٣- الإمام الكبير علي بن أبي طالب

- قبلبعثة عشر سنين ولد بمكة طفل لأبي طالب ، فلما أراد الله كرامته وحفظه ، ورفة شأنه : أخذه رسول الله ﷺ ليريه ، ويختفف عن عمه - المقل بالعيال - مؤنة رعايته ، وتكليف نفقته .
- فنشأ هذا الطفل السعيد في حجر سيد الخلق رسول الله ﷺ ، فنهل من بحر خلقه ، وعظيم سجاياه ، وكريم معشره : ما أهله للقيادة والريادة والمكانة .
- حتى إذا بلغ الصبي العاشرة من عمره ، وبلغ مرحلة عمرية يميز فيها ما ينفعه مما يضره ، حينها بعث رسول الله ﷺ برسالة الإسلام العظيمة ، وانفتح له باب الوحي المبارك ، فتلقي عن ربه علوم الدين الجديد ، ومعالم الهدى وال بصيرة .
- وكان رسول الله ﷺ - في أول الأمر - يكتم خبر بعثته عن الناس ، ولا يحذث بالوحي إلا من يثق به ، ويطمع في إسلامه ، ولا يشك في قبوله للحق ، فحدث بذلك خديجة وأبا بكر رضي الله عنهما .
- وأما خبر إسلام هذا الغلام النجيب ، فكان حين دخل يوماً على رسول الله ﷺ وزوجه خديجة - رضي الله عنهما - وهم يصليان سراً ، فتعجب الغلام من صنيعهما ، وسأل عن ذلك .
- وعندها عرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام ، وقربه إلى ذهن الصبي الملام ، فأسلم من ساعته ، وما تردد طرفة عين ، وهو لا يزال في العاشرة من عمره ، وكتم خبر إسلامه ، وحفظ أسرار الدعوة الجديدة عن الناس ، حتى عن أبيه أبي طالب .
- إنه السيد الكبير ، والإمام العظيم ، والبطل الشجاع : أبو الحسن علي بن أبي طالب

طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي .

- كان - ﷺ - أول من أسلم من الصبيان ، فارتبط بالدعوة الإسلامية من أول أمرها ، ومع بواكيز بزوجها ، فهو بذلك من كبار رجالها ، ومن رؤوس قادتها ، بل هو ركن من أركانها .
- كما ارتبط - ﷺ - بشخص رسول الله ﷺ من صباه ، فرافق رسول الله ﷺ حتى توفي ، فلم يفارقه في سفر ولا حضر ؛ إلا أن يعيشه رسول ﷺ لحاجة يقضيها ، أو سفر ينجزه .
- فقد أرسله إلى اليمن ليقضي بين الناس ، وهو بعد لم يعرف القضاء ، فدعا له رسول الله ﷺ بالثبات والحكمة والمعرفة ، فما شكَّ بعد ذلك في قضاء قضاه .
- ولما عزم رسول الله ﷺ على غزوة تبوك : وlah المدينة ، ليكون والياً عليها ، حتى يرجع رسول الله ﷺ من سفره ، وقال له : « أنت مفي بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنك لستنبي ». • وفي غير هذين الموقفين لم يفارق عليٌّ - ﷺ - رسول الله ﷺ ، حتى إنه كانت له معه ساعة في السحر ، يدخل فيها على رسول الله ﷺ يتحدث معه .
- وكان بيته ملصقاً ببيوت النبي ﷺ ، ولم يكن له طريق يخرج منها إلا عبر المسجد ، فأذن له النبي ﷺ أن يمر بالمسجد حتى وإن كان جنباً .
- ولما كانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار : اتخذه رسول الله ﷺ لنفسه أخي دون سائر الصحابة - رضي الله عنهم - وقال له : « أنت أخي في الدنيا والآخرة ». • وقال رسول الله ﷺ في شأنه : « إن علياً مبني وأنا منه ، وولي كل مؤمن بعدي ». • وقال أيضاً : « من كنت مولاه فعلي مولاه ». • وقال : « من أحب علياً فقد أحبني ، ومن أحبني فقد أحب الله ، ومن أغض

علياً فقد أبغضني ، ومن أبغضني فقد أغضب الله » .

- وجعل رسول الله ﷺ حبّ عليٍّ معياراً للتفريق بين الإيمان والنفاق فقال : « لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يُبغضك إلا منافق » .
- دعاه رسول الله ﷺ مرةً مع زوجته فاطمة وأولادهما : الحسن والحسين ﷺ جمعاً ، ووضع عليهم رداءه وقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي » .
- كان عليٌّ - ﷺ - فارساً شجاعاً ، ينذرُ مثيله بين الفرسان ، بل هو على الحقيقة بطل من أبطال الإسلام الكبار ، لا يخاف الموت ولا الملائكة ، ولا يهاب أحداً من المقاتلين أياً كان .
- فقد أسقط صنماً من فوق الكعبة وهو صغير مع رسول الله ﷺ ، وبات على فراشه ليلة الهجرة ، والقوم قد أحاطوا بالبيت ، يُحدقون به ليقتلوه .
- أخرجه رسول الله ﷺ للمبارزة يوم بدر ، فلم يُمهل خصمه حتى قتلها ، وبرز يوم الخندق لعمرو بن ود ، الفارس الجاهلي المعروف بأسه الشديد ، فبارزه وانتصر عليه ، وأرداه قتيلاً .
- ولما تأخر فتح خيبر ، قال الرسول ﷺ : « لأدفعنَّ الرأبة غالباً إلى رجل يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله عليه » ، فطلع الناس واستشرفوا لهذا المقام العظيم ، فإذا به لعلي بن أبي طالب دون غيره ، فدفع رسول الله ﷺ الرأبة إليه ، ففتح الله عليه ، وكان النصر على يديه .
- وقد خصَّ الله تعالى بقتل المارقين من الخوارج ، حين خرجوا في أول أمرهم ، يسفكون الدم الحرام ، ويسعون في الأرض بالفساد ، فقاتلتهم وأبادهم ، وكفى المسلمين شرورَهم .
- وقد بشّرَه رسول الله ﷺ بذلك فقال : « إن منكم رجلاً يقاتل الناس على

تأويل القرآن - يعني على فهمه - كما قاتلتُ على تنزيله ، قال أبو بكر : أنا ؟
قال : لا ، قال عمر : أنا ؟ قال : لا ، ولكن خاصل النعل » ، يريد علياً .

- كما قاتل أيضاً - ﷺ - الغلاة ، الذين غلو في شخصه الكريم ، فقالوا في حقه من التأليه والتعظيم ما تقدّس له أبدان المؤمنين ، حتى زعموا أنه الإله ، وعندها جمعهم ، ثم حرّقهم بالنار .
- وهكذا يقف علي - ﷺ - في وجه الضلالات والفتنة ، يرد الباطل ، ويقمع البدعة ، ويظهر الحق ، لا يخاف في الله لومة لائم .
- ولما زعم بعض الغلاة المبطلين : أن عند علي - ﷺ - كتاباً آخر غير القرآن : وقف - ﷺ - في وجوههم ، وكذب دعواهم وقال : « من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة : فقد كذب » ؛ وهي صحيفة فيها بعض أحكام الزكاة ، وأشياء متعلقة بالدييات .
- ولما زعم بعضهم أن علياً أفضل من أبي بكر وعمر - ﷺ - قال عندها : « من زعم أنني أفضل من أبي بكر وعمر : جلدته حد المفترى » .
- أيها الإخوة : لقد هلك في شخص علي - ﷺ - فتتان من الناس ؛ فئة غلت في شخصه الكريم ، ورفعت مقامه إلى ما فوق المرسلين ، بل إلى الألوهية .
- وفئة أخرى أبغضته بغضناً شديداً ، حتى نسبته إلى الكفر والضلالة ، وأباحت دمه ، بل وتمكنت من قتله ، وكان موقفه - ﷺ - من الفتنة الضاللتين واضحًا لا يخفى .
- وهكذا العظماء الكبار يتوه في شأنهم سفهاء الناس ، ويصلون في فهم مقاماتهم ، فلا يعطونهم قدرهم الحقيقي ، إما يرفع منازلهم فوق مكانتهم ، وإما يحطّها دون أقدارهم ، ويبيّن أهل الحق وسطاً بين الغلاة المبطلين ، وبين المارقين الجاحدين .

• أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ : يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمَانُوا آتَقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحَ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا .

=====

- أيها الإخوة : لقد جمع علي - ﷺ - فضائل كثيرة ، وانفرد بخصائص متعددة ، إلا أنه مع ذلك لا يتقدم بخطوة واحدة على الشيفيين الكبيرين الجليلين : أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ؛ فقد أجمع أهل السنة والجماعة على تقديمهم على الجميع ، وإنما وقع الخلاف في شأن عثمان بن عفان - ﷺ - وال الصحيح الراجح أنه مقدمًّا أيضًا على علي ؛ فهم في الفضل حسب ترتيبهم في الخلافة .
- مما بال أناس قد عميت أبصارهم ، وأظلمت عقولهم ، وقسّت قلوبهم : يشرون الشغب في مسائل قد انتهت ، ويلوكون في فتن قد انجلت ، وبيان فيها الحق ، واستقر فيها الرأي .
- ليس لهم هم إلا إثارة الفتنة النائمة ، ونبش القبور على أصحابها ، والمناداة بدعوى الجاهلية بعد أن أكرمنا الله بالإسلام .
- اللهم من أراد أن يفسد علينا ديننا فأشغله بنفسه ، ورد كيده في نحره ، واجعله عبرة لغيره ، اللهم آمين يا رب العالمين .



٤- مأساة غزة المتكررة

- لقد جرت سنة الله بدوام الصراع بين الحق والباطل ، بين الخير والشر ، بين الطيب والخبيث ، بين المهدى والضلال ، صراع دائم لا متهى له إلا قيام الساعة ، وانقضاء الحياة الدنيا .
- وما زالت البشرية منذ أول الدهر تعيش هذا الصراع الطويل بين أهل الحق من الأنبياء والأولياء والصالحين ، وبين أهل الباطل من الفجار والكفار والطواحيت ، وما زالت الأيام دولاً ، وال الحرب سجالاً ، يوم للحق ويوم للباطل ، والله تعالى يفعل ما يشاء بعباده ، فيعزُّ أقواماً ، ويذلُّ آخرين .
- *قُلِّ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْمِنُ الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزَعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِّزُ
مَنْ تَشَاءُ وَتُذْلِلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْحَيْثُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* .
- ولقد حفل القرآن الكريم باستعراض تاريخ الصراع الطويل والعنف بين الحق والباطل ، بين قوى الخير وقوى الشر ، مؤكداً أن العاقبة للمتقين : ... فَاصْبِرْ
إِنَّ الْعِيْقَبَةَ لِلْمُتَّقِينَ .
- *وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الْرِّوْبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَرَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الْصَّالِحُونَ
إِنَّ فِي هَذَا لَبَّانًا لِّقَوْمٍ عَبِيدِينَ* .
- فكل صراع مهما طال أمده أو قصر فإن العاقبة فيه لأهل الإيمان ، طالما أنهم على الحق ، آخذين دينهم بقوة وصدق ، عقيدة وسلوكاً ، علمًا وعملاً .
- أيها الإخوة : وتضي أيام المعركة على الأرض المقدسة ، صراع عقود من الزمان ، بين الفئة المؤمنة المستضعفة ، وبين الفئة الكافرة المستكبرة ومن وراءها من جحافل الكفر والعناد .
- إن معايير التكافؤ بين الفئتين معروفة ، حين تقف الفئة المؤمنة مجردة عن كلٍّ

أسباب القوة والمنعنة ، لتواجه العالم بأسره ، بين عدو ظاهر وآخر مستتر ؛
فتواجه عدواً يقاتل بشراسة وحقد وبغض ، وتواجه أمماً متآمرة ماكرة ، وبين
هؤلاء وهؤلاء أقوام مغلوبون صامتون ساكتون بلا حراك .

- أيها الإخوة : لقد صمدت غزة سنواتٍ من حصار خانق قاتل ،وها هي الآن
تواجه حرباً جديدة مدمرة مهلكة ، لا ثبقي ولا تذر ، تستهدف الناس في
دورهم ومنازلهم .
- وتقف الأمة الإسلامية أمام هذه المأساة الكبرى المتكررة عاجزة عن أن تصنع
شيئاً يغير في مجرى الأحداث ، أو ينفع من المأساة ، أو يحدُّ منها .
- لقد انقسم المسلمون أمام هذه الكارثة المتكررة : بين منافق شامت ، وبين
صاحب مصلحة ساكت ، وبين متالم ومحترق عاجز .
- ويفي أهلُّ غزةَ وحدهم منفردين بمحجوم المعاناة الأكبر ، يواجهون عدواً غاشماً
ظالماً ، يفتاك بهم ، يقتل ويذمر ويعربد .
- لقد أثبتت هذه الحروب المتكررة على غزة : أنه لم يعد عند القادة العرب
وال المسلمين شيءٌ يقدمونه للقضية الفلسطينية ، إلا أن يكون كلاماً بلا معنى ،
أو تصريحاً بلا مضمون ولا حقيقة .
- كما أثبتت هذه الحروب الظالمة أن المقاومة الصادقة مهما كانت ضعيفة
تستطيع - بإذن الله تعالى - أن تصنع شيئاً ذا بال ، يزعج العدو ، وينالُ منه ،
ولو بالقليل المؤلم الذي يدفعه إلى الرضا بالهدنة .
- كما أثبتت أن العدو الداخلي المنافق أشدُّ ضرراً وأدىَ على المؤمنين من العدو
الخارجي المقاتل .
- كما أثبتت هذه الحروب المتعاقبة تهافتَ العدو الصهيوني وحقارته وذله ،
حين أعلن حرباً غير متكافئة مع مجموعة محدودة محاصرة من الناس .

- كما أثبتت هذه الحروب حجم المؤامرة الدولية على القضية الفلسطينية ، ومدى المكر والدهاء والخسنة ، التي يتصف بها المجتمع الدولي المتحضر ، وسعيه الحثيث في إسكات الأصوات الشريفة الحرة المناضلة .
- كما أثبتت أن الحكومات المعاصرة - في الغالب - لا تمثل شعوبها ولا تعبر عنهم ، فالشعوب في وادٍ ، والحكومات في وادٍ آخر .
- أيها الإخوة : لقد اعتاد المسلمون - عبر تجارب سابقة طويلة - أن النصر يخرج من رحم المزية ، وأن الفرج مع الشدة ، وأن مع العسر يسراً .
- إن المسلم لا ييأس من رحمة الله ونصره وتأييده ولطفه ، فهو اللطيف بعباده ، الرحيم بأوليائه ، ولكن لا بد من التمحيقن : *مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الظَّيْبِ ...*
- لقد مضت سنة الله تعالى في عباده المؤمنين بزلزلتهم وابتلاعهم واختبارهم حتى يخلص الصف ، وتسليم المقاصد ، وتحسن النيات .
- ولهذا لا بد من الشهداء والجرحات والآلام ، ثم يكون بعد ذلك الفتح والنصر والتمكين بإذن الله تعالى .
- فماذا تعني الحياة للمسلم المجاهد ، وماذا يُراد منها ؟ فإذاً أن يعيش عزيزاً كريماً ، أو أن يموت محتسباً شهيداً .
- إن الموت في حسّ المسلم المجاهد هو النصر الحقيقي ، حين يموت محتسباً ثابتاً على مبادئه ومعتقداته .
- إن الموت - في عقيدة المؤمن - ليس هو نهاية المطاف ، وإنما هو البداية السعيدة ، والعيشة الرضية للشهداء في سبيل الله ، حين يلقون ربهم عزيلاً وهو عنهم راضٍ .

- ما أسعد الشهيد حين يُبَشِّرُ بالجنة والرضوان ، فيتمنى على ربه العودة إلى الدنيا مرة أخرى ليُقتل في سبيل الله تعالى .
 - وَلَا تَحْسَنَ الَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاهُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَّقُونَ ﴿٣﴾ فَرِحِينٌ بِمَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبِّشُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْرُنُونَ ﴿٤﴾ * يَسْتَبِّشُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُخْبِيغُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ .
 - إن المحن - مهما اشتدت - فإنها مليئة بالمنح ، فكم من شدة أعقبها فرج ، وكم من أزمة أعقبها رخاء ، فلا يأس ولا قنوط مع رب كريم رحيم .
 - اللهم فرج عن إخواننا في فلسطين وفي عموم بلاد الشام وفي بورما ، اللهم أعقب ضيقهم فرجاً ، وذلم نصراً ، وألمهم سعادة يا رب العالمين .
- =====
- أيها الإخوة : إن مأساة غزة واحدة من سلسلة المآسي الدامية ، التي تكبّدها الفلسطينيون ، وما زالوا يتكبّدونها منذ سبعين عاماً من المعاناة والأحزان .
 - إن اليهود ينطلقون في هذا العالم الهزيل نحو تحقيق أهدافهم الشيطانية ، فيحطّمون كلّ من يقف في طريقهم ، أو يعطّل خططاتهم الإجرامية .
 - إنهم ينطلقون في غيّهم وإجرامهم ، مندفعين بحزمـة من العقائد والمفاهيم الباطلة الفاسدة ، التي طفت بها كتبـهم المحرقة .
 - فعلـى الرغم من التقدم الحضاري الظاهر الذي يحيـاه اليهود في فلسطين ، فإنـ جـمـعاً من العـقـائـدـ الخـرافـيـةـ الـبـاطـلـةـ ، لا تزالـ تـسيـطـرـ عـلـىـ أـذـهـانـهـمـ وـعـقـولـهـمـ ، فـتـمـدـهـمـ بـالـطـاقـةـ وـالـحـيـوـيـةـ .
 - فـتـرـاهـمـ يـنـطـلـقـونـ مـسـعـورـيـنـ نـحـوـ تـحـقـيقـهـاـ وـالـوصـولـ إـلـيـهـاـ ، إـلـاـ أـنـهـمـ -ـ مـعـ كـلـ

ذلك - لن يتعدوا حداً قدره الله لهم ، ولن يتجاوزوا قضاءً قضاه الله لهم .

- في حين يتخاذل المسلمون فيأخذ وعود الله تعالى الصادقة بجد وصدق وعزيمة ، فتراهم متباطئين متددلين ، والله تعالى يقول : ... وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ أَمْنَوْا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا آسَتْخَلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمُ الَّذِي أَرَتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا
- اللهم مكن لأوليائك المؤمنين في فلسطين وفي عموم الشام ، اللهم ثبت أقدامهم ، وسدد رميهم ، واجمع كلمتهم ، وانصرهم على عدوكم وعدوهم يا رب العالمين .



٥- الطريق إلى غزة

- كل يوم تُصبح ثم تُمسي ، ونحي ثم نصبح ، ولا شيء جديد في حياتنا ، تتقلب بين أيامنا وليلينا في أحزان لا تكاد تقطع ، وهموم لا تكاد تنجلب ، مصائب تلاحت ، ونكبات تتتابع ، كلما أبصرنا بصيصاً من نور الخلاص : أعقبه ظلام بهيم لا يبشر بخير ، ولا ينبئ بفرج : ... ظلمت بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لمرىكة يرثها ... ، حتى دخلنا اليأس ، وغشيانا القنوط ، من شروق صباح جديد ، نستنشق منه عبر الحق ، ونشتم منه نسائم النصر ، في عصر تداعت فيه الأمم على المستضعفين ، وتنادت فيه الشعوب على المساكين ، يتذرون اللقمة من أفواههم ، ويحرمونهم الشربة من أرضهم ، حصار فوق الأرض ، وحصار تحت الأرض ، جدران من البارود والفولاذ ، وأكواة من الحديد والنيران ، أين تراهم يذهبون من قصف النهار ، وخوف الليل ؛ فالسماء تطر لها ، والأرض تتفجر حمماً ، ولا مغيث ولا معين إلا الله ، الذي يعلم ظلم الأقربين ، ويعلم بطش الكافرين ، ولا يخفى عليه كيد المنافقين .
- لقد انبرى للحصار الظالم : أفراداً أحرازاً شرفاء ، من أنحاء العالم البائس التعيس ، يدفعون بأنفسهم عن المحاصرين ، ويدركون العالم بالجائعين ، وينبهون المسلمين الغافلين ، قد تركوا وراءهم في بلدانهم أهلاً وأقارب ، وأولاداً و المعارف ، ثم جاءوا هنا إلى ديارنا ؛ ليعلمنا واجباتنا الشرعية ، ويدرسونا مبادئ الإخاء الإسلامية ، ويدربونا على معاني الإيثار الأخلاقية ، لا يجمعهم دين ولا عرق ، ولا يضمهم وطن ولا أرض ، وإنما يجمعهم نسب الإنسانية ، وشرف العدل والحرية .
- لقد خرجوا من بلدانهم بهجتهم يضعونها على سفن الموت ، وحملوا أرواحهم

على مراكب الهاك ، يخوضون بأنفسهم بحر الظلام ، لا يخافون من أهوال ما أمامهم ، بل يُقدِّمون عليها مقبلين ، بصدور مشروحة ، ونفوس مطمئنة ، وكأنما يُزفُون في أعراسهم مبتهجين ، لا يتربدون ولا يختلفون ولا يتنازعون ، قد جمعُهم المقصُدُ السامي ، ووحدُهم الهدفُ النبيل ، إنهم يريدون غزوة العزيزة ، مدينةَ الأشرف ، وقلعةَ الأبطال ، يحدوهم في ذلك أملٌ كسر الحصار الظالم ، وغسلِ العار الشنيع ، الذي أحاط بالعالم المعاصر ، في ظل سيطرة الصهابية والمتصهينين .

- حتى إذا توسيَّت مواكب الحرية البحر ، فخاضت الماء في أمان ، وانفردت عن العالم أجمع ، فكانت قاب قوسين من غايتها : خرج عليها قراصنة الأرض المحتلة ، ذئابٌ في أشكال البشر ، يُحيطون بالشرفاء من كل مكان ، من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، يقذفونهم بالنار والغاز ، وصواعق الكهرباء ، يقتلون ويجرحون ، ويقطشون ويأسرون ، فتعطل الركب الكريم في عرض البحر ، لا يتقدم ولا يتاخر ، قد ضاقت به السبل ، وانقطع به المسير ، وسيق الشرفاء إلى حرب ضروس ما أعدوا لها إلا نفساً أية ، وهمماً عالية قوية ، لا تهاب الموت ، ولا تخاف الإرهاب .
- وانبرى شرفاء السفن الجريحية - الرجال والنساء - يدافعون عن أنفسهم ، ويرددون على الرصاص القاتل ، والغاز الحارق : بعلب الحليب ، وأكياس الدقيق ، وكراتين الدواء ، يختيمون بها وشم العار على الوجه اليهودية الكالحة ، لتبقى علامةً على خزيهم إلى آخر الزمان ، ولعنةً تلاحقهم إلى آخر الدهر .
- ويفي العالم كُله يتبع مأساة هؤلاء الأحرار ، ويري ويسمع صنيع الفجار بالأغيار ، و فعل الخنازير بالأغيار ، لا يقدم ولا يؤخر ، كُلُّهم يخشى بطش اليهود وصواتهم ، إلا قليلاً من شرفاء العالم ، من بقي معه شيءٍ من الإباء والكرامة الإنسانية ، فأخذوا بصدق ينددون بال مجررة ، ويرفعون أصواتهم المبحورة في وجه الصهابية وأعوانهم ، عازمين بقوة على تكرار التجربة المأساوية من جديد ، بعزم أقوى ،

وروح أصلب ، ويقين آكد ، لبلوغ الهدف ، وكسر الحصار ، لا يبالون بما قد يُصيّبهم من الأذى ، في سبيل إحقاق الحق ، ودفع الظلم .

- وأما نحن العرب والمسلمون فخارج اللُّعبة الدوليَّة ، نحيَا على هامش الحياة السياسيَّة ، يقضي في شأننا غيرُنا ، ويحكم فينا عدونا ، أعداد بلا معنى ، وأرقام بلا حقيقة ، غثاء كغثاء السيل ، يعلو ويطيش ، ثم لا تجد بعد ذلك شيئاً .
- أيها الإخوة : ملِيارٌ ونصفُ المليار من المسلمين ما استطاعوا أن يصنعوا شيئاً ذا بالٍ لِإخوانهم المحاصرين في غزة ، تخاذلوا عن النصرة الشرعية الواجبة ، وتقاعسوا عن الفريضة الجهادية المحكمة ، قعدوا فأقعدهم الله في ذيل الركب ، وتأخروا فأخرهم الله عند المؤخرة ، يعاينون أدبار الناس ، ويعالجون فضلاتهم .
- ثم تأتي عجوز نصرانية شمطاء ، من بطن ألمانيا ، ومن عمق برلين ، لتدخل التاريخ دوننا ، تركب غمار البحر ، نحو المصير المجهول ، تنادي بقضيتنا نيابة عنا ، وتصيح في عدونا بدلاً منا ، وتقديم نحرها دون نحورنا ، تتعرض للموت في كل لحظة ، ونحن قابعون في قعر بيوتنا ، فواسوأاته ، أي عار لحقنا ، وأي خزي أحاط بنا ؟ لقد وجد هؤلاء الشرفاء شيئاً يفعلونه من أجلنا ، في حين لم نجد نحن شيئاً نفعله لأنفسنا .
- لقد أذهبوا بمبادرتهم الكريمة ، وفدائهم واستبسالهم وإصرارهم ما تبقى من ماء وجوهنا ، حتى خجلَّ منا الخجل ، واستحينا منا الحياة ، حتى لم يعد لنا شيء نستره سوأتنا .
- لقد صَفَّعْنا اليهود الصهاينةُ على وجوهنا وأدبارنا ، حتى ما عاد الناس يميزون لنا وجهاً ولا دبراً ، قد استوى كل ذلك عندنا ، وأخذ شرفاء العالم المتحضر يتساءلون : هل العرب بصمتهم هذا : حكماء أم عملاء ؟

- لقد كشفت هذه المأساة البحريّة للعُميان ، ولمن بآذانهم صمم : أن الإرادة الصادقة أقوى وأمضى من كل سلاح ، فهي وسيلة المستضعفين ، وعدة المظلومين ، ووقود المحروميين نحو الخلاص والحرية ، وأن الأمة الإسلامية ليس لها عون بعد الله تعالى إلا إرادتها الصادقة ، وعزّمها الأكيد .
- كما كشفت لنا هذه المأساة : أن المد الإسلامي ضاربٌ أطابه في عمق الأمة ، يخبو تارة ، ويصحو تارة أخرى ، وهو المد الإسلامي القوي يأتي من تركيا ، من دولة الخلافة الإسلامية العريقة ، تذكّر بنفسها التّوّاقة ، وتعرف بتاريخها الجيد ، بعد عقود طويلة من الركود والضعف والإبعاد .
- وأما الدولة العبرية البغيضة ، فإنها بعد هذه المأساة لم يبق لها شيء من قبائحها تستره عن العالم ، فإنها ترصد عدّها التنازلي ، لزوال كيائها الشاذ اللئيم .
- أيها الإخوة : إن التاريخ لا يرحم أحداً ، ومسيرته سوف تطال الجميع ، فهو ذاكرة مفتوحة ، ترصد وتسجل ، ولن يبقى شيء من الأحداث والمواقف المعاصرة في طي الكتمان ، بل كل ذلك سوف يظهر للعيان ، فهنئاً للشرفاء الصادقين ، وويلٌ للأدعياء الكاذبين .
- ولئن كان صمودُ هؤلاء الأشraf على سفن الحرية عجباً من العجب ، فإنَّ أغربَ منه وأغربَ : صمودُ أهل غزة بعد الحرب والمحاصرة ، قد حُرموا كلَّ شيء ، وما زالوا صامدين صابرين ، وأعداؤهم ماضين متعرّفين ، ونحن قاعدون متخاذلون ، فما أَعْجَبَ المفارقات ، والنبي ﷺ يحذّرنا ويقول : « ما من امرئٍ يخذلُ مسلماً في موطنٍ يُنتَقَصُ فيه من عرضه ، وتنتهك فيه حرمة : إلا خذله الله في موطنٍ يحب فيه نصرته . . . » .



٦- دروس من حروب غزة

- لقد مضت المعركة على الأرض المقدسة عنيفة قوية شرسة ، بين حزب الرحمن المستضعفين ، وحزب الشيطان المستكبرين .
- ويبدو في الأفق القريب بشائر فجر جديد ، وأمل واعد ، بعد صمود أيام دموية ، في حرب غير متكافئة .
- من كان يظن أن المقاومة الباسلة تصمد حتى الآن في حروب متكررة ، رغم شراسة المعارك ، وتفاوت القوى ، وعمق المؤامرة .
- لقد أيقنا - أيها الإخوة - أن النصر من عند الله تعالى وحده يؤتيه من يشاء ، وليس هو لآلية عسكرية متفوقة ، ولا لدولة نووية عظمى : ... وَمَا الْأَنْصَارُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ .
- لقد أثبتت هذه الحروب المتعاقبة على غزة : أن أمّة الإسلام أمّة قوية في ذاتها ، مهما بدت في الظاهر مستضعفه ذليلة ، وأهل غزة عينةٌ من هذه الأمّة الإسلاميّة العظيمة .
- لقد علمنا أهل غزة الترجمة الحقيقية لمعاني : الصمود ، والثبات ، والفداء ، في وقت نحن أحوج ما نكون فيه لتجديد هذه المعاني في نفوسنا المنهكة بالهزائم ، والمفعمة بالتردد والتراجع .
- لقد تعلمنا المعنى الحقيقي للرضا بالقضاء والقدر ، فما وجدنا من أهل غزة إلا إعلان الحمد لله تعالى ، والثناء عليه سبحانه بما هو أهله .
- لقد ضرب لنا أهل غزة المثل الأعلى في حجم التلاحم بين الحكومة والشعب ، في صور نادرة ، قد نسيناها منذ عقود .
- والعجيب أن غالباً أهل غزة لم ينحازوا في أثناء العدوان المتكرر إلى الدول

المجاورة ، ولم يحاولوا الخروج إلى الأمان ، بل إن بعضهم كان يتحايل ليدخل غزة تحت القصف .

- إنها الأعجوبة - أيها الإخوة - في أغرب صورها ، في عصر غالب عليه الخذلان والتلاعن والقعود .
- لقد صنعت غزة للأمة الإسلامية فجراً جديداً من الأمل ، تحسي بـه موات أرواحنا ، وخلل عقولنا ، وضعف أجسادنا .
- وسوف يبقى هذا الصمود العجيب تاريخاً مجيداً تغنى به الأمة لأجيال قادمة ، تفخر بما فيه وما في إنجازاته .
- ولن ينسى التاريخ للمتخاذلين والمتأمرين موقفهم المخزية ، فعما قليل يصبحون محطة اللعنة والتقبير والتشهير .
- لقد عودنا التاريخ أن الإنسان لا يُشكّر على تنازله ومهانته وتأمره ، وإنما يُشكّر ويُحمد على ثباته على مبادئه ، وقيامه بواجب أمته .
- أيها الإخوة : لقد كشفت لنا هذه الحروب المتلاحقة حقيقة اليهود ، فهم بكل آنفهم العسكرية لا يعدون إلا فقاعة إعلامية .
- لقد أرهبنا علماء اليهود ، وخوّفونا من آنفهم العسكرية ، حتى جعلوا من الدولة الصهيونية غولاً يُرهبون به المسلمين .
- حتى إذا تصدت لهم المقاومة المؤمنة بربها ، الثابتة على مبادئها ، القائمة بواجباتها : انكشف عوار اليهود ، وظهر ضعفهم أمام المقاومة .
- فإذا كانت المقاومة بكل ضعفها تستطيع أن تصمد للدولة العبرية البغيضة ، وتقف في وجهها الكالح ، بل وتثال منها في عمقها ؛ فتقتل وتدمّر ؛ أفلا تصمد لها الدول العربية والإسلامية ؟

- إن مصيّبتنا ليست في العدد أو العدة ، وإنما مصيّبتنا في الوهن والخوف والرعب ، الذي دبَّ في قلوبنا من عدونا ، حتى عاد في حسْنَا كأنه مارد كبير ، أو بعْجُ يُخوِّفُ به الصبيان .
- أيها الإخوة : لا مزايدة على المقاومة الفلسطينية ، فقد اتخذت قرارها ، وعزّمت أمرها ، وخطّط طريقها للمضي في المعركة الخامسة مع الكيان الصهيوني ، فلما النصر وإنما الشهادة .
- وإنما العيب كلَّ العيب في المتّخاذلين المتّرد़ين المترجّلين ، الذين لم يحزموا أمرهم ، ولم يتّخذوا قرارهم ، ولم يعرفوا طريقهم ، فوقفوا خندولين بين المقاومة والمفاوضة .
- إن هذا الكيان اليهودي البغيض الشاذ ، لا مكان له بين البلاد الإسلامية والعربية ، لولا المؤامرة الدولية الماكنة ، والخيانة العربية الساقطة .
- كما أن بقاء هذا الكيان الحقير واستمراره مرهونٌ أيضًا باستمرار المؤامرات والخيانات الدولية والمحليَّة ، التي يتعاضد فيها الكافرون والمنافقون ؛ فمنذ عقود مضت والكيان الصهيوني البغيض يحيط نفسه بأنظمة عربية عميلة خائنة ، تحمي حدوده ، وتحفظ كيانه من بطش الشعوب الإسلامية الغاضبة .
- فلو قدر أن فتحت الحدود ، وخلَّيَ بين الشعوب الإسلامية واليهود : لما بقي لهذا الكيان باقية ، ولا قامت له قائمة ، ولكنها الخيانة والعمالة ، التي حالت - منذ عقود - بين الأمة الإسلامية و مباشره جهاد اليهود .
- أيها الإخوة : إن ما ينبغي أن يعرف أن المقاومة الفلسطينية الباسلة : تجاهد الكيان الصهيوني ، وتقاوم ملئه نيابة عن المسلمين ، فهم طلائع الأمة ، وخطوطُها الأمامية .
- إنهم يصطلون - نيابة عن الأمة - بنار اليهود المحرقة ، وقنابلهم المدمرة ،

فيكابدون الآلام ، ويعاينون الجراح ، فيموت من يموت من الرجال والنساء والأطفال ، وتهدم البيوت على رؤوس أصحابها .

- ولو قدر - لا سمح الله - أن خارت قوى المقاومة ، واستسلم الفلسطينيون : فإن المحرقة اليهودية سوف تطال من بعدهم من الشعوب الإسلامية .
- ولكن السؤال الذي يطرح نفسه : هل يستطيع غيرهم من أهل الدول المجاورة ، والبلاد المتاخمة : أن يصمد صمودهم ، وأن يصبر صبرهم ؟
- إن المقاوم الفلسطيني لم يولد من رحم الذل والاستسلام والصغار ، وإنما ولد من رحم المأساة والآلام والجرحات ، حتى أصبحت المأساة جزءاً من كيانه النفسي ، فلم يعد يهاب الموت .
- لقد خرج المقاوم الفلسطيني من حلق حفظ وتعلم القرآن ، ومدرسة الصيام ، وبيوت الله ، خرج يلي نداء الله تعالى بالجهاد والاستشهاد في سبيله .
- إن الأمة والتاريخ يشهدان على أن أهل غزة - حتى هذه اللحظة - قد قاموا بما أوجبه الله تعالى عليهم من الجهاد والدفاع والدفاع .
- كما أن الشهادة قائمة على باقي الأمة الإسلامية في تخاذلها وتقاعسها عن القيام بواجب الجهاد والدفاع والنصرة .
- أما يستحيي العرب من امرأة تدافع عن عرضها بأناملها ، وطفل يدافع عن بيته بحجر ؟ لقد وجد هؤلاء المساكين شيئاً يفعلونه في وجه العدون ، وعجز العرب مجتمعين أن يفعلوا شيئاً ذا بال .
- ألا يجد أصحاب الرتب والنياشين شيئاً يفعلونه في وجه اليهود الكالح ، يدفعون به عن كيان الأمة ؟ من تراهم يعدون هذه الجيوش والأسلحة ؟
- إن المسلم المعاصر ليتعجب : كيف يقف الجندي العربي المسلم على حدود

غرة ، يرى ويسمع طحن إخوانه بالألة اليهودية الفتاكه ، ثم هو بعد ذلك ثابت في مكانه بلا حراك ، كيف استطاع أن يكتب نار قلبه المتوقدة ، ويلجم شهامته العربية بلجام الذل والصغار ؟

لقد أسمعت لو ناديت حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي

•

=====

- يتحدث بعض الناس عن أسباب إشعال هذه الحروب ، متناسين أن الدولة اليهودية دولة عدوان وظلم ، لا تحتاج إلى ذرائع لإشعال الحروب ، وإنما أشعل عشرات المجازر في السبعين عاماً الماضية ؟
- إن الطبيعة الدموية جزءٌ أصيل في الثقافة اليهودية ، لا ينفكون عنها ، فلا بد من البطش والدماء والجرحات ، حتى تستقر نفوسُهم المريضة ، فهم أعداء كل مؤمن أبي ، يفخر بدينه ، ويعتز بانتماه للإسلام ، فهذا عدو لليهود أينما كان .
- إن واجبنا الإسلامي هو دعم إخواننا في مواجهة العدو الغاشم بكل وسيلة ممكنة ، تدفع عنهم بطش الكافرين ، وتحتفظ من آلامهم وأحزانهم .
- ولا يقنن في نفس أحدنا حين تبرع بشيء من المال ، أو تقدم الله بشيء من الدعاء أنه قد قام بما عليه ، فالواجب أكبر ، والمسؤولية أعظم ، ولكن هذا جهد المقل ، والله غفور رحيم .
- اللهم انصر إخواننا في الأرض المقدسة ، اللهم أيدهم بتأييدهك ، وأعزهم بدينك ، ولا تؤاخذنا بتقصيرنا يا أرحم الراحمين .



ثامناً : التربية الاقتصادية

- ١- الأزمة الاقتصادية العالمية
- ٢- إنسان العصر البائس
- ٣- تكاليف النهضة
- ٤- لعنة الخازير
- ٥- كارثة السيول هـ ١٤٣٠

١- الأزمة الاقتصادية العالمية

- كلما عمر أحدنا في هذا العصر ازداد قناعة ويقيناً بضلالة الحضارة الغربية وفسادها ، وقرب أفواها وزواها .
- لقد صبَّ الغرب آذاناً منْذ عقود مضت ، إلى أشهر قرية ، وهم يتحدثون عن أرباحهم وعائداتهم ، من الفوائد البنكية والربوية ، يُغرون بذلك الناس ، ويفتنونهم عن مبادئهم وتراثهم .
- لقد ملأوا الدنيا من حولنا ضجيجاً بالأرقام الفلكية ، مما يجذونه من العائدات الربوية ، فيتحدثون عن تريليونات من الدولارات .
- حتى إنهم من شدة ضجيجهم الإعلامي فتتوا كثيراً من أبناء قومنا ، ليستثمروا في بلاد الكفار ، ضمن تعاملات وإجراءات محمرة ، حتى أضعفوا ثقتنا في مبادئ اقتصادنا ، وأوقعوا الخلل في أنفسنا تجاه تراثنا الإسلامي .
- حتى وصل الحال بعض أبنائنا أن قال : « الاستثمار في الغرب أفضل وأمن » ، فلم يراع خصوصياتنا الإسلامية ، وأحكامنا الشرعية ، التي ألزمتنا الله تعالى بها .
- حتى إذا فرح الربويون بإنجازاتهم ، ورکنوا إلى عملائهم ، ورضوا بالحرام : جاءهم المحقق الرباني ، من حيث أمنوا ورکنوا ، جاءهم وعد الله الذي لا يتخلف عن المفسدين .
- جاءهم ما لم يكن في حسبانهم : يَمْحَقُ اللَّهُ أَرْبَوْا ... ، لقد ظنوا أن الله لا يحق الربا في هذا العصر ، فخابوا وخسروا .
- لقد حللت اللعنة الإلهية ، على دهاقنة الاقتصاد من : الربويين ، والكذابين ، والمخدعين ، والمحكرين ، من أكلوا أموال الناس بالباطل .
- فإذا بالأرقام الفلكية من الأرباح التي صكُوا بها آذاناً دهراً من الزمان ، إذا

بها فقاعةً كبيرةً ، وأكذوبةً حقيقةً ، ما لبثت أن تلاشت واصححت ، وظهر المكنون ، وبانت الحقيقة .

- وإذا بتصوّر الاقتصاد الكبّرى من البنوك المركزية ، ومؤسسات المال والتأمين : تهـاوى واحـدةً بعد الأخرـى ، في أـسابيع قـليلـة .
- وإذا بـكبار طـغـاة السـيـاسـة والـاـقـضـاد ، من مجرـمـي هـذـا العـصـر : يـتـحـولـون إـلـى مـتـسـولـين ، يـتـكـفـفـون النـاسـ في هـذـا الـعـالـم لـحلـ أـزمـتـهـم الـاـقـضـاديـةـ الخـانـقةـ ، وـالـخـروـجـ مـنـ مـأـزـقـهـمـ الـمـالـيـ العـوـيـصـ .
- وـهـاـ هـمـ يـتـدـاعـونـ مـنـ كـلـ جـانـبـ لـوـضـعـ نـظـامـ اـقـضـاديـ جـديـدـ ، لـعـلـهـ يـحـمـيـ حـضـارـتـهـمـ مـنـ الـانـهـيـارـ وـالـزـوـالـ .
- وـهـاـ هيـ شـعـوبـ الـغـربـ ، تـفـيقـ بـعـدـ سـبـاتـ طـوـيلـ ، عـلـىـ حـقـائـقـ أـزمـاتـهـاـ ، وـجـرـائـمـ قـادـاتـهـاـ ، فـتـشـورـ عـلـىـ أـنـظـمـتـهـاـ الـاـقـضـاديـةـ ، وـتـنـقـدـهـاـ بـعـنـفـ ، وـتـحـتلـ الشـوـارـعـ الرـئـيـسـةـ لـأـسـوـاقـ الـمـالـ .
- وـهـاـ هـمـ يـصـيـحـونـ فـيـ الشـوـارـعـ بـالـجـشـعـينـ ، وـكـبـارـ الـمـرـايـيـنـ وـالـمـخـتـكـرـيـنـ ، مـنـ مـصـاصـيـ الدـمـاءـ الـبـشـرـيـةـ ، الـذـيـنـ مـاـ زـالـواـ يـسـحقـونـ بـجـشـعـهـمـ الشـعـوبـ الـغـافـلـةـ وـالـمـسـطـبـعـةـ ؟ فـيـأـكـلـونـ خـيـرـاتـهـاـ ، وـيـسـتـغـلـونـ طـاقـاتـهـاـ .
- وـلـنـعـلـمـ - أـيـهـاـ الإـخـوـةـ - أـنـ الغـربـ الـيـوـمـ - بـعـدـ هـذـاـ الـزـلـزـالـ الـاـقـضـاديـ الـخـطـيرـ - هـمـ أـكـثـرـ عـنـفـاـ وـوـحـشـيـةـ مـنـ ذـيـ قـبـلـ ؟ لـحـفـظـ إـنجـازـاتـهـمـ الـحـضـارـيـةـ ، وـحـمـاـيـةـ صـرـوـحـهـمـ الـاـقـضـاديـةـ ، مـنـ الـانـهـيـارـ وـالـزـوـالـ .
- وـبـنـاءـ عـلـىـ ذـلـكـ فـإـنـهـمـ لـنـ يـتـرـعـواـ - فـيـ ظـرـفـهـمـ هـذـاـ - عـنـ اـسـتـنـزـافـ غـيـرـهـمـ مـنـ الشـعـوبـ الـمـسـطـبـعـةـ - بـالـتـرـغـيـبـ أوـ التـرـهـبـ ، بـالـخـدـاعـ أوـ العنـفـ - لـيـحـفـظـوـاـ نـظـامـهـمـ الـرـأسـالـيـ الـمـتـهـالـكـ ، مـنـ السـقـوـطـ وـالـذـوبـانـ .

- إنهم لن يمتنعوا في ظرف كهذا ، ولن يتورعوا عن نهب مزيد من ثروات الآخرين ، لا سيما من دول العالم الثالث ، حتى يسدوا حاجاتهم ونفقاتهم ؛ ليُقْوِي إنسان الغرب في رفاهيته المعهودة ، التي اعتاد عليها ، والتي يصعب عليه تركها .
- وإنه لا يبعد أن تكون الحرب المدوية ، والعاركُ المسلح : خياراً من خياراتهم في مثل هذه الأزمة الخانقة ، كما حصل في عصور مضت ؛ فقد اعتاد الأوروبيون - في زمن الأزمات الاقتصادية - أن يشعلوها حرباً عامّة ، فيتحاربوا ويتقاتلوا ، ليخرجوا من حربهم بنظام سياسي واقتصادي جديد .
- أيها الإخوة : إن من الحقائق التي لا بد أن تستقر في نفوسنا : أنه لن يجُوع أول غربي ، حتى يجُوع آخر عربي ، فهم لا يعتقدون بالندية بيننا وبينهم ؛ فحياتهم الأولى - في نظرهم - من حياتنا ، وبقاوئهم أهم من بقائنا ، وحقُّهم في الحياة الكريمة مقدمٌ على غيرهم .
- لقد كشفت هذه الأزمة للعُميَان من أبناء جلدتنا : فساد الحضارة الغربية الجاهلية وضلالها .
- وهذا هم بعضُ رجالها - في هذه الأيام - يصرحون بجرأة عن أخطائهم : الاقتصادية ، والإدارية ، والسياسية .
- فماذا يريد المفتونون من أبنائنا أكثر من هذا ، حتى يعودوا إلى دينهم وتراثهم ، ويُثْقِوا في تشريعاتهم ، ويُوقنوا : أن هدى الله هو الهدى ، وأنه من يضل الله فلا هادي له .
- لقد أكرمنا الله بنظام اقتصادي ومالي محكم ، لا ظلم ولا شطط ، يضمّن الحقوق ، وينمي المجتمع ، ويحفظ الثروة ، ويرضي الله تعالى .
- فأبى المفتونون منا إلا السير على نهج الغرب ، في أسلوبه في إدارة المال

واستثماره وتنميته ، ضمن الأساليب والأنظمة المحرمة .

- حتى إذا ترخت الرأسمالية ، وهوت في مستنقع الخسارة والخسران : سقط معها كل من سار في فلكها ، ووثق فيها ، ونهج طريقتها .
 - وها هي وسائل الإعلام تطالعنا في كل يوم عن خسارات الحكومات والمؤسسات والشركات الغربية في أوروبا وأمريكا .
 - بل حتى بعض سفهاء الصين واليابان لم ينج من هذه الأزمة حين استثمروا بالحرام في أوروبا وأمريكا ، فهلكوا مع الهالكين .
 - وصدق الله تعالى إذ يقول : ... إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ، نعم إن الله لا يصلح عمل المراين ، والمخادعين ، والمحترين .
 - لقد أنفق الأمريكان - في السنوات العشر الأخيرة - تريليونات من الدولارات لحرب الإرهاب ، أو قل إن شئت لحرب الإسلام .
 - وها هي أمواهم تقلب عليهم حسرة وخسارة على اقتصادهم ، وضيقاً في أرزاقهم ، وصدق الله إذ يقول : إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أُمُوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلِبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ تُحْشَرُونَ .
- =====

- إن ما أصاب العالم اليوم من الأزمة المالية ، إنما هي عقوبة ربانية للضالين ، ولمن سار في فلكهم ، ونهج منهجهم .
- إن وعد الله ووعيده لا يختلف عن أهله المستحقين له ، إلا أنه قد يتأخر لحكمة ربانية هو أعلم بها .
- إن دروس الأزمة كثيرة ، إلا أن من أهمها وأكدها : الثقة بديننا وبنظامنا الاقتصادي الرباني الحكيم ، الذي أثبت جدواه في كل عصر ، حتى سمعنا - في

هذه الأيام - من يمدح نظام الاقتصاد الإسلامي من رجال الاقتصاد الغربي .

- لقد علمنا هذه الأزمة أن الاستثمار في الداخل - بكل ما فيه من عقبات - هو أفضل وأحسن وأسلم من الاستثمار في الخارج .
- لقد وصلنا إلى درجة اليقين في هذه الأزمة : أن الربا والبيوع المحرمة هي جُرثومة الاقتصاد القاتلة ، التي لا ينفع معها إصلاح ولا ترقيع .
- لقد علمنا الأزمة ضرورة أن نتوجه باستثماراتنا نحو بعضاً ، فيقوم بين المسلمين السوق الإسلامية المشتركة ، التي طال انتظارها ، فكل مقومات السوق عندنا : الخبرة ، والثروة ، والأيدي العاملة ، والمواد الخام ، والقدرة الشرائية ، ولكن تنقصنا - للأسف - العزيمة الصادقة ، والنية الخالصة ، ومن ثم العمل الجاد ، الذي به يتحقق بإذن الله المطلوب ، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .



٢- إنسان العصر البائس

- في خضم أحداث الحياة المتلاحقة ، ومشاغلها التجددية ، وظروفها القاسية ، التي لا تسمح للإنسان بالتفكير والتأمل ، في نفسه ولا في الأحداث من حوله : يعيش إنسان العصر حالة من التيه الفكري ، والذهول العقلي ، حتى انتهى إلى حالة من الشلل النفسي ، والضمور الذهني ، والعطل الإرادي ، الذي يصعب معه الفهم السليم ، ويعجز معه النظر الصحيح ، وتخزّن معه العزيمة الراسخة .
 - وهذا كثيراً ما يغفل الإنسان ويجهله ، وهو يعاين المواقف الكبيرة ، ويشاهد الأحداث الجسيمة ، ومع ذلك لا يتتبّع لما يجري من حوله ، ولا يتيقظ لما يدور أمامه ، قد تبلد ذهنه عن الاستيعاب ، وتخزّن فهمه عن الإدراك .
 - لقد تحول إنسان العصر إلى كومة من ركام الآلام والأحزان والبؤس ، فقد اجتمعت عليه قوى الشر العالمية لتفسده ، وتخرب عقله ، وتشوش فهمه ، حتى لا يفهم من الحياة والأحداث إلا وفق مرادها وأهدافها .
 - كما اجتمعت عليه أيضاً قوى البطش والاستبداد لتعوق تقدمه ، وتحطم طموحاته ، وتخجّل آماله ، حتى تحول الإنسان العربي الشريف إلى قمام ، يجمع فتات الموائد من المزابل ، ليسد جوع نفسه ، وحاجة أهله وأولاده .
 - لقد غدا الإنسان المعاصر قطعة لحم تحرّك بين أكوام اللحم المتثاثلة ، التي تغدو وتتروح في تيه الحياة المعاصرة ، ودروبها المقفرة المظلمة ، قد أضناه كرب الحاجة ، وأرهقه ذل السؤال .
 - قد خطّت رسوم البؤس وجوههم ، وحطّت أثقال الهموم أبدانهم ، كروب متلاحقة ، وأحزان متراكمة ، حتى عادوا كتلاً من هموم متحجرة .
 - لقد تحول إنسان العصر إلى ثرس يدور ضمن طاحونة الحياة القاسية ، التي لا

توقف في انطلاقتها ، ولا تهدا في مسيرها ، تبطش بالضعفاء والمساكين ، وئذل الشرفاء والمحترمين ، فلا ترحم شيئاً فانياً ، ولا تلين لطفل يتيم ، ولا ترق لأرملة عجوز ، ولا تراعي شاباً عاطلاً .

- لقد أخذتهم طاحونة الحياة بأجمعهم ، لتدكّهم بين أضراسها دكاً ، وتسحقهم بين ترسوها سحقاً ، لتخرجهم من بين براثنها حطاماً بلا حراك ، ورفاتاً بلا حياة .
- لقد خرجت لنا حياة البطش والاستبداد ، والظلم والطغيان ، أناساً بائسين يائسين ، تعساء قاطنين ، يحيون كالأشباح بلا وزن ولا ثقل ، فيعيش أحدهم دهره كاملاً ، يجري بدبأ في دروب الحياة يجمع قوت عياله ، ويبني عش أهله ، حتى إذا هلك بعد عمر طويل ، وعناء شديد : لا يختلف لأولاده بعد مماته شيئاً ، قد خرج من الدنيا كما دخل فيها ، فقر بعده فقر ، وعناء بعده عناء ، ثم خاتمة إلى القبر .
- إن ضغوط الحياة المعاصرة الظالمة ، ومعاناتها القاسية ، وبطشها الشديد ، وأزماتها المتلاحقة : صنعت من إنسان العصر الحديث قبلة موقوتة ، تحمل في داخلها أسباب الدمار والهلاك والفناء .
- لقد انكمش إنسان العصر إلى داخله ، بسبب الظروف المحيطة القاسية ، حتى إذا لم يعد يجد في داخله متنفساً يلوذ به ، ولا زاوية يأوي إليها ، ولا طاقة يعتمد عليها ، قد نفت قوى التحمل للأزمات ، وضاقت مساحة الصدر عن تقبل مزيد صدمات ، عندها تنفجر النفس المكلومة ، عن طاقة حيوية جبارة ، لا تُبقي ولا تذر ، تبعث بشظاياها في كل اتجاه ، وإلى كل أحد ، فلا تميز عدواً ولا صديقاً ، ولا تعرف أهلاً ولا ولداً ، حتى النفس التي طالما حافظ عليها ، وسعى في طلب راحتها وسعادتها : تصبح عند اليائس البائس بلا معنى يستحق من أجله البقاء ، فترخص النفس ، وتضمحل الذات ، فلا يبقى إلا الموت العاجل بلا انتظار ، ولا تردد ، ولا خوف .

- وهكذا - أيها الإخوة - تتحول الذات البائسة إلى طاقة عارمة ، وقوة متفجرة ، لا تلتفت إلى أحد ، ولا تلوى على أمر ، تحطم كل شيء ، فإذا اجتمعت إلى هذه النفس البائسة نفوسٌ بائسة أخرى ، تعيش الآلام والأحزان والظروف نفسها : فلا تسأل هيئتها عن دمار المجتمع ، وفقدان الأمن ، وضياع الحقوق ، وانتشار الفوضى .
- إن الشوران الشعبي شيء عارم ، وشر مستطير ، لا يقوم له شيء ، إلا أن يشاء الله ، فهم قوة ماضية ، وتيار عنيف ، وسيل جارف ، لا تصح المزايدة عليه ، ولا يجوز التلاعب به ؛ فإن للناس طاقة تنفذ ، وله حد يتنهون إليه ، فلا بد من احترام الشعوب ، في دينها ، وأخلاقها ، وأرزاقها ، وحرياتها .
- أيها الإخوة : إنه ليحزن النفس ، ويؤلم الضمير : أن تصيق السبيل بال المسلمين ، وتعلق الطرق دونهم ، فلا يجدون أسلوباً يعبرون من خلاله عن آرائهم ، ولا طريقاً يصلون منه إلى حاجاتهم ، إلا من خلال تحطيم الذات ، وإزهاق النفس .
- إن الإنسان العاقل لا يقدم على ذاته فيحطمتها ، إلا حين تغلق نفسه ، تحت وطأة ضغط شديد ، وثورة نفسية عارمة ، لا تجد لها متنفساً إلا الذات ، فتعود على نفسها بالتحطيم والإزهاق .
- إلا أن السؤال لا يتوجه إلى هؤلاء المغلقين البائسين ، الذين فقدوا معنى الحياة ، حين صاحت بهم السبل ، وتنكرت لهم الدنيا ، فعبروا عن أنفسهم بتحطيمها ، فإنما أمرهم إلى الله ، وإنما يتوجه السؤال إلى من فتك بهم ، وصيّق عليهم ، حتى طاشت عقوتهم ، وأغلقت نفوسهم ، فخرجوا عن صوابهم ، حتى تنكروا لطبائعهم البشرية ، وسلوكهم السوي .
- لقد فعل الاستبداد بهم فعله السيئ ، وعمل الطغيان فيهم عمله القبيح ، حتى ما عاد الإنسان إنساناً ، وإنما جرم متكتل من الأحزان والآلام والضغط ، يتضرر ساعة انفجاره المدوية ، التي توقفت الاستبداد والطغيان ، ولكن في غير

الوقت المناسب ، بعد فوات الأوان .

=====

- يقول الله تعالى في حق الظالمين : إِنَّمَا أَلَّسْبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أَوْ لَتِلْكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .
- ويقول رسول الله ﷺ فيهم : « اللهم من ولی من أمر أمتي شيئاً ، فشق عليهم ، فاشقق عليه ... ».
- ويقول : « ألا أخبركم بخيار أمرائكم وشرارهم ؟ خيارهم الذين تحبونهم وتحبونكم ، وتدعون لهم ويدعون لكم ، وشرار أمرائكم ، الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم ».
- ويقول : « من ولی من أمور المسلمين شيئاً ، فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم : احتجب الله عنه يوم القيمة دون خلته وحاجته وفاقتہ وفقرہ ».
- ويقول أيضاً : « لست أخاف على أمري غوغاء قتلهم ، ولا عدواً يجتاحهم ، لكنني أخاف على أمري أئمة مصلين ، إن أطاعوهم فتنوهم ، وإن عصوهم قتلواهم » ، ويقول أيضاً : « أشد الناس عذاباً إمام جائر ».
- ويقول : « ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك ، ألا أتى الله مغلولاً يده إلى عنقه ، فكه بره ، أو أوثقه إثنمه ... ».
- ويقول : « ليس والي أمة ، قلت أو كثرت ، لا يعدل فيها : إلا كبه الله على وجهه في النار ».
- اللهم ول على المسلمين خيارهم ، واكفهم شر أشرارهم ، اللهم ارفع عن المسلمين غضبك ، وأنزل عليهم رحمتك ، وتوهم بعنتيك وفضلك يا أرحم الراحمين .



٣- تكاليف النهضة

- يُجمع الناس على أن هذا العصر هو عصر السرعة ، الذي يضيى بعجلة شديدة ، لا تنتظر المتأخرین ، ولا تجامل البطيئين ، فمن فاته أن يستعجل ، ويلم شعّته ويضيى ، فقد فاته الركب ، وتجاوزه الزمان ، وغدا في عالم آخر ، من عوالم التخلف والنسيان ، والقصور والخذلان .
- إن واقع الحضارة الحديثة ، وإفرازاتها العلمية والثقافية والتكنولوجية ، وإيقاعاتها السريعة : لم تعد تحمل الانتظار أو الترثٍ ، أو التأني أو التباطؤ ، لقد مضت سريعاً تسابق الأزمان ، وتصارع الأوقات ، لتكسب الدقائق والثوانی .
- لقد أخذت الحضارة الحديثة تقتطع السنن الكونية ، التي رکبها الله تعالى في المخلوقات ، وبتها في الوجود ، تبحث عنها وتكتشفها ، تفهمها وتسخرها بما يحقق مصالحها ، ويثيري اقتصادها ، ويعزز مكانها .
- مما من متوج حضاري أياً كان ، إلا وهو مبنيٌ على سنة من سنن الكون ، التي وضعها الله للإنسان وسخرها له ، فمن أفرغ وسعه لمعرفتها ، وأحسن التعامل معها : نال ثمارها ، وجنى خيرها .
- وأما من قعدت به همته ، وقصر عن الفهم عقله ، فأهمل السنن الكونية ، والمدخرات الربانية ، وأعرض عن الأخذ بالأسباب الشرعية ، وتعلل لذلك بالعلل الباردة ، والأراء السمجة ، ورضي بالتبعية والتخلف : فلا تسأل عن حاله ، ولا تبحث عن بؤسه وهلاكه ، في عالم الغابة الدولية ، التي تستذلّ البؤساء ، وتهين الشرفاء ، وتسحق الفقراء ، فلا مكان فيها للضعفاء .
- لقد ربط الله تعالى - بحكمته البالغة - الأسباب بالأسباب ، والنتائج بالمقاديم ، وقد مضت الحكمة الشعيبة : أن من زرع في الموسم حصد ، وأن من سار على الدرب وصل ، فما بال أمتنا تخالف السنن ، وتعاند الواقع ،

وتجافي العقل والمنطق : ت يريد تقدماً بلا جهد ، وحضارة بلا تعب ، وعزّاً بلا تصحيحة ؟ فمتى تحققت هذه الثمار لأمة من الأمم ، بلا جهد ، ولا تعب ، ولا تصحيحة ؟

• وهذا تاريخ البشرية بين أيدينا : هل تقدمت أمة قط - عبر كل هذا التاريخ الطويل - بغير كفاح وجihad ؟

• هل مر على البشرية قط : أمة نهضت وانتصرت بجهد غيرها ؟

• وما بنا - أيها الإخوة - نذهب بعيداً عن تاريخنا الإسلامي ، وحضارتنا العريقة ، التي ما زلنا نتعانق بإنجازاتها ، ونتسلل بأمجادها ، ثم لنتتساءل : من تراه أهدانا لنا ؟ من تلك الأمة التي تبرّعت لنا بالتقدم الحضاري ؟ ألم تأخذ أمتنا الدنيا غلاباً ، بجهد وجihad ، وتعب وعناء ، حتى بلغت ما بلغت من القوة والتمكن والتقدم ؟

• لقد أنجزت الأمة الإسلامية مشروعها الحضاري الباهر في ثلاثين عاماً فقط ، بدأت من جبل حراء ، بقول الله تعالى : **أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي حَلَقَ** ، فما لبثت أكثر من ثلاثة عقود من الزمان ، حتى علت الأمة الإسلامية البشرية بأجمعها ، وملكت الدنيا بأكملها ، فكانت المعركة الأولى بلا منازع ، أكان لهذا الإنجاز الكبير أن يتحقق لل المسلمين بغير كفاح وعناء ؟ إن السنن الاجتماعية ترفض ذلك ، وتستهجن هذا النوع من التفكير السخيف .

• أيها الإخوة : هذه سيرة رسول الله ﷺ معروفةٌ لدينا ، لا يجهلها أحد منا ، فكم حجم المعاناة والمجاهدات والتضحيات ، التي قدمها رسول الله ﷺ للنهوض بالأمة ؟ فلو قدر لآحد أن يسلم من معاناة الحياة ، ويعافي من مشقات الطريق : لكان هو حبيب الله ، وصفوه من خلقه مهداً ﷺ ، ومع ذلك لم تستثنه سنن الله ، ولم تحابه ، فقد ناله النصيب الأوفر ، والحجم الأكبر من

معاناة الطريق ، وقسوة الحياة ، منذ أن خرجت نسمته المباركة إلى الحياة حتى قبض ، يتقل في كل أطوار حياته من معاناة إلى معاناة ، فقد لحقه - رَحْمَةُ اللَّهِ - من الكروب والمشقات والألام ، في نفسه ، وأهله ، وولده ، وأصحابه : ما لو نزل بغierre هلك ، ومع ذلك رضي وصابر ، وتعامل مع السنن الاجتماعية كما يجب .

• فما بنا نتعاول عن الحقائق التاريخية والواقعية ، ونهمل السنن الإلهية ، التي أجرى الله عليها الكون ؟ ثم تتطلع بعد ذلك إلى معجزة تنقلنا إلى التقدم ، أو خارقة تأتي بنا إلى الأمام ، في عصر التنافس الدولي المحموم ، والصراع السياسي البغيض !!

• إن أمتنا الإسلامية في هذا العصر ، ترقد على كنوز طبيعية عظيمة ، وكنوز أخرى بشرية وفيرة ، قد جمعت كلًّاً أسباب التقدم والرقي ؛ فلا تنقصها أموال تموينية ، ولا خامات أولية ، ولا عقول ذكية ، وإنما تنقصها الإرادة الوطنية الصادقة ، تحملها القيادة المجتمعية المخلصة ، التي تتطلع إلى الأمام ، وتستشرف المستقبل ، بروح وثابة ونفسٍ أية ، لا ترضى لأمتها الذل والهوان ، وتأبى لها التعasse والشقاء ، قد نفخت أيديها من الشرق والغرب ، و indemت وجهها نحو السماء ، بقلوب مؤمنة ، وأيدٍ متوضئة ، تتمسّك بجبل الله المتن ، وتعمل بالتزيل المبين .

• أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : **الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَمُوا الْصَّلَاةَ وَإَتَوْا الْزَكْرَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عِبْدٌ أَمْوَرٌ** .

=====

• إن من بيننا ، من أبناء جلدتنا ، شرذمة باغية عاتية ، خائنة مناقفة ، لا تريد لأنمتنا الخروج من دوامة التخلف والتبعية ، ولا ترجو لها التقدم ولا الحرية ،

تسعد بخربابنا ، وتتأكل بدمائنا ، قد وضعت يدها مع كل متربص ماكر شيطان ،
وأعرضت عن كل مخلص مشق ولهان .

- لقد عمل المطلون على تفريغ أمتنا من محتواها ، بنهب ثرواتها ، ووأد طموحاتها ، وتخريب شبابها ، وتهجير عقولها ، حتى عادت أمتنا مفرغةً من كل قوة ، مستباحةً من كل طاغية جبار ، قد تعطلت مصالحها ، وفسدت أحوالها .
- أيعلم - أيها الإخوة - أن ينهض الوثنيون ، ويتقدم الملحدون ، ويتطور المشركون ، ثم تقبع خير أمة أخرجت للناس ، في قاع العصر السحيق ، في ذيل الركب البعيد ، لا تقدم ولا تؤخر ، ولا تأمر ولا تنهر ، قطعان بشرية تائهة ، ومجتمعات إنسانية بائسة .
- إن من الإجرام في حق الأمة أن تُنْهَى عن القيام بأسباب نهضتها ؛ فُيزيّن لها المطلون القعود والتخلف ، وترك أسباب النهضة ، بحجج القضاء والقدر ، وكأن قدر أهل التوحيد التخلف ، وقدر أهل الشرك التقدم .
- بل إن قدر الأمة الشرعي أن تكون متقدمة رائدة ، لا أن تكون متخلفة بائسة ، قدرها أن تنهض بواجباتها تجاه نفسها ، بالاستقامة والرقى ، وأن تضطلع بمسؤولياتها تجاه العالمين بالدعوة والبيان .
- إن تكاليف النهضة شاقة وعسيرة ، ولكنها قدر الأمة الإسلامية ، التي كلفها الله تعالى الشهادة على الناس : **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطَا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى الْأَنَاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...** ، فكيف تشهد الأمة حين تغيب عن معركتك الحياة ، وكيف لها أن تشهد وهي متخلفة ، قاعدة راكرة ؟



٤- لعنة الخنازير

- كثيراً ما نقرأ في كتاب الله تعالى الكريم ، وفي سنة رسوله العظيم ﷺ : عن ضلال الكافرين وفسادهم ، وسفاهة آرائهم ، وقبح مناهجهم وطرايئهم .
- إلا أن بعضنا مثلاً لم يكن يظن أن هذه الأوصاف القبيحة ، التي وصف الله بها الكافرين : تتطابق على كفار هذا الزمان ، من اليهود والنصارى والوثنيين ونحوهم .
- وذلك لما أنتجه كفار هذا الزمان وابتدعوه من التقدم الحضاري المادي ، الذي حقّق لبعض البشر شيئاً من الرفاهية المادية ، والراحة والاستئناس .
- والمتأمل الفطن ، المهتمي بنور الكتاب ، المستضيء بهدي السنة : يجد أن التقدم المادي المعاصر الذي أنتجه كفار هذا الزمان ، قد ترافق بصورة لازمة ومتواترة مع تراجع شديد وعنيف في القيم الأخلاقية ، والمبادئ الإنسانية ، والسلامة الشاملة .
- لقد سارت الحضارة العالمية المعاصرة ، التي قادها الغرب الكافر : في خط متوازي مع الفساد ، والضلال ، والظلم ، الذي عمّ الدنيا .
- حتى ما يكاد الناظر يجد زاوية مشرقة في الحضارة المادية المعاصرة ، إلا ويجد معها مأساتها ، وألامها ، وأحزانها ، لا تخفي على ذي بصيرة .
- حتى ما يكاد الناس يفرحون بشيء من منتجات الغرب المادية ، حتى يدخل عليهم بقدر ذلك من الحزن والأسى والألم .
- فانظروا أيها الإخوة في إنتاج الغرب المادي والفكري : هل خلص شيء منه من الفساد والضلال والاستغلال ؟
- انظروا في ميادين : السياسة والإدارة ، والاقتصاد والصناعة ، والفكر

والاجتماع ، أين الميدان الذي خلص بلا فساد ولا ضلال ؟

- لا يكاد يجد المتأمل أينما نظر ميداناً سلم من الفساد والضياع ؛ ففي كل يوم ينكشف لأهل الأ بصار مزيدٌ من حقائق الحضارة الغربية وفسادها وضياعها .
- وما تزال الأيام القادمة حبلٍ بما يؤكّد صحة ما عليه الفرقة المؤمنة الناجية ، وضلالٍ ما عليه الكافرين ومن سار في ركبهم من السفهاء والطائشين .
- لقد روج الغربيون لحضارتهم دهراً طويلاً من الزمان ، زاعمين أنهم روّاد التقدم والرقي ، وأعلام الحضارة والريادة والازدهار ، فما زالت الأيام - يوماً بعد يوم - تكشف زيفهم ، وتردُّ باطلهم .
- فهذا الميدان السياسي يعج بالصراعات الدائمة ، والحرروب الطاحنة ، والمؤامرات القذرة ، فأين مجلس الأمن ؟ وأين المواثيق الدولية ؟ وأين الحقوق الإنسانية ؟
- وهذا الميدان الاقتصادي : يسجل تراجعاً مستمراً ، وهبوطاً متواصلاً ذريعاً ، فأين خبراء الإدارة والاقتصاد ، الذين صكوا آذاناً بالأمال والوعود والأمانى ؟
- وهذا الميدان الصحي هو الآخر : يطالعنا بتردي الصحة الإنسانية العامة في عالم اليوم ، بالأوبئة الفاجعة ، والطوابع القاتلة ، والأوجاع المهلكة ، فأين المنظمات الصحية ؟ وأين الأطباء والباحثون ؟
- لقد عجز هؤلاء جميعاً أن يردوا لعنة الله ، التي كتبها الله على الكافرين : إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا .
- إنها اللعنة الإلهية القاتلة ، التي تصيب الكافر في عقله وبدنه وروحه ، فلا ينتفع بأمر ، ولا يهتدي لشيء : ... وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ .
- لقد كتب الله الذلة والصغار والهلاك ، على من خالف أمره ، وعصى رسُلَه ،

وتنكب نهجه ، الذي ارتضاه بِهِ لعباده ، وأراده لهم ديناً يتبعُّدون الله به .

- لقد استمراً الغربيون الضلال والفساد ، وتمادوا في غيّهم وطغيانهم ، يسعون في الأرض بالفساد ، فيهلكون الحرف والنسل ، ويصدون الناس عن سبيل المدى .
- فآتاهم الله بهلاكهم من حيث أمنوا ، وجاءهم بدمارهم من حيث سكنا ، فأظهر سبحانه آياته البينات ، وأخرج علاماته الواضحات في الأفاق وفي الأنفس : **سَرِّيهِمْ إِعْلَمٌ فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحُقْقُ أَوْلَمْ يَكْفِ بِرِبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ .**
- فيها هو الربا - لعنة الاقتصاد - الذي حرمه الله تعالى : ينخر اقتصادهم ، ويخرب أموالهم ، ويسوقهم في م tahات مالية ، وأزمات اقتصادية لا مخرج منها ، ولا مفر ، ويضع غالب البشر المعاصرين على خطّ الفقر والجوع .
- وها هو الزنا اللعين ، الذي حرمه الله تعالى ، يحصد ضحاياه بالأوجاع المتتجدة ، والأمراض المتنوعة ، التي لا يُعرف لها نظير في الماضي .
- وها هو الخنزير الخبيث ، الحيوان القدر ، الذي حرمه الله تعالى ، يُخرج لنا لعنة من لعاته القاتلة : **أَنْفُلُونْزَا** الخنازير .
- ليقف هذا الحيوان اللعين خلف **أَنْفُلُونْزَا** الطيور ، فتشتهم الطيور البرية - التي أباحها الله تعالى - بمناسية هذا الحيوان الخبيث ، فتشعدم عشرات الملايين منها بحق وبغير حق .
- وعندما جاء الدور لإعدام بعض الخنازير وقف شياطين الأرض يحمونها من بطش الإدارات والمنظمات الصحية .
- فتنادى تجاري لحوم الخنزير للمظاهرات والمسيرات ، دفاعاً عن حظائرهم المحبوبة ، في وجه وزارات الصحة .

- في الوقت الذي استسلم فيه تجار الدواجن لحملات الإبادة والتطهير الظالمة .
 - أيها الإخوة : ماذا يصنع الخنزير في بلاد المسلمين ، وقد حرمته الله تعالى ، وألأمة مجتمع على ذلك ، تحريماً قاطعاً ماضياً إلى يوم القيمة ؟
 - أمن أجل شرذمة من فجّار النصارى : ثقام في بلاد المسلمين مزارع لهذا الحيوان الخبيث ، ومصانع لتعليق لحمه ، وأسواق لبيعه وترويجه ؟
 - لماذا يتحمل المسلمون في بلادهم لعنة هذا الحيوان الخبيث ، من أجل حفنة من فجّار النصارى ، وبضعة تجار مارقين فاسقين ؟ ليس لهم إلا جمع المال ، يتاجرون في الحرام ، فيصيبحون ويمسون في لعنة الله تعالى وسخطه .
 - أعود بالله من الشيطان الرجيم : حُرِّمْتَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَرْتُمْ وَمَا ذُبَحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَى إِذَا لَكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَوْمَ الْذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشُوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِلْأَثْمَرِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ .
-

- أيها الإخوة : إن هذا الوباء ، وكل وباء يصيب الناس : يزيد المسلم يقيناً وإيماناً ، بما أتي به محمد ﷺ من الحق والهدى ، ففي كل زمن وفي كل عصر : يتكشف للبشرية صدق محمد ﷺ ، وصدق ما جاء به من الهدى : سُئِلُوهُمْ أَيَّتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَحَقُّ
- وسوف تبقى البشرية باختيارها على مفترق طرق ؛ إما طريق الهدى والنور ، بقيادة محمد ﷺ ، وإما الضلال والهلاك في سبل متعددة لا نهاية لها .

- إن واجب أمة الإسلام ، أن تكون قدوة صالحة في العمل بهدي دينها ، وسنة رسولها ﷺ ، لا أن تكون فتنة للناس ، تضلُّهم بسلوكها عن نهج الحق والمهدى .
- لقد وقعت غالب الدول العربية والإسلامية على ميثاق منظمة التجارة العالمية الظالم ، الذي يلزم الموقعين بالتجارة في المحرمات ، التي يعلمون من دينهم أنها محرمة إلى يوم القيمة ، وقد أحسن المسؤولون في هذه البلاد ، حينما أصرروا على المنع من دخول المواد المحرمة إليها ، غير أن هذا القرار يحتاج بصورة دائمة إلى إصرار وثبات ، فإن هذه المنظمات الدولية المتسلطة ، لا تزال تجدد رغباتها ، وتؤكد ضغوطها لتخضع الدول المتنوعة لا قدر الله ، فلا بد من الثبات واليقين ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا به .



٥- كارثة السيول هـ١٤٣٠

- الحمد لله الذي لا يُحمد على مكروه سواه في الأرض ولا السماء ، إن أخذ منا شيئاً فقد ملّكتنا الكثير ، وإن حرمنا شيئاً فقد أعطانا الجزيل ، بيده الخير وحده ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، من رضي بقضاءه فله الرضا ، ومن سخط فعليه السخط والخسران .
- لا يجري في كونه إلا ما أراد ، ولا يحصل فيه إلا ما قدر ، حجّته قائمة على الناس ، وإرادته نافذة في الخلق ، لا حكم إلا حكمه ، ولا أمر إلا أمره ،
...أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .
- أيها الإخوة : مصاب عظيم ، وفاجعة كبيرة ، وكارثة مؤلمة : حلّت بمدينة جدة ، عروس البحر الأحمر ، حتى عادت عجوزاً شمطاً ، قد فقدت رونقها السابق ، وأصبحت مدينة البؤس والبؤس ، كاد شرقها أن يغيب تحت وطأة السيول الجارفة ، والأمواج الماء ، التي لا ثبقي ولا تذر ، تقتلع الأرصفة والأحجار ، وتقتتح البيوت والأسوار ، وتسوق الحديد والأشجار ، لا صوت يعلو صوت الماء المتتدفق من كل مكان ، وكأنه الطوفان يهيمن على كل شيء ، قد خارت القوى أمام طغيانه ، فاستسلم الكل لإرادته ، فما ترك مستوراً إلا هتكه ، ولا مكنوناً إلا أظهره ، حتى أخرج المخدرات من خدورهن ، وزرع الرضياع من أمهاطهم ، فالويل لمن اعترض طريقه ، أو حاول أن يخفف من بطشه ، حتى السيارات والشاحنات قد تلاعب بها الموج ، فساقها بأهلها حيث أراد ، فالكل في قبضته ، فانكشف بذلك المستور ، والعبث المكنون ، فإذا بها خيانة وفساد ، ونهب واحتلال ، ومؤامرة على الشعب البائس المسكين ، يعمل أحدهم دهره طوال عمره ، يعرق ويكدح ، حتى إذا جمع ريالاً على ريال ، وبني بيتاً يؤويه وأهله وولده : جاءه ما لم يكن في حسابه :

سيول غاضبة ، بدّلت آماله ، وقطعت فرحته ، وشتت شمله ، فلم يبق له من الدنيا إلا أطلالٌ متزله المهدّم ، وأثاثٌ مُحطمٌ ملطّخ ، وأما زوجته وأولاده ورضيعه : فأشلاء ممزقة ، قد تناثرت في الأودية والشعاب ، بين ركام الطين والأحجار والأخشاب ، جثة هنا ، وأخرى هناك ، قد أضنه البحث والتنقيب عن أشلاء أسرته المفقودة ، ليس له من معلم يهتدي به للتعرف عليهم إلا ملابسهم الممزقة البالية ، فقد أزال السيل معالم وجوههم حتى عاد الغرقى شكلاً واحداً ، قد سوت بينهم المصيبة .

• حتى إذا أفاق الرجل المكلوم بعد الصدمة الموجعة ، وحمد الله على قصائه : تذكر أنه قد فقد كلّ شيء : أهله وماله ، فما بقي له من أملاكه المفقودة إلا ثوبه البالي يستر عورته ، حتى حذاءه قد فقد ، لقد أصبح فقيراً يستحق الصدقة والمواساة ، من أصحاب القلوب المشفقة ، والنفوس الطيبة ، الذين تدفّقوا على الأحياء المنكوبة ، ينقذون ويعالجون ، ويكشفون دموع المنكسرین ، فقد شهدت جدة بطولات نادرة ، وأعمالاً فدائية بارعة ، وإثارةً عظيماً ، بلغ بأحدهم أن يقدم نفسه فيموت في سبيل إنقاذ الآخرين ، فهذا البطل فرمان خان الباكستاني الجنسية ، أنقذ أربع عشرة نفساً من الغرق على مدار ساعات ، حتى إذا أنهكه التعب ، وخارت قواه : غدر به السيل فأخذه شهيداً بإذن الله تعالى .

• أيها الإخوة : إنها أزمة آلاف الأسر المنكوبة في عروس البحر الأحمر ، من وقعوا ضحايا : الغش والسرقة والتزوير والرشاوي والكذب والنفاق والمداهنة ، لقد صُكت آذاناً بحديث وسائل الإعلام المنافقة عن المشاريع العملاقة ، والدراسات المتخصصة ، والميزانيات السخية ، ثم لا شيء بعد ذلك إلا الدمار الشامل ، والقتل الذريع ، لقد اختلطت الأوراق ، فلا تدري الصادق من الكاذب ، فكلُّ ينفي التهمة عن نفسه ويُلقِيها على غيره ، كلُّهم

يُزعم الوطنية والتغافل في خدمة الشعب ، يدخل أحدهم الوزارة شخصاً عادياً ، مما يثبت طويلاً حتى تتضخم ثروته ، ويصبح فوق مستوى المساءلة ، ويتسائل المواطن : أين هيئات الرقابة الرسمية والسرية والشورية ، التي وضعَت أصلاً لرقابة أعمال مؤسسات الدولة ، وضبط مسيرها وفق الأنظمة الإدارية المرعية ؟ والإداريون في الأجهزة الحكومية يرون حجم الرقابة والدقة والمتابعة التي يمارسها ديوان المراقبة العامة على المصاريف المالية التي لا تتجاوز آلاف الريالات ، حتى إن المعاملة تُردد على إدارتها بعد سنوات من صرفها ب مجرد ملاحظة صغيرة يسيرة ، فكيف فاتهم مراقبة صرف المليارات في مشاريع وهمية ؟ ! أى عقل أن المراقب لم يشاهد حجم الفساد الذي يعرفه طلاب المدارس الابتدائية ؟ ألم يشاهد غرف التفتيش الكاذبة في شوارع جدة ، ألم يعلم ببحيرة المسك ، التي عمرت ربع قرن من الزمان ، والتي تهدد جدة بكارثة بيئية من الدرجة الأولى ؟ أم أن المراقب هو نفسه عضو في اللعبة القذرة ، والاحتيال على الشعب المسكين ؟

• إن المشاهد لإخفاقاتنا المتكررة في مشاريعنا العملاقة يدخله يأس من إمكانية النجاح ، وكأننا لا نكاد نحسن شيئاً ، في الوقت الذي يطلعنا فيه المسؤولون بأننا قريباً جداً من مصاف الدول المتقدمة ، في الوقت الذي لم نحسن فيه بعد حماية جامعتنا العريقة من بضع ساعات من الأمطار !

• لقد استشرى الفساد في أوصالنا حتى بلغ النخاع ، فلا تجدي معه قرارات ولا مراسيم ؛ فإن من خان الله في نفسه لن يتورع أن يخون الأمة بأكملها ، إن من بيتنا أناس يقتاتون على دمائنا ومجاجينا ، فبالأمس أكلوا أموالنا في الأسهم ، وهماهم اليوم يطحون عظامنا بالسيول بين الحجارة والحديد ، ولن يُضرير الجشعين أن يفنى الشعب السعودي بأكمله ، ويبقى هو وساداته المنتفِذون آمنين مطمئنين ، إن أمثال هؤلاء المرضى لا تصلح معهم قرارات ولا مراسيم ،

حتى وإن قُدِرَ أن طاهم العقاب ، فماذا يجني المواطن المكوب من عقوبة المقصرين - مهما بلغت هذه العقوبة - بعد أن خسر كل شيء ؟ إنه يتركه ليوم تشخص فيه الأ بصار ، يوم يأتي الغريق يقول : يا رب سل هذا لماذا غرفت ؟

- اللهم ولّ علينا خيارنا ، واكفنا شر أشرارنا ، اللهم ارحم غرقانا ، واشف مرضانا ، وعوضنا خيراً فيما أصابنا ، وأصلاح دورنا ومرآكينا يا رب العالمين .

=====

• أيها الإخوة : أن من ابتلي بهذه المصيبة واحد من ثلاثة نفر ، إما مؤمن صالح يرفع الله بهذه المصيبة درجته ، وإما مؤمن مقصري يكفر الله بهذه المصيبة سيئاته ، وإما منافق زاده الله بهذه المصيبة رجساً إلى رجسه ، فالمؤمن لا يعدم خيراً من قضاء الله ، إن أصابته سراء شكر ، وإن أصابته ضراء صبر ، فكان كل ذلك خيراً له .

• إن الحل الصحيح الناجع ، يتلخص في حركة اجتماعية صادقة شاملة من ثلاث شعب : شعبة الإيمان ، التي مبنها على التقوى ، التي تعمر القلوب ، ويصلح بها السلوك ، وشعبة الأخلاق ، التي مبنها على العفة والاستعفاف عن المال العام ، وشعبة العلم ، التي مبنها على المعرفة الصحيحة وإتقان العمل ، إننا في حاجة إلى القوي الأمين ، القوي في دينه وخلقه ، والأمين على عمله ، الذي تهنا عنه أو - في الحقيقة - أعرضنا عنه دهراً من الزمان ، من لا يستبيح المداهنة ولا يستجيز الكذب ، من يملك الجرأة الكافية ليقول في وجه البطل أيّاً كان : لا ، والتفتنا - للأسف - إلى من يحسن المداهنة والإطراء ، من أصحاب النفوس المريضة ، من فقد وطنّته وحسّه الإنساني .

• إن من الضروري أن نعيid النظر في أجهزتنا الرقابية ، ونتيح الفرصة للمجتمع

من خلال مؤسساته المدنية ليراقب أداء الأجهزة الحكومية بصدق وإخلاص ،
فيمارس شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

- إننا في حاجة قبل كل هذا وبعده إلى الصلح مع الله ، فقد أسرفنا كثيراً ،
وظهر بعضنا بالمنكرات ، وتجراً بعضنا على المعاصي ، وتخاذل الصالحون عن
إنكار المنكرات ، وهذا ينذر بالعقوبات العامة ، التي تهلك الصالح والفاسد ،
نعود بالله من غضبه ، وأليم عقابه .
- اللهم لا تهلكنا بعذابك واغفر لنا قبل ذلك ، اللهم لا ترنا قوتك ، فقد
أصبحنا وأمسينا بك مؤمنين مصدقين ، فأنت القوي العزيز ، إلا أن رحمتك
أوسع لنا ، وغفوك أحب إلينا ، فارحمنا واغفر لنا يا رب العالمين .



تاسعاً : التربية السياسية

- ١- علاقة الراعي بالرعاية
- ٢- شهر الثورات العربية
- ٣- الثورة السورية الجريحة
- ٤- حديث التاريخ

١- علاقة الراعي بالرعاية

- الناظر في الشريعة الإسلامية يجدها تحمل مفهوم الشمول والاستيعاب لكل ما يحتاج إليه الإنسان للخلافة في الأرض .
- مما من كلية أو جزئية إلا وقد استوعبها هذا الدين ، والله تعالى فيها إرادة شرعية من : واجب أو حرام أو مكروه أو مستحب أو مباح .
- وصدق الله تعالى إذ يقول : وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ .
- وإن ما شمله هذا الدين بالإحكام والضبط والتوجيه : علاقة الحاكم بالمحكوم ، علاقة الراعي بالرعاية .
- فإن من أهم المصالح التي يقصد إليها التشريع الإسلامي تحقيق الاستقرار السياسي ، والأمن الاجتماعي والاقتصادي ، الذي يأتي ثمرة للتوافق والتعاضد بين الراعي والرعاية .
- فإذا استقر الناس واطمأنوا لولاة أمرهم : تحققت مقاصد التشريع من : حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال .
- ولهذا فإن السلطان العادل القائم بأمر الله هو ظل الله تعالى في الأرض ، وولي الله في السماء ، إكرامه واجب على الأمة ، وإهانته حرام .
- إذا أمر بأمر وجبت طاعته ، وإذا نهى عن أمر لا تجوز خالفته ، اجتهاكاته مأجورة ، أصاب في ذلك أم أخطأ ، ما دام عارفاً مجتهداً ، صادق القصد والنية .
- يجب الرعاية وتحببه ، ويدعو لها وتدعوه له ، قد امتلاً قلبه بالإشفاق على الناس ، فقد انكسر قلبه للأرمدة والفقير والمسكين واليتيم .

- يعمل في مال الله بالحق ، فلا يستأثر بشيء منه دون رعيته ، يجمعه من موارده المشروعة ، ويضعه في مصارفه الواجبة .
- يقيم العدل في الرعية ؛ فالضعفاء المضطهدون أقوىاء عنده ، والجبارون الظالمون ضعفاء عنده ، الكل سواسية أمام العدل ، لا يحابي ولا يجامل ، الله تعالى نصب عينيه .
- لا يطمع في ظلمه الأقوياء ، ولا يأس من عدله الضعفاء ، قوي في غير تسلط ، وحازم في غير تجبر ، وعزيز في غير تكبر ، ومتواضع في غير مهانة .
- يحب الصالحين ويقر بهم ، ويبغض الفاسقين ويعدهم ، وجهه للعلماء العاملين ، وظهره للمغرضين الانتهازيين ، لا يحب النفاق ولا المافقين ، ولا يقر المدح ولا المداحين .
- يأمر بالمعروف ويتايه ، وينهى عن المنكر ويحيتنبه ، لا يجاهر في بلاده الفساق ، ولا يستتر عنده الصالحة ، قد أغز الصالحين ، وأذل الفاسقين .
- ظاهر اليد والثوب ، سليم الصدر والقلب ، إذا ذُكِر تذكر ، وإذا ثُبِّه تنبه ، لا يستكتر عن الرجوع إلى الحق ، ولا يأنف من الاعتراف بالخطأ .
- أعوانه الصالحون ، ورجاله المتقون ، لا يختار إلا القوي الأمين ، من لا يتطلع إلى الولاية ، ولا يحب الرئاسة .
- ناصح لرعايته ، لا يولي عليهم إلا أحسنهم وأعلمهم وأنقاهم ، وينخشى عليهم من ظلوم يؤذيهم ، ويبطش بهم .
- يتبع أمراءه ، ويحاسب وزراءه ، لا يخاف في ذلك لومة لائم ، يصبح في أحدهم جهاراً نهاراً : من أين لك هذا ؟ وينادي بصوته : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراها ؟

- بابه مفتوح ل حاجات السائلين ، و صدره واسع لشکوى المظلومين ، يعطي الحق ولو كان من نفسه ، أو من رجاله وأقربائه ، قد يئس الظلوم بأرضه ، فلا حيف ولا بخس .
- مشفق خائف من بطانة السوء ، حريص على الخلوة بأهل الخير والنصح ، يخشى من الوشاة المفسدين ، ويحن للناصحين المخلصين .
- لقد امتلاً قلبه خوفاً من الله تعالى ، يخشى أن يشق على المسلمين فيشق الله عليه ، خائف مما أمامه حين يلقى الله تعالى .
- لا يدري كيف يجيب ربه حين يسأله عن رعيته : حفظ أم ضيع ؟ عدل أم ظلم ؟ همه الكبير في أداء الأمانة ، وحدره الشديد من الواقع في الخيانة .
- يخاف من دعوة مظلوم ، ويهاب من إهمال مكروب ، أفراده قليلة ، وأحزانه كثيرة ، همه إصلاح حال المسلمين .
- ولاه للMuslimين ، ومعاداته للكافرين ، يحفظ التغور من الأعداء المتبصرين ، ويحمي الحدود من العابثين والفاشدين .
- سيفه مشهور على المخبرين ، وعطشه يشمل التائبين ، يقيم الحدود على المذنبين ، ويؤدب الباغين والمتمردين .
- الأموال في بلاده طاهرة نقية ، فلا بخس ولا ربا ، ولا خداع ولا احتكار ، المال في اعتقاده مال الله .
- ووسائل إعلامه مهذبة عفيفة ، تقول الحق ، وتثبت الخير ، لا مكان فيها للعبثيين ، ولا صوت فيها للساقطين .
- كتاب الله قائد ، وسنة النبي ﷺ سبيله ، لا يقضي في أمر حتى يستشير ، ولا يعزّم على قرار حتى يستخّر .

- يَعْمَلُ فِي أُمَّتِهِ بِنُورِ اللَّهِ ، وَيَقِيمُ فِيهِمْ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَسْلُكُ بِهِمْ سَبِيلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَهُذَا الْحَاكمُ وَلِيُّ اللَّهِ .
 - إِذَا دَعَا رِبَّهُ أَجَابَهُ ، وَإِذَا أَقْسَمَ عَلَيْهِ أَبْرَهُ ، وَإِذَا اسْتَنْصَرَهُ نَصْرَهُ ، إِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ بِحَقِّهِ .
 - أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ : يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْمُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ .
- =====

- يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ عَنِ الْإِمَارَةِ : « إِنْ شَتَّمْتُمْ أَنْبَاتِكُمْ عَنِ الْإِمَارَةِ مَا هِيَ ؟ أَوْهَا : مَلَامَةٌ ، وَثَانِيَهَا : نَدَامَةٌ ، وَثَالِثَهَا : عَذَابٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مِنْ عَدْلٍ » .
- وَيَقُولُ عَنْ نَدَمِ الْوَلَّةِ الظَّالِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : « لِيَتَمْنَئِنَّ أَقْوَامٌ وُلُوا هَذَا الْأَمْرَ أَنَّهُمْ خَرَوْا مِنَ الْثَّرِيَا ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يُوْلُوا شَيْئًا » .
- وَيَقُولُ لِلْحَرِيصِينَ عَلَى الْمَنَاصِبِ ، الْمُتَكَالِبِينَ عَلَى الرَّئَاسَاتِ : « إِنَّا وَاللَّهُ لَا نُولِي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ ، وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ » .
- وَيَقُولُ : « إِنَّا لَا نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مِنْ أَرَادَهُ » ، وَيَقُولُ : « إِنَّ أَخْوَنَكُمْ عَنْدَنَا مِنْ طَلْبِهِ » ، يَعْنِي طَلْبِ الْإِمَارَةِ .
- وَيَقُولُ فِي حَسْنِ اخْتِيَارِ الْأَصْلَحِ لِلْإِمَارَةِ : « مَنْ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ عَصَابَةِ وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ أَرْضَى اللَّهَ مِنْهُ : فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ » .
- اللَّهُمَّ وَلَّ عَلَيْنَا خَيَارَنَا ، وَاكْفُنَا شَرَّ أَشْرَارِنَا ، وَلَا تَسْلُطْ عَلَيْنَا بِذَنْبِنَا مَنْ لَا يَخَافُكَ فِينَا وَلَا يَرْحَمُنَا ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .



٢- شهر الثورات العربية

- منذ عقود مضت وأمة الإسلام في العموم ، والعربُ على وجه الخصوص : يعيشون حالة من الغيوبية العقلية ، والغفلة الواقعية ، والتيه الفكري ، لقد استبدَّ بهم الثالوث المدمر : الفقر ، والجهل ، والمرض .
- لقد أحاط بالأمة همٌ كبير ، وكربٌ عظيم : أفقد الشعوب الإسلامية النظر الصحيح ، والفهم القويم ، لقد اختلطت في أذهانهم الأفهام ، وتشعبت بهم السبل ، حتى أصبحوا شرذم من الناس ، لا يجمعهم كيان ، ولا يحوطهم نظام .
- لقد فقد المسلمون مشاعر العزة والكرامة ، واستبدلوا بها مشاعر الذل والمهانة ، حتى ما عاد للمسلمين شرفٌ يخافون عليه ، ولا كرامةً يحرصون عليها .
- لقد فقد المسلمون أعظم ما يملكون ، وأضاعوا أجل ما يعرفون ، لقد فقدوا هويتهم الدينية ، وأضاعوا شخصيتهم الإسلامية ، في عالم لا يحترم المقلدين ، ولا يأبه بالتائهين ، فعاش المسلمون زمناً في دروب التيه الحضاري ، والضياع التاريخي ، يتخبطون بين الشرق الهالك ، والغرب المتهالك ، يتقللون من أزمة إلى أزمة ، ومن كرب إلى كرب ، كلما أبصروا نوراً أعقبه ظلام حالك ، وكلما أحسوا فرجاً تبعه ضيق شديد ، حتى استحكم في الناس اليأس ، وعمّهم القنوط .
- لقد أنهى المستعمر الغربي مهمته في ديار المسلمين ، وفعل فعله في تدمير كيان الأمة ، وتحطيم قواها ، حتى إذا أفل سلطانه عن البلاد ، وغاب شخصه عن الديار ، وخرج غير مأسوف عليه : خلفه المنافق الوطني ، في ثوب عربي ، وقلب غربي ، ليكمل بإخلاص مهمته المستعمر البغيضة ، في تدمير الأمة وتحطيم كيانها ، فعمل في الشعوب المستضعفة ما عجز المستعمر عن فعله ، فما لبثت العديد من الشعوب العربية طويلاً ، حتى أدركت أن الاستعمار كان أرحم بها وأفضل من الاستقلال ، حتى قال قائلهم - من فرط حزنه و Yashe - : « سلام الله على الاستعمار » .

- وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول عن وصف هؤلاء الظلمة : « تكون دعاء على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها ، هم قوم من جلدتنا ، يتكلمون بأسنتنا ... » .
- وقال أيضاً : « يكون عليكم أمراء ، إن أطعتموهم أدخلوكم النار ، وإن عصيتموهم قتلوكم ... » .
- وقال أيضاً : « يكون عليكم أمراء تطمئن إليهم القلوب ، وتلين لهم الجلد ، ثم يكون عليكم أمراء تشمئز منهم القلوب ، وتقشعر منهم الجلد ، فقال رجل : أنقاثهم يا رسول الله ؟ قال : لا ما أقاموا الصلاة » .
- وهكذا عاش غالب الأمة الإسلامية هذه النبوءة الحمدية ، فتولى على رقاب المسلمين خلق من البشر ، هم إلى الوحش الضاربة أقرب ، أهبوظة ظهور العباد بسياطهم ، وأجاعوا بطونهم بخلهم ، ونهبوا ثرواتهم بشحهم ، وعملوا فيهم بالظلم والخسف والقهر .
- لقد جمع المبطلون السياسيون بين ثلاثة أمور ، هي أشد ما تكون على الشعوب العربية ؛ فقد جمعوا بين الاستبداد السياسي في أعلى ممارسته ، وبين الاستئثار بالثروات في أبغض وأقبح صوره ، وبين العمالة للعدو الأجنبي في أذل وأحرق مسالكها ، فضاق الناس الفضاء ، واستحکم فيهم الخناق ، وطعنوا في كرامتهم ، وبلغوا المتهانى ، الذي لا مزيد عليه .
- لقد جثم على غالب بلادنا العربية شرذمة بغيضة من البشر ، جمعت بقوه وصلابة بين السلطة والثروة ، فسامت الناس صنوف العذاب ، وأذاقتهم مرارة الحياة ، حتى أخرجت الناس عن طبائعهم ، وأخللت بمشاعرهم ، ففقد العربي نخوتة ، وخسر مروءته ، وأضاع قوته ، فتعطلت قدرات الأمة ، وتخلّف أداؤها ، حتى تنذر العالم المتحضّر بالعرب ، فسخروا منهم ،

وأصبحوا أضحوكة الأمم ، بعد أن كانوا - في التاريخ القريب - ملء العين
والبصر :

- سرقوا من العربي نخوئه وصلابةً يندى لها الصخر
- حتى إذا اطمأن المنافقون الوطنيون إلى عروشهم ، ورکنوا إلى قواهم ، وفرحوا بما أوتوا : جاءهم ما لم يكن في حسابهم ، ونزل بهم ما لم يكن في خيالهم : جموع بشرية هادرة ، وجماعات متدفعه ثائرة ، تخرج من كل مكان ، تركت البيوت والدور ، وخلفت المنازل والقصور ، تنادي وتصيح بالظالمين ، وتندد بالمستبددين والمفترين ، لا تخاف الموت ، ولا تهاب السلاح ، إنهم قدر الله الغالب ، جاء ميدان الحياة بلا مقدمات ، ودخل إلى المعركة السياسية بلا استئذان .
- أيها الإخوة : إن ما يحدث في عالمنا العربي اليوم هو شيء مهول ومندهل ، إنه واقع غريب ، وظرف فريد ، وعصر جديد ، لا عهد للأمة بمثله .
- لقد مر بالعالم المعاصر شهر ، هو بحق شهر العجائب العربية : أحداث عجيبة ، وتفاعلات غريبة ، هي إلى الأساطير أقرب منها إلى الحقائق ، وهكذا - أيها الإخوة - تكون أحداث آخر الزمان ، تجمع بين السرعة والغرابة .
- لقد فرح بهذه الأحداث أناس ، وكرهها آخرون ، وتوقف فيها كثيرون ، وكلّ له من الحق وجه ، ولكن الغريب الشاذ في الأمر : أن ينبري لهذه المهمات السياسية الكبرى جموع من الشباب الغض الطري ، المحدود العلم والخبرة والتجربة ، ثم يقع عقلاً الأمة من : العلماء والوجهاء والمفكرين في بيوتهم ومكتباتهم ومساجدهم ، يتظرون ما تتمخض عنه الأحداث ، دون أن تكون لهم أدوارهم العملية في ضبط الشارع ، وتسديد المسار ، وتوجيه الأمة ، وقيادة الشباب .
- أين علماء الأمة : يقولون كلمة الحق عند السلطان الجائر ؟ ألم يأخذ الله عليهم الميثاق بالبيان ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؟

- لقد قام عوام الناس - للأسف - نيابة عن العلماء والكبار بهذه المهمة العسيرة الصعبة ، فلا تسأل عن أخطاء اجتهادية يقعون فيها ، ولا تبحث عن ممارسات عنيفة تصدر عنهم ، فلا لوم عليهم حين لم يجدوا في الساحة قدوة لهم .
 - إن الواقع السياسي القائم اليوم لا يسمح بالخلافات الفقهية ، ولا بالمنازعات المذهبية ، فضلاً عن الخلافات الشخصية والاجتهادية ، فلابد من وحدة الصف ، وجمع الكلمة ، والسعى الجاد للخروج من هذه الأزمات إلى بر الأمان .
 - لابد للعلماء أن ينبروا لما كلفهم الله تعالى به ، من القيام بواجباتهم تجاه الحكام : نصحاً ، وإرشاداً ، ووعظاً ، وتجاه الشعوب بالتعليم والتربية والقيادة ، وما لم يقوموا بذلك كما أمر الله تعالى : فإن الواقع سوف يتجاوزهم ، والأمة سوف تتخطاهم ، فلا يجدون لهم في المستقبل موقعاً يلوذون به في الواقع الاجتماعي .
- =====

- أيها الإخوة : ما أهون المسلمين على الله ، حين تولى عليهم أمثال هؤلاء القادة السياسيين ، يسومونهم سوء العذاب .
- كيف وصل بالأمة الحال أن يتولى عليها : سارق ، أو معتوه ، أو منافق ، أو عميل؟ لو لا هوان الأمة على الله ما تسلط عليهم أمثال هؤلاء .
- عقود مضت من عمر الأمة ، في ظل الظلم والبطش والاستبداد ، انقضت في غير طائل ، وضاعت في غير مصلحة ، تخلفت فيها الأمة عن ركب الحضارة المعاصرة أحقاباً من الزمان .
- إن الأمة الإسلامية تمر اليوم بمرحلة سياسية جديدة ، تحتاج إلى صدق التعاون بين الحكام والعلماء والشعوب ، بما يحقق مصالح الأمة الكبرى ، ويقيها المفاسد العظمى ، فإن البلاد التي تنعم بالأمن والاستقرار ليست بمنأىٰ عن أحداث شعبية تعصف بها ، فلابد من التعاون والتكاتف ، والتجدد عن

المصالح الشخصية الضيقة ، والأهداف القاصرة .

• اللهم احفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء ، اللهم اجمع القلوب على هداك ، واجعل عملنا في رضاك ، وألّف بين الراعي والرعية على ما تحب وترضى ، يا رب العالمين ، ويا أرحم الراحمين .



٣- الثورة السورية الجريحه

- أيها الإخوة : من بين ركام الأتربة ، والأعمدة الخرسانية ، والأسقف المنهارة ، والطوب المهدّم : خرجت يدُ طفل صغير ملطخةً بالدماء ، ترتجف وتهتزُّ من شدة البرد ، وانطلق معها صوت أنينٍ خافتٍ يقطع القلوب ، ويُثير عاطفة النفوس .
- أشلاءً مقطعةً في كل مكان ، ودماءً متاثرةً في كل اتجاه ، وحصارٌ عام خانق ، وجموعٌ هائمة على وجوهها ، وهلعٌ يخلع القلوب ، وخوفٌ يذهب بالعقل .
- إنها حكاية آلاف الأطفال والنساء ، والشيخوخة والشباب ، الذين قضوا نحبهم ، وسفكت دمائهم ، وحطمت عظامهم ، وسحقت أج丹هم ، وفاضت أرواحهم في الحرب العالمية الثالثة ، التي يقودها العالم المتآمر على الشعب السوري الأعزل المسكين ، وينفذها الباطنيون المنافقون ؛ من النصيرية المارقة ، والرافضة المجرمة الحاقدة .
- لقد انقسم العالم البائس ، بين شيوعيٌّ روسيٌّ جائع ، يبحث له عن وسيلة ييتز بها العرب ، ووثنيٌّ صينيٌّ متّمرٌ ، يروم مكاناً له في المجتمع الدولي ، وغربيٌّ صليبيٌّ متّرد ، بين مبادئ جوفاءٍ يتنادي بها ، وبين مصالح يهوديةٍ يخاف عليها .
- وأما العرب ، فما أهونهم على الناس ، وما أذلّهم في المحافل الدولية ، وما أحقر مكانتهم في عالم السياسة ؛ قطبيْ بلا راعٍ ، وجموعٌ بلا قوة ، وأعدادٌ بلا عمل ، وكأنهم أصفار مجتمعه .
- إن شأن العرب عجيب ، وأمرَّهم غريب : لا يأتون إلا متأخرین ، وإذا حضروا اختلفوا ، وإذا اتفقوا لم ينجزوا .
- لقد تحولَ السياسيون العرب إلى ظاهرة صوتية لا صدى لها ، وجملٌ إنشائية لا معنى لها ، ينعيقون بأصوات لا تفهم ، ويصيرون بعبارات لا تُسمع ، ثم هم

بعد ذلك لا يملُون صيَاحَهُمْ ، ولا يخجلون من شعوبهم .

- إن ثورة الشعب السوري ، ثورة إسلامية سنية أصيلة ، طهّرها الله من رجس الشرق الأقصى ، وحفظتها من نجاسته الغرب الأبعد ، لا شرقية ولا غربية ، فهي ثورة إسلامية خالصة .
- أيها الإخوة : إن ما يجري في بلاد الشام منذ عام كامل ، من الإبادة العامة للشعب السوري ، والتدمير الكامل للتراث الشعبي ، وتحطيم الممتلكات الشخصية ، وحصار القرى والمدن ، وقطع وسائل وأسباب العيش عنها ، ومن ثم دكُّها دكًا ، بالمدفعية والصواريخ والطائرات ، دون تفريق بين رجل و طفل ، وامرأة وشيخ ، والإجهاز على الجرحى ، وتخريب المنشآت والمستشفيات ، وقطع المعونات والمساعدات ، ومنع الأدوية والعلاجات ، كل هذا وغيره كثير ، مما لم يصل إلينا خبره ، ولم تبلغنا حقيقته ، من حجم التدمير والتنكيل ، والبطش والتعذيب ، الذي ينم عن نفوس بشرية مظلمة ، وقلوب قاسية متحجّرة ، قد تجردت عن الهوية الإنسانية ، وانفردت شاذةً عن الطبيعة البشرية ، بعقائد باطنية ضالة مارقة ، وسلوك شيطاني خبيث مارد .
- كل هذا- أيها الإخوة - سوف يبقى وصمةً عار في وجه البشرية المعاصرة ، وفضيحةً تاريخية كبيرة ، تلاحقها إلى آخر الدهر ، لا يغسلُ آثارها ماء البحر ، ولا يمحو شناعتها تعاقب الأزمان .
- وسوف تبقى الثورة السورية جرحاً غائراً في جبين الإنسانية المتلاحقة ، يشوه وجهها ، ويُدمر قلبها ، ويُخجل أجياها .
- بل سوف تتحول الثورة السورية ، وما احتفَ بها من أحداث دامية ، وما رافقَها من مواقف عربية ودولية مخزية ، وما حصل فيها من مؤامرات سرية قذرة ، سوف تتحول إلى لعنة ريانية غاضبة ، تلاحق الظالمين المعذين ، وتحرق المجرمين

الكافرين ، وتفتك بالباطئين المنافقين ، فيا ويل الظالمين من يوم قريب ، ويَا ويلَ
المعتدين من مشهد عظيم ، ألا لعنة الله على الظالمين والكافرين والمنافقين .

- أيها الإخوة : لقد نفض الشعب السوري يده من الشرق والغرب ، ويَؤْمِنُ
وجهه إلى الله تعالى ، لا يرجو سواه ، ولا يأمل إلا فيه ، ولا يتعلّق إلا به ،
ولا يوالى إلا إياه ، ولا يستنصر إلا به : ... فَيَعْمَلُ الْمَوْلَىٰ وَيَنْعَمُ الْتَّصِيرُ .
- ماذا يريد الشعب السوري من شرق قد اسود تاریخه بظلم المؤمنين ؟ وماذا
يرد من غرب قد تلطخ بدماء المسلمين ؟ فكلاهما ملعون بلعنة الله ، خارجُ
عن رحمته : إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفَّارِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا .
- هل نسي المسلمون إبادة الروس لل المسلمين في الاتحاد السوفيتي ، على مدار
عقود من الزمان ، وغزوَهُمُ الْآثَمُ لأفغانستان ، وفتوكهم بالشيشان ؟
- هل نسي المسلمون مظالم الصينيين واضطهادهم المستمر لل المسلمين في شرق
الصين ؟
- ما بالنا - أيها الإخوة - نسينا الأمسَ القريبَ في العراق الجريح ، على أيدي
الأمريكان والإنجليز ؟ هل نسينا سجن (أبو غريب) ؟ هل نسينا مخاري
الغرب ومؤامراتهم المستمرة مع اليهود على فلسطين ؟
- بل ما بالنا نتناسى ونتغافل عما يقوم به هؤلاء الملاعين في أفغانستان وباكستان ؟
ما بالنا - أيها الإخوة - ننسى سريعاً ، ونتغافل كثيراً ؟
- أيظن جاهل أن الذي يفتك بالعربي والباكستاني والفلسطيني والأفغاني :
يمكن أن يعطف على السوري ؟ إن هذا بعيد ، إلا أن تملّي عليهم مصالحهم
 شيئاً ، فتراتهم حينئذ كالذئب يرعى الغنم .
- اللهم نسألك فرجك العاجل لأهل الشام ، ورحمتك القرية لشعب سوريا ،

اللهم لا تكُنْهُم لِأَنفُسِهِمْ وَلَا لِأَحَدٍ فِي ضِياعِهِمْ ، وَلَا ترْكُنْهُم لِلنَّاسِ فِيهِلَكُوْنَهُمْ
اللهم أنت وَلِيُّهُمْ ، وَأَنْتَ نصِيرُهُمْ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

=====

- أيها الإخوة : لا تخزعوا لما يجري في الشام ، ولا تقنطوا من رحمة الله ؛ فإنما هو تحيص للمؤمنين وال المسلمين ، وعقوبة للكافرين والمنافقين ، يرفع الله بهذا البلاء أقواماً ويضع آخرين ، ويكرم الله الصالحين ويذل الفاسقين .
- أيها الإخوة : ما بالكم بأناس من المسلمين ، يعيشون في أرياف مهجورة ، ومناطق معزولة ، لا يعرفون الناس ، ولا يأبهون بهم ، لا يملك أحدهم أكثر من قوت يومه ، قد أنهكهم الفقر ، وأتعبهم المرض : فاختارهم الله تعالى شهداء عنده ؛ فأكرم مكانهم ، ورفع أقدارهم ، ووضع عنهم أوزارهم .
- ولئن كان الناس يتعجبون مما يجري في الشام من الجرائم الوحشية البشعة ؛ فإن العجب كل العجب في ثبات هؤلاء وفدائهم وإقدامهم ، فمن تراه غير الله ثبّتهم ؟ من تراه غير الله أعاذه ؟
- إنها فضائل أهل الشام - أيها الإخوة - التي حدثنا عنها رسول الله ﷺ ، فقد قال فيما قال عن الشام : « إنكم ستتجدون أجناداً : جنداً بالشام ومصر والعراق واليمن ، قالوا : فَخِرْ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : عَلَيْكُم بِالشَّامِ ، قَالُوا : إِنَا أَصْحَابٌ مَاشِيَةٌ وَلَا نُطِيقُ الشَّامَ ، قَالَ فَمَنْ لَا يَلْحُقُ الشَّامَ فَلِي لَحُقْ بِيْمَنَهُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكْفُلَ لِي بِالشَّامِ ».
- وقال رسول الله ﷺ لـ الحذيفة و معاذ - رضي الله عنهما - حين استشاراه : أي البلد يتزلان ؟ فأولما إلى الشام ، وقال : « عليكم بالشام ، فإنها صفة بلاد الله ، يسكنها خيرته من خلقه ... ».
- وقال ﷺ : « الشام صفة الله من بلاده ، إليها يجتبي صفوته من عباده ... ».

• أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ : هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ إِنْ يَمْسِسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُذَاقُُلَّهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ أَلَّاَذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٣﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ أَلَّاَذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكُفَّارِينَ .



٤- حديث التاريخ

- لقد درج على الأرض خلق كثير ، عاشوا عليها دهراً من الزمان ، ثم مضوا إلى زاوية السّيّان ، فلم يسجل لهم التاريخ سطراً واحداً .
- وقليل من الناس بقي ذكرُهم على مرّ التاريخ ، سواء كان ذكراً طيباً ، أو ذكراً سيئاً .
- فكم أولئك الذين بقوا في ذاكرة التاريخ بقبيح صنيعهم ، فلا يذكرون إلا باللعن والتّقبيح والازدراء ؟
- من أمثال : إبليس ، وفرعون ، وهامان ، وقارون ، وأبي جهل ، وهو لا كو ، وكثيرٍ غيرَهم من ملاعين الخلق ، في القديم والحديث .
- لقد خلَدَ التاريخ أسماء هؤلاء الطغاة ، وكثيرٍ غيرَهم : مقرونة باللعن والسُّخط والفجور ، يُذكرون بقبيح صنيعهم ، وسوء أفعالهم .
- وفي مقابل هذا فقد بقيت أسماء في ذاكرة التاريخ ، لا تُذكر إلا بالثناء والحب والجميل ؛ لما تركته من حسن الصنيع ، وطيب الفعال .
- من أمثال : الأنبياء والشهداء والصالحين ، والصحابة الميمانيين ، فماذا خلَدَ التاريخ لنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ؟
- بل ماذا سجل التاريخ لعطر الدنيا، وزهرة الوجود : محمد صلوات الله عليه وسلم ، ماذا سجل له التاريخ من كريم السجايا ، وعظيم الخصال ، وحسن الفعال ؟
- بل وماذا سجل التاريخ لنجموم الدنيا الظاهرة من أمثال : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير ، وعائشة وأسماء رضي الله عنهن أجمعين ؟
- لقد خلَدَت أسماء كثيرةً بخير ، وخلَدَت أسماء أخرى كثيرةً بشر ، وبقيَ أكثرُ الخلق مجھولين ، قد خفيت أخبارهم عن الناس ، إلا أنها معلومة لرب الناس

جل وعلا .

- ولن يضيق سجل التاريخ في كل عصر بأسماء المشاهير من الصالحين أو الفاسدين ، من الأولياء أو المجرمين ؛ ليبقى ذلك شهادة لهم أو عليهم .
- وسوف ينال سجل التاريخ : المعاصرين من الناس ، من أصلح أو أفسد ، وسوف تناولهم أقلام وألسنة النقد والتقويم ، إن عاجلاً أو آجلاً .
- فمشاهير هذا العصر لا بد أن يُسجّوا في يوم ما على مشرحة التاريخ ، فيذكرُ ما لهم وما عليهم ، من حَسَنٍ أو قبيح ، ومن صلاح أو فساد .
- فماذا ترى التاريخ يقول عن أشعل في عصرنا الحروب ، وحراك الدسائس ، وزرور الحقائق ، ونافق الناس ، ودهان الشعوب ؟
- ماذَا سجل التاريخ ، وماذَا سوف يسجل لفراعنة العصر ، وطواويث الزمان ، سفاكي الدماء ، من الطغاة المجرمين ، في ليبيا وسوريا ؟
- ماذَا سوف يسجل التاريخ عن قصف المدن ، وذبح الناس ، ودكّ المنشآت ؟
- ماذَا سوف يقول التاريخ عن ملاعين السياسة ، من السفّاكين ، والمتآمرين ، والمخاذيـلـين ؟
- كيف سوف يكتبُ هذا التاريخ ؟ وبأي قلم تراه يُسجّل ؟ وبأي عبارة يُصاغ ؟ من تراه يستطيع أن يعبر عن الحقيقة كما هي ؟ إنها من الضخامة والغرابة والدهشة : ما يُعجز الكاتب البارع ، ويُخرس الخطيب المفوء ، إن حجم المأساة أكبر بكثير من كتّاب العصر وخطبائه .
- إن التاريخ لن يرحم طغاة السياسة ، وقتلة الناس ، ودهاقنة الاقتصاد ، وبائعي الفساد ، ومروجي الضلال ، والمنافقين والمخدعين ، إن التاريخ لن يرحمـهمـ .
- كما أن التاريخ لن ينسى لأهل الإحسان إحسانـهمـ ، ولأهل البر بـرـهمـ ، من

فعل خيراً ، وقدَّمَ حسناً ، من مشاهير الصالحين والمصلحين ، والعلماء والدعاة والعامليـن .

- وسيبقى التاريخ سجلاً حافلاً بالمشاهير من أهل الخير ومن أهل الشر ، فهؤلاء يُذكرون بخير ، وهؤلاء يُذكرون بشر .
- أيها الإخوة : إن بوابة التاريخ كبيرةٌ لن تضيق بأحد ، فكم من صغار الأجسام ، وقصار الأعمار ، دخلوها باهتمـمـ العـالـيـة ، والنفـوسـ الشـاحـنة ، والمقاصـدـ النـبـيـلة .
- فهؤلاء شهداء الأقصى وأبطال فلسطين - على ضعفهم وهوانهم وقلـلـتهم - دخلوا التاريخ من أوسع أبوابـه ، بالصدق والإباء ، والتضحـيةـ والـفـداء .
- لقد فرضوا أنفسـهمـ علىـ التـارـيـخـ ، ودخلـواـ سـجـلـاتـهـ رـغـمـ آـنـوـفـ الـحـاـقـدـيـنـ والـحـاسـدـيـنـ والـمعـتـدـيـنـ ، منـ الـكـافـرـيـنـ والـمنـافـقـيـنـ .
- لقد تطاولـ علىـ التـارـيـخـ أـقـزـامـ منـ أـشـيـاءـ الـبـشـرـ ، يـريـدونـ أنـ يـتـصـدـرـواـ سـجـلـاتـهـ بـقـيـحـ أـفـعـاـلـهـ ، وـسـوءـ أـعـمـالـهـ .
- فدخلـواـ التـارـيـخـ بـالـفـعـلـ ، وـلـكـنـ فيـ مـزـبـلـتـهـ ، حـيـثـ يـجـبـ أـنـ يـكـونـواـ ، فـبـاتـواـ مـلـعـونـينـ ، وـغـرـبـواـ عـنـ الدـنـيـاـ مـقـبـوحـينـ .
- إنـ الـعـمـالـةـ وـالـخـيـانـةـ وـالـغـشـ وـالـفـسـادـ وـالـطـغـيـانـ : لـاـ يـكـنـ أـنـ تـكـوـنـ فـيـ يـوـمـ مـنـ الـأـيـامـ وـسـائـلـ لـتـصـدـرـ سـجـلـاتـ التـارـيـخـ ، وـنـيلـ شـرـفـ مـقـامـهـ .
- إنـ الـكـذـبـ عـلـىـ التـارـيـخـ لـاـ يـلـبـثـ طـوـيـلـاًـ حتـىـ يـنـكـشـفـ وـاضـحـاـ يـبـنـاـ لـلـنـاسـ ، مـهـمـاـ حـاـوـلـ الـمـخـادـعـونـ وـالـمـبـطـلـونـ تـزـيـيفـهـ وـتـغـيـيرـهـ ؛ فـإـنـ الـحـقـاقـ لـاـ بـدـ أـنـ تـنـجـلـيـ ، وـالـمـكـنـونـ لـاـ بـدـ أـنـ يـظـهـرـ .
- فـكـمـ أـوـلـئـكـ الـذـيـنـ عـاـشـوـ فـيـ الـأـمـةـ بـالـخـدـاعـ وـالـكـذـبـ ، يـغـشـوـنـ الـشـعـوبـ ،

ويخادعون الناس ؟ فلما ماتوا وهلك سلطاؤهم : انكشف للناس خبرُهم ،
وبان قبيحٌ صنيعهم .

- أيها الإخوة : إن التاريخ لا يتأثر بالدعائية الإعلامية المخادعة ، ولا يأخذ عن الأقلام المأجورة ؛ وإنما يعتمد على الحقائق الواضحات ، والواقع والمشاهدات .
- ولئن أفلت بعض المخادعين والمخاتلين وال مجرمين من فضيحة التاريخ ، وبقي خبرُهم مستوراً في الدنيا ، فأنى لهم أن يفلتوا من فضيحة يوم الدين ، بين يدي أحكم الحاكمين .
- فإن سجلات التاريخ قد سجلت الكثير ، ومع ذلك فقد فاتها أيضاً الكثير ، إلا أن صحائف رب العالمين ، لا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها ، لا يفوتها شيء من أعمال العباد ، حسِّنها وسيئها .
- لقد مرَّ على الحياة صالحون كثيرون ، قدَّموا وأنجزوا ، وأحسنوا وأصلحوا ، ومع ذلك هضمُهمُ التاريخُ حقَّوْهُم ، إما بظلم أو إهمال أو إغفال .
- إلا أنهم معلومون معروفون عند رب العالمين ، الذي لا يُضيع أجر من أحسن عملاً ، سواء علمَه الناس أو جهلوه ، أقروا له بالفضل أو جحدُوه .
- أعود بالله من الشيطان الرجيم : إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَإِثْرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ .

=====

- إن جماعاً من الساقطين ، من أصحاب النفوس الصغيرة ، والأيدي القصيرة ، يريدون أن يشتهروا ، لعلهم يدخلون التاريخ ، من خلال اشتهرهم بسلوك شائن ، أو رأي قبيح ، أو فكر شاذ .
- بل إن بعضهم يريد أن يشتهر بسيارة فارهة يركبها ، أو ملابس غريبة يلبسها ،

أو حركات نادرة يؤديها ، أو أعمال عجيبة يقوم بها .

- ولقد سجلت بعض الموسوعات العالمية ، أسماء أشخاص قاموا بأعمال شاذة ، أو حركات غريبة ، أو سلوك نادر .
- فقد سجلت بعض الموسوعات : صاحب أطول لحية ، وأطول شارب ، وأطول أظافر ، وأضخم جثة ، وأكبر فم ، وأطول لسان ، ونحوها من المسالك الغريبة والشاذة .
- فدخل هؤلاء وأمثالهم التاريخ ، ولكن ليكونوا في ذيله النتن ؛ حين لم يقدّموا للبشرية ولا لأنفسهم ما ينفع وينخدم ، وإنما هي الشهرة فحسب .
- في حين يقف التاريخ إجلالاً واحتراماً لمن دخله صالحًا مصلحاً ، مؤمناً تقياً ، قد قدم للبشرية خيراً ، وكفاهما شرًا .
- أيها الإخوة : سجلات عظيمة جليلة ، هي أعظم من سجلات جميع أهل الأرض ، يدخلها المسلم بلا استئذان ولا طلب .
- إن المسلم بالنية الصالحة ، والعمل الحسن يدخل في كل حين بلا استئذان ، أعظم وأرقى وأفضل سجلات التاريخ على الإطلاق ، إنها سجلات رب العالمين .
- فقد وعدنا ربنا عَزَّلَهُ كُلُّ خَيْرٍ أن من عمل صالحًا ، أو نوى خيراً ، وأراده وقصد إليه - حتى وإن لم يتمكّن من القيام به - فإنه يُكتب له في سجلاته ، وينال أجره وثوابه .
- فهذه صحائف الخير عند رب العالمين مفتوحة لأهل الصالحات والمقصود الحسنة ، هي خير لهم من كل سجلات أهل الأرض ، فأين العاملون الصادقون .



المحتويات

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
١٣	أولاً : التربية الإيمانية :
١٥	١- التوحيد أولاً
٢١	٢- فضل الإيمان وضرورته
٢٥	٣- الحكم لله تعالى وحده
٢٩	٤- حاجتنا إلى اليقين
٣٣	٥- الحقيقة الغائبة
٣٧	٦- إلى الله المصير
٤١	٧- يقظة المسلمين الإيمانية
٤٧	٨- الشخصية المنافقة
٥٣	٩- مخازي المنافقين في القرآن
٥٧	١٠- الفضيل بن عياض من التيه إلى الرشد
٦٣	ثانياً : التربية الروحية :
٦٥	١- نعمة القرآن
٦٩	٢- نظرات في سورة الملك
٧٥	٣- الإنسان بين الأمل والأجل
٧٩	٤- الإنسان بين الدنيا والآخرة
٨٣	٥- نعمة استقرار الأرض
٨٩	٦- التخويف بالكسوف والخسوف
٩٣	٧- البكاء في حياة الإنسان
٩٧	٨- عام هجري جديد

الموضوع		الصفحة
ثالثاً : التربية التعبدية :		١٠١
١ - الافتقار إلى العبادة	١٠٣	
٢ - الصلاة باب الخير	١٠٧	
٣ - معالم رمضان	١١١	
٤ - شهر القرآن	١١٧	
٥ - مشاعر حاج	١٢١	
٦ - الوسواس الخناس	١٢٥	
رابعاً : التربية الأخلاقية :		١٣١
١ - صناعة الإنسان الجديد	١٣٣	
٢ - خلق الحباء	١٣٩	
٣ - المسلمين في أعقاب الزمان	١٤٣	
٤ - أهواء النفس الإنسانية	١٤٩	
٥ - فساد الإنترنت	١٥٣	
خامساً : التربية الاجتماعية :		١٥٧
١ - التربية الإسلامية الشاملة	١٥٩	
٢ - كيف قدم المسلمون المعاصرون دينهم للعالم ؟	١٦٥	
٣ - مطالب المتزوجين وحاجاتهم	١٧١	
سادساً : التربية العقلية :		١٧٧
١ - الشباب بين الشهوات والشبهات	١٧٩	
٢ - الحوار في حياة الإنسان	١٨٥	
٣ - الليبرالية البغيضة	١٩١	

الصفحة	الموضوع
	سابعاً : التربية الجهادية :
١٩٧	١ - نصوص في التربية الجهادية
٢٠٥	٢ - في ظلال الهجرة النبوية
٢١١	٣ - الإمام الكبير علي بن أبي طالب
٢١٧	٤ - مأساة غزة المتكررة
٢٢٣	٥ - الطريق إلى غزة
٢٢٧	٦ - دروس من حروب غزة
٢٣٣	ثامناً : التربية الاقتصادية :
٢٣٥	١ - الأزمة الاقتصادية العالمية
٢٤١	٢ - إنسان العصر البائس
٢٤٥	٣ - تكاليف النهضة
٢٤٩	٤ - لعنة الخنازير
٢٥٥	٥ - كارثة السيول ١٤٣٠ هـ
	تاسعاً : التربية السياسية :
٢٦١	١ - علاقة الراعي بالرعية
٢٦٧	٢ - شهر الثورات العربية
٢٧٣	٣ - الثورة السورية الجريحية
٢٧٩	٤ - حديث التاريخ
٢٨٥	المحتويات

صدر للمؤلف

١. مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة «الطبعة الحادية عشرة»، دار المجتمع، جدة، ١٤٣١هـ. و«الطبعة الأولى»، دار الصميمي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣٤هـ.
٢. طرق تدريس مواد التربية الإسلامية «الطبعة الثانية»، دار المجتمع، جدة، ١٤١٩هـ.
٣. أسباب الفقر في العالم الإسلامي ودور التربية في التنمية «الطبعة الأولى»، دار المجتمع، جدة، ١٤١٤هـ.
٤. وسائل الزوج التربوية في إصلاح الحياة الزوجية، مجلة رسالة التربية وعلم النفس، العدد ١٩، ١٤٢٣هـ، الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية، الرياض. «نشر ضمن كتاب أخلاق الفتاة الزوجية».
٥. جوانب التعارض بين عنصر الأنوثة في المرأة والعمل السياسي من المنظور التربوي الإسلامي، سلسلة دعوة الحق رقم ٢٠٠، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ. «الطبعة الثانية»، دار المجتمع، جدة ، ١٤٢٤هـ .
٦. الفتاة المسلمة والأزمة الأخلاقية في الإعلام المرئي المعاصر من الوجهة التربوية الإسلامية، ندوة: المسلمين والتحديات المعاصرة، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ. «الطبعة الأولى»، دار المجتمع، جدة ، ١٤٢٣هـ .
٧. المنطلقات الأساسية للتنمية الاقتصادية في نظام الإسلام التربوي - رؤية معاصرة، حولية كلية المعلمين في أبها، العدد ٤، وزارة التربية والتعليم . «الطبعة الأولى» دار المجتمع، جدة، ١٤٢٤هـ .
٨. مبررات منع المرأة من قيادة المركبات من المنظور التربوي الإسلامي، «الطبعة الأولى»، دار المجتمع، جدة، ١٤٢٤هـ .

٩. الأخلاق الزوجية وأهميتها للفتاة المسلمة في ضوء التربية الإسلامية، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، العدد «١»، المجلد الخامس عشر، ١٤٢٣ هـ. «نشر ضمن كتاب أخلاق الفتاة الزوجية» .
١٠. معيار الأهداف الإسلامية العامة لأسس تربية الفتاة في الإسلام، «مستل من رسالة الدكتوراه». «الطبعة الأولى» . دار المجتمع، جدة، ١٤٢٤ هـ .
١١. ضوابط لباس المرأة وزينتها في ضوء التوجيه التربوي الإسلامي، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد «٥٦»، جامعة الكويت. «الطبعة الأولى»، دار المجتمع، جدة، ١٤٢٥ هـ .
١٢. أسس التربية الإيمانية للفتاة المسلمة. «جزء من رسالة الدكتوراه»، «الطبعة الأولى»، دار المجتمع، جدة، ١٤٢٥ هـ .
١٣. أسس التربية الصحية للفتاة المسلمة «جزء من رسالة الدكتوراه»، «الطبعة الأولى»، دار المجتمع، جدة، ١٤٢٦ هـ .
١٤. أسس التربية الأخلاقية للفتاة المسلمة «جزء من رسالة الدكتوراه»، «الطبعة الأولى»، دار الفكر، عمان، ١٤٢٨ هـ .
١٥. أسس التربية العقلية للفتاة المسلمة «جزء من رسالة الدكتوراه»، «الطبعة الأولى»، دار الفكر، عمان، ١٤٢٨ هـ .
١٦. أسس التربية الاقتصادية للفتاة المسلمة «جزء من رسالة الدكتوراه»، «الطبعة الأولى»، دار الفكر، عمان، ١٤٢٨ هـ .
١٧. أخلاق الفتاة الزوجية - أهميتها ووسائلها التربوية. «مجموعة أبحاث سبق نشرها»، «الطبعة الأولى»، دار المجتمع، جدة، ١٤٢٥ هـ .
١٨. ختصر أخلاق الفتاة الزوجية - أهميتها ووسائلها التربوية. «تم حذف المهاوش والمراجع»، «الطبعة الأولى»، دار المجتمع، جدة، ١٤٢٦ هـ .

١٩. وسائل المجتمع الاقتصادية لتأهيل الشباب المبكر للحياة الاجتماعية. مجلة التربية، العدد «١٢٠»، كلية التربية، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٤٢٤ هـ. «الطبعة الأولى»، دار المجتمع، جدة، ١٤٢٥ هـ.
٢٠. الضوابط الشرعية والفنية لمهارات الفتاة اليدوية في ضوء التربية الإسلامية. مجلة التربية ، العدد «١٢٣»، كلية التربية، جامعة الأزهر ، القاهرة، ١٤٢٤ هـ. «الطبعة الأولى»، دار المجتمع، جدة، ١٤٢٦ هـ .
٢١. عوامل النوم الصحي المفید في ضوء التربية الإسلامية. «الطبعة الأولى»، دار المجتمع، جدة، ١٤٢٥ هـ .
٢٢. ضوابط السلامة التربوية في ممارسة الفتيات للرياضة البدنية. «مستل من رسالة الدكتوراه مع بعض الإضافات العلمية». «الطبعة الأولى»، دار المجتمع، جدة، ١٤٢٥ هـ .
٢٣. الموسوعة العامة في مصادر التربية الإسلامية، «الطبعة الأولى»، دار الفكر، عمان، ١٤٢٨ هـ .
٢٤. التربية اللغوية العربية – بحث نظري في علاقة الإنسان باللغة وأثرها في تعلم اللغات الأجنبية من منظور إسلامي، مجلة كلية التربية، العدد «٤٧»، جامعة المنصورة، دمياط، ١٤٢٦ هـ. «الطبعة الأولى»، دار المجتمع، جدة، ١٤٢٦ هـ .
٢٥. أنواع الترويج التربوي الملائم للفتاة في ضوء التربية الإسلامية، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، العدد «٦٦»، كلية التربية، جامعة المنصورة، ٢٠٠٨ م. «الطبعة الأولى»، دار المجتمع، جدة، ١٤٣٠ هـ .
٢٦. الموعظة التربوية من الخطب المنبرية. «الطبعة الأولى» ، دار المجتمع، جدة، ١٤٣٠ هـ .

٢٧. تحفة الملوك في التربية والسلوك «القسم الأول»، «الطبعة الأولى»، دار المجتمع، جدة، ١٤٣٠ هـ.
٢٨. تحفة الملوك في التربية والسلوك «القسم الثاني»، «الطبعة الأولى»، دار المجتمع، جدة، ١٤٣٠ هـ.
٢٩. تحفة الملوك في التربية والسلوك «القسم الثالث»، دار الصميدي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣٧ هـ.
٣٠. ضوابط تشغيل النساء، سلسلة دعوة الحق، العدد ٢٤٠، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٣١ هـ. و«الطبعة الأولى»، دار الصميدي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣٣ هـ.
٣١. تعليم الفتاة - أهميته الفردية والجماعية وأهدافه الخاصة وال العامة- دراسة نظرية في ضوء التراث التربوي الإسلامي، مجلة القراءة والمعرفة، العدد ١٠٦، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠١٠م. «نشر ضمن كتاب أبحاث في تعليم الفتاة المسلمة».
٣٢. مواقف الاختلاط بين الجنسين ودورها في إثارة الغريزة الجنسية في ضوء التربية الإسلامية، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد ٢٠، أم درمان، ١٤٣١ هـ. «الطبعة الأولى»، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٣٣ هـ.
٣٣. مقدمة في التأصيل العقدي للعلوم الإنسانية، «الطبعة الأولى»، دار المجتمع، جدة، ١٤٣٢ هـ. «مستل من مقدمة كتاب: الموسوعة العامة في مصادر التربية الإسلامية».

٣٤. تخصص الفتيات الطي بين الواقع والمأمول في ضوء التربية الإسلامية، مجلة التربية، العدد «١٤٧»، كلية التربية، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٤٣٢ هـ.
- «الطبعة الأولى»، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٣٣ هـ.
٣٥. معالم نظام تعليم الفتاة في ضوء التراث التربوي الإسلامي، مؤتمر تعليم المرأة السعودية - الواقع وتطلعات المستقبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٣٣ هـ. «نشر ضمن كتاب أبحاث في تعليم الفتاة المسلمة» .
٣٦. استخدام التليفزيون في تعليم المرأة عن بعد- دراسة نظرية من الوجهة التربوية الإسلامية، مجلة جامعة الطائف للآداب والتربية، العدد «٦»، ١٤٣٢ هـ. «نشر ضمن كتاب أبحاث في تعليم الفتاة المسلمة» .
٣٧. أبحاث في تعليم الفتاة المسلمة في ضوء التربية الإسلامية. «مجموع ثلاثة أبحاث سبق نشرها»، «الطبعة الأولى»، دار الصميمعي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣٣ هـ.
٣٨. حجاب المرأة المسلمة وحدوده الشرعية من الوجهة التربوية الإسلامية، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، العدد «٢١»، أم درمان، ١٤٣٣ هـ. «الطبعة الأولى»، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٣٣ هـ.
٣٩. الثورة الفرنسية- عرض ونقد في ضوء التربية الإسلامية، المجلة الأدبية، العدد «١٦»، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠١٠ م. «الطبعة الأولى»، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٣٣ هـ.
٤٠. عقوبة التلاميذ البدنية في التشريع التربوي الإسلامي مع استعراض حالات واقعية، مجلة كلية التربية، العدد «١٥٠»، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٤٣٣ هـ.
- «الطبعة الأولى»، دار الصميمعي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣٤ هـ .

٤١. مفاهيم في الموهبة والإبداع وعلاقتها بالبعد الحضاري في ضوء نظام الإسلام التربوي، مجلة كلية التربية، العدد «١٥٥»، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٤٣٤ هـ.
«الطبعة الأولى»، دار الصميمي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣٦ هـ.
٤٢. المقالات التربوية «القسم الأول»، «الطبعة الأولى»، دار الصميمي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣٦ هـ.
٤٣. الأبعاد التربوية لأحاديث السلام في السنة النبوية ودورها في إشاعة التسامح الإنساني. «تحت الطبع».